خليف مصطفى غرايبة

السّياحة الصحراويّة

تنمية الصحراء في الوطن العربي



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

هذا الكتاب

يدعو هذا الكتاب إلى إعمار الصحاري العربية باعتبارها مساحة تحتلّ ٩٠ في المئة من الأراضي العربية، ولا يقْطُنُها سوى ١٠ في المئة من السكان على الرغم من مواردها الهائلة، من خلال تفعيل الاستثمارات العربية في السياحة البيئية (الصحراوية).
لتحقيق أهداف هذه الدراسة عرض الباحث مقوّمات الجذب السياحي التي تتمتّع بها الصحاري العربية، وأشكال الأنشطة السياحية التي يُمكن أن تُساهم في تعزيز عمليّة التقارب والتكامل بين الأقطار العربية، وأشار إلى تجارب الدول العربية في هذا المجال، وقدّم المُقترحات التي من شأنها المساهمة في إيجاد حالة معيشةٍ من التنمية المُستدامة.

خليف مصطفى غرايبة

أستاذ مُشارك في قسم العلوم الأساسيّة بكلية عجلون الجامعيّة - جامعة البلقاء التطبيقيّة، الأردن. حاصل على دكتوراه المدن وتنمية السكان من جامعة بغداد (١٩٩٥). لديه اهتمامات بحثيّة في شؤون السياحة البيئية، والتنمية المستدامة، والجغرافيا التاريخية، وشؤون السكان والتخطيط الحضري، والبيئة. له ستة كُتُبٍ والعديد من البحوث المنشورة في مجلات علمية مُحكّمة. عضو العديد من الجمعيات واللجان العلمية، والهيئات الاستشارية لعددٍ من المجلات العلمية. شارك في كثير من المؤتمرات العلمية داخل الأردن وخارجه.

السعر: ١٢ دولاراً

ISBN 978-9953-0-2530-8





السّياحة الصحراويّة

تنمية الصحراء في الوطن العربي

السّياحة الصحراويّة

تنمية الصحراء في الوطن العربي

خليف مصطفى غرايبة



الفهرسة أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
غرايبة، خليف مصطفى

السياحة الصحراوية: تنمية الصحراء في الوطن العربي/ خليف مصطفى غرايبة.
٣٠٤ ص: خرائط، صور، جداول؛ ٢٤ سم.
يشتمل على بيليوغرافية (ص. ٣٣٥ - ٣٤٤) وفهرس عام.
ISBN 978-9953-0-2530-8
١. الصحاري - البلدان العربية. ٢. السياحة - البلدان العربية. أ. العنوان.

551.415

العنوان بالإنكليزية

Desert Tourism:
Desert Development in the Arab World
by Khlaif Mustafa Gharaibeh

الناشر




شارع رقم: ٨٢٦ - منطقة ٦٦
المنطقة الدبلوماسية - الدفنة، ص. ب: ١٠٢٧٧ - الدوحة - قطر
هاتف: ٤٤١٩٩٧٧٧ - ٠٠٩٧٤ فاكس: ٤٤٨٣١٦٥١ - ٠٠٩٧٤

جادة الجنرال فؤاد شهاب - شارع سليم تقلا - بناية الصيفي ١٧٤
ص. ب: ٤٩٦٥ - ١١ - رياض الصلح - بيروت ٢١٨٠ ١١٠٧ - لبنان
هاتف: ٩ - ٨ - ٩٩١٨٣٧ ١ - ٠٠٩٦١
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

الطبعة الأولى
بيروت، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٢

الإهْـداء

- إلى كلّ مَنْ عايشْتُهُم مِنْ أبناءِ الصّحاري العَرَبيّةِ في كلِّ مِنْ: الأرْدُن والعِراق وسُورية وأبناء الخليج العَربي واليَمَن ومِصْر وليبيا وأبناء المغرب العربي.

- إلى كلّ مَنْ يُؤْمِنُ بِفِكْرَةِ تَنْمِيَةِ الصّحْراء وإعْمَارِها.

- إلى كلّ مَنْ يُؤْمِنُ بِفِكْرَةِ المَشْرُوع الحَضاريّ العربيّ، ويَعْمَلُ مِنْ أجل قِيَامِه.

- إلى أرْواحِ الشّهَداء الّذين قَضَوا مِنْ أجْلِ التّغيير والإصلاح عِبْر تاريخ الأمّة العربيّة الإسلاميّة بعامّة، وفي بِداية الألفيّة الميلاديّة الثّالثة بخاصّة.

- إلى ابْنَتِي الفَاضِلة فاطمة أمّ الزّهْراء.

المحتويـات

قائمـة الجـداول

قائمـة الخرائـط

قائمة الصور

مفاهيم البحث ومصطلحاته

ـ السّياحة (Tourism): تَتعدّد مفاهيم السّياحة وتتنوّع بمقدار تَعدّد أنواعها، وتعدّد الاختصاصات العلمية التي تتناول هذه الظاهرة بالدراسة والتحليل، وتعريف كلّ نوع (من أنواع السياحة)، يعتمد على الغَرَضِ الذي تقوم من أجله، وهذه مجموعة من التعاريف للسياحة، بما يتفّق وهذه الدّراسة:

● الأكاديمية الدّولية للسياحة تُعرّفها بأنها: «اصطلاح يُطْلَقُ على رحلات الترفيه وكل ما يتعلّق بها من أنشطة وإشباع لحاجات السائح»[١].

● تُعرّف السياحة (من حيث هي ظاهرة) بأنها: عملية انتقال وَقْتيّة يقوم بها عدد كبير من سُكان الدول المختلفة، فيتركون محل إقامتهم الدائمة، مُنطلقين إلى أماكن أخرى داخل حدود بلدهم (سياحة داخلية محلية)، أو إلى بلدان أخرى (سياحة خارجية دولية)[٢].

● السياحة بشكل عام: هي نشاط يقوم به فرد أو مجموعة أفراد، يحدث منه انتقال من مكان إلى آخر، أو من بلد إلى آخر، بغرض أداء مُهمّة مُعيّنة، أو زيارة مكان معيّن، أو أماكن عدة، بغرض الترفيه، وينتج منه الاطلاع على حضارات وثقافات أخرى، وإضافة معلومات ومشاهدات عديدة والالتقاء بشعوب وجنسيات متعددة[٣].

---

(١) عثمان محمد غنيم وبنيتا نبيل سعد، **التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل** (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٩).

(٢) نعيم الظاهر والياس سراب، **مبادئ السياحة** (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠١).

(٣) انظر الموقع الإلكتروني: <www.discovealex.com/generaldegat>.

ـ **البيئة** (Environment): هي إجمالي الأشياء التي تحيط بنا، وتؤثر في وجود الكائنات الحيّة على سطح الأرض، مُتضمنة الماء والهواء والتربة والمعادن والمناخ، كما يُمكن وصفها بأنها: مجموعة من الأنظمة المُتشابكة مع بعضها بعضًا إلى درجة التعقيد، والتي تُؤثّر وتُحدّد بقاءنا في هذا العالم الصغير الذي نتعامل معه بشكل دَوْري(٤).

● العالم الطبيعي الذي يعيش فيه البشر والحيوانات والنباتات معًا، الذي يُعدّ عند كثيرين عرضة للخطر بفعل الآثار المُدمّرة لنشاطات المجتمعات الصناعية(٥).

● المعهد العربي للتخطيط في الكويت عرّف البيئة بأنّها: الوَسَط الذي يعيش فيه الإنسان، ويحصل منه على عناصر ومُقوّمات حياته الأساسية، ويُمارس فيه نشاطاته المختلفة(٦).

● الظروف الطبيعية المحيطة بالإنسان، مثل مظاهر السطح والمناخ والنبات والمسطحات المائية والتفاعل بين الإنسان والبيئة، وتؤثر فيه ويؤثر فيها(٧).

ـ **الصحراء** (Desert): لَيْس من السّهل وضع تعريف دقيق للصحراء، ويرى الباحث أنّ أنسب تعريف لها، وبما يتناسب وأهداف هذه الدراسة ومحتواها، هو التعريف الذي يعتمد المعياريْن: المناخي والنباتي، فهي إذًا: كل منطقة لا يسقط فيها من الأمطار أكثر من ٢٥٠ ملم

---

(٤) في ظل التقدم والمدنية التي يشهدها العالم، ويمرّ بها يومًا بعد يوم، يمكننا تقسيم البيئة إلى ثلاثة أنواع هي: بيئة طبيعية (الهواء والماء والأرض)، وبيئة بيولوجية (النباتات والحيوانات والإنسان)، وبيئة صناعية اجتماعية، وهي البيئة التي صنعها الإنسان من قرى ومدن ومزارع ومصانع وبُنية تحتية، فهي مجموعة القوانين والنظم التي تحكم العلاقات الداخلية للأفراد، إلى جانب الهيئات السياسية، والاجتماعية، وللمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <http://www.feedo.net/Environment/Ecology>.

(٥) عبد القادر عابد وغازي سفاريني، **أساسيات علم البيئة** (عمان: دار وائل للطباعة والنشر، ٢٠٠٤)، ص ١٩ ـ ٢١.

(٦) المعهد العربي للتخطيط، «تحليل الآثار الاقتصادية للمشكلات البيئية،» على الموقع الإلكتروني: <www.arab-api.org/course21>.

(٧) مضيوف الفرا [وآخرون]، **الجغرافيا الطبيعية والبيئات**، ط ١٣ (الدوحة: مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٣)، ص ١٣١.

سنويًّا، وتخلو أو يندر بها النبات، وتمتاز بمناخها القاري[٨].

ـ **التصحّر** (Desertification): تنوّعت مفاهيم التصحّر وذلك لتنوّع الأسباب، وتنوّع النتائج المُترتبة على التصحّر، وبالتالي تنوّع التخصّصات الأكاديمية التي تهتمّ بهذه الظاهرة المُتعدّدة الجوانب، ومِنْ أبرز هذه المفاهيم[٩]:

● التصحّر: انخفاض الطاقة الحيويّة للأرض وتدهورها، ما يؤدّي إلى سيادة ظروف صحراوية مشابهة للصحراء (وجهة نظر المؤتمر الدولي للتصحّر).

● التصحّر: تَردّي الأراضي في المناطق القاحلة، وشبه القاحلة، والجافة، وشبه الرطبة، نتيجةً عواملٍ مختلفةٍ من بينها عواملَ فيزيائيّةٍ، وأحيائيةٍ، وسياسيةٍ، واجتماعيةٍ، وثقافيةٍ، أي تدهور الأراضي الجافة، ويتضمّن فقدان الإنتاجية البيولوجية، والاقتصادية، وتعقّد أراضي المحاصيل والمراعي[١٠].

● ونحن نرى أنّ التصحّر: امتداد الظروف الصحراوية التي أفرزتها العوامل الطبيعيّة (الجفاف)، والبشريّة (الإنسان وممارساته الخاطئة، مثل الرعي الجائر، والتحطيب غير المسؤول)، وما ينجم عن ذلك من انخفاض إنتاجية الأراضي، أو انعدامها تمامًا، وعجزها عن توفير مُتطلّبات الحياة الضرورية للإنسان، والحيوان، وهذا المفهوم ينسجمُ تمامًا مع المحتوى العام لرؤية برنامج الأمم المتحدة للتصحّر.

ـ **السّياحة البيئيّة** (Ecotourism): هي نشاط اقتصادي مُدِرّ للدّخل، والوظائف، والعُملة الصّعبة، ويخدم المجتمعات المحلية في الموقع

---

(٨) سامح غرايبة ويحيى فرحان، **المدخل إلى العلوم البيئية**، ط ٣ (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩١)، ص ١٠٨، و«ويكيبيديا» (الموسوعة الحرة)، على الموقع الإلكتروني: <http://ar.wikipedia.org/wiki>

(٩) سعود شواقفة [وآخرون]، **دراسات في جغرافية الوطن العربي** (عمان: دار عمار، ١٩٩١) ص ١٨٦، وعبد الفتاح لطفي عبدالله، **جغرافية الوطن العربي: تحليل الأبعاد الجغرافية لمشكلات الوطن العربي: الأمن المائي، والتصحر، والأمن الغذائي، والتحدي الديموغرافي، وظاهرة التحضر** (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦)، ص ١٥٩.

(١٠) تعريف الدكتور أحمد عبد السلام، أستاذ الأراضي بمعهد بحوث الصحراء بالقاهرة، وللمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <http://www.alwatan.com/graphics/2005>.

السياحي، ويؤدي دورًا محوريًّا في تنفيذ المشاريع المُختلفة، مع المحافظة على عناصر البيئة الرئيسة ومنع تلوّثها، ويُعتبر هذا النوع من السياحة مهمًا جدًا للدّول النامية، لِكونِهِ يُمثل مصدرًا للدخل، بالإضافة إلى الحفاظ على البيئة، وممارسة التنمية المُستدامة، بل إنّ العديد من الدول النامية باتت تعتمد على السياحة البيئية باعتبارها مصدر دخل وتنمية رئيسة لها(١١).

● هي سياحة نظيفة قائمة على زيارة المناطق الطبيعية مثل: الشواطئ، والجبال والمَحْميّات، والصحارى، والأغوار، لمُشاهدة ودراسة الكائنات الحية (طيور وحيوانات ونباتات وأسماك ومرجان وغيرها)، باعتبارها وسيلةً لدعمِ حماية البيئة، والحفاظ على الموارد الطبيعية بأقل آثار سلبية مُمكنة في البيئة، وبأكبر آثار إيجابية في المنطقة، بيئيًّا، ومُجتمعيًّا، وماديًّا، وهي مجال جيد لنشر الوعي البيئي لدى الناس في المنطقة، ولدى السياح البيئيّيْن بشأن كل ما يتعلق بالبيئة من قضايا(١٢).

- **السّياحة الصحراوية**(١٣) (DesertTourism): هي نوع من أنواع السياحة البيئية (الطبيعية)، مجالها الصحراء بما فيها من مظاهر طبيعية، تتمثل بـ: تجمعات الكثبان الرملية (الرق والعرق والسرير) والجبال الجرداء والأودية الجافّة والواحات الطبيعية والخباري والضايات والقيعان، ومن مظاهر بشرية تتمثل بـ: أسلوب حياة وثقافة الشعوب الصحراوية المُتناغمة والمُنسجمة تمامًا مع طبيعة الصحراء، لتُشكل في تفاعلها الطبيعي والبشري هذا نمطًا غريبًا من أنماط الحياة المألوفة في المدن والأرياف.

مع الجفاف الظاهري للصحراء، إلا أنها تمتاز بوجود تنوع بيولوجي هائل، يتمثل بـ: مجموعة كبيرة من أنواع النباتات والحيوانات التي تعيش في أجواء من التكيّف والتّحايُل.

بدأت الصحاري بشكلٍ عامٍ، والعربية منها بشكلٍ خاصٍ، في استقطاب

---

(١١) مركز المعرفة للمجتمعات، على الموقع الإلكتروني: <www.ckc-undp.org.jo>.

(١٢) انظر الموقع الإلكتروني: <www.eef.org.bh>.

(١٣) خليف غرايبة، السياحة البيئية مع التركيز على الوطن العربي بشكل عام والأردن بشكل خاص (عمان: دار يافا؛ دار الجنادرية، ٢٠٠٨).

السيّاح الذين يبحثون عن الهدوء ومراقبة الطيور والحشرات والزواحف والتزلّج على الرّمال وسباقات الصحراء والمهرجانات التي تعرض ثقافات وأسلوب حياة شعوب الصحراء (Style of Life).

ـ التنمية المُستدامة[١٤] (Sustainable Development): هي عملية تطوير الأرض والمدن والمُجتمعات، وكذلك الأعمال التجاريّة، بشرط أنْ تُلبّي احتياجات الحاضر من دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية حاجاتها، ويُواجه العالم خطورة التّدهور البيئي الذي يجب التغلّب عليه، مع عدم التخلّي عن حاجات التنمية الاقتصادية، وكذلك المساواة، والعدل الاجتماعي (Equity).

ـ السّياحة المُستدامة[١٥] (Sustainable Tourism): يعتمد تطبيق هذا المفهوم على ثلاثة (أبعاد) مهمّة هي:

أ ـ العائد المادي (Economic Benefits)، لأصحاب المشاريع السياحية (البُعْد الاقتصادي).

ب ـ العائد الاجتماعي (Social Benefits)، على اعتبار أنّ هذه المؤسّسات هي جزء من المجتمع المحلي، وعليها الاستفادة من الخبرات والكفاءات المحلية ما أمكن، وإشراك المجتمع المحلي والأخذ برأيه (البُعْد الاجتماعي).

ج ـ البيئة: حيث تُعامل هذه المؤسّسات باعتبارها جزءًا من البيئة،

---

(١٤) يمتاز الوطن العربي بإمكانات هائلة من الثروات الطبيعية، إلّا أنّه يواجه كثيرًا من المشكلات التي تتعلق بالتنمية، ومنها مصادر المياه، ونفاذ مصادر الطاقة غير المتجددة والغذاء والصحة والتعليم والتلوّث وحقوق الإنسان وغيرها.

أمام هذه المشكلات التي أضعفت الوعاء الثقافي للأمّة، تبرُز الحاجة إلى مصدر معرفي يقدم مقاربات شاملة ومتكاملة، تعمل على تفعيل القدرات الإنسانية العربية، من أجل ضمان أفضل الطرق لاستخدام الثروات والموارد الطبيعية والاجتماعية والمحافظة على استدامتها، لذا جاءت فكرة إصدار الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، بدعم من مشروع الموسوعة العالمية للنظم الداعمة للمياه (Eolss) الذي تشرف عليه منظمة اليونيسكو، وللمزيد انظر الموقعين الإلكترونيين: <http://womengateway.com/arwg>, and <http://neelwafurat.com/itempage>.

(١٥) جامعة الدول العربية وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، الدليل الارشادي للسياحة المستدامة في الوطن العربي، سلسلة (١): دليل مفهوم السياحة المستدامة وتطبيقها ([القاهرة: الجامعة، ٢٠٠٤])، ص ١ ـ ٧، على الموقع الإلكتروني: <http://www.stop55.com/vb/12095.htm>.

وبالتالي يجب عليها المحافظة على الموارد الطبيعية، من: ماء وطاقة ونبات وأحياء طبيعية لدرء أي خطر من مشاكل التلوث والتدهور (البُعْد البيئي).

لذا يُمكن تعريف السياحة المُستدامة[١٦] بأنّها: نقطة التلاقي ما بَيْن احتياجات الزوّار، والمنطقة المضيفة لهم، ما يؤدّي إلى حماية ودعم فرص التطوير المستقبلي، بحيث يجري إدارة المصادر كلها بطريقة توفّر الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والرّوحية، لكنّها في الوقت ذاته تُحافظ على الواقع الحضاري والنّمط البيئي الضروري والتنوّع الحيوي، ومُستلزمات الحياة كلها وأنظمتها.

ركّزت المنظمة العالمية للسياحة (WTO) على مفهوم السياحة المُستدامة في إعلان مانيلا عام ١٩٨٠، وفي صوفيا عام ١٩٨٧، والقاهرة عام ١٩٩٥.

- **التنوّع الحيوي**[١٧] (Biodiversity): يُعرِّف المرفق العالمي لحماية الحياة البرية التنوع الحيوي بأنّه: ملايين النباتات والحيوانات والكائنات الدقيقة بما فيها من جينات وراثية، والبيئات والأنظمة البيئية المُتداخلة التي تشترك تلك الكائنات الحية في نَسْجها، في ما يُعرف باسم المجال الحيوي، ومن التعريف يتبيّن أن التنوّع الحيوي يتضمّن مستويات ثلاثة هي:

أ - التنوّع على مستوى الأنواع (Species Diversity): يتضمّن أنواع الكائنات الحية كلها، ابتداءً من أنواع البكتيريا والفيروسات، والكائنات وحيدة الخلية كلها، مرورًا بالنباتات والحيوانات والفطريات عديدة الخلايا.

ب - التنوّع على المستوى الوراثي (Genetic Diversity): وهو التنوّع الوراثي في نطاق الأنواع، سواء في المجتمعات المُنفصلة جغرافيًا أم بين الأفراد أم داخل المجتمع نفسه.

---

(١٦) ازداد الاهتمام العالمي والعربي بالسياحة المستدامة، ويظهر ذلك في إقامة العديد من المؤتمرات التي كان من أبرزها: المؤتمر الدولي للسياحة المستدامة، الذي افتتح في برلين ٧/ ٣/ ٢٠٠٨، والذي نظّمه بنك الاستثمار الأوروبي تحت عنوان: «ترويج السياحة المستدامة في حوض المتوسط»، وللمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <http://www.sadasoria.com/arabic/page-seleof-id-show>.

(١٧) انظر الموقع الإلكتروني: <http://olom.Info/ib3/ikonboard.cg>.

ج - التنوّع الحيوي على مستوى المُجتمعات الحيوية (Community and Ecosystem Diversity): وهو التنوّع في النظم والموائل البيئية.

- **العمارة البيئية المُستدامة**[18] **(Environmental Sustainable Architecture):**

هي فن البناء الذي يعتمد على خامات البيئة المحلية المُتجدّدة، ولا يعتمد الخامات الناضبة (Renewable Materials)، معتمدًا على استخدام الإضاءة والتبريد والتهوئة الطبيعيّة بدلًا من الميكانيكية أو الصناعية، ويُحاكي الظروف الطبيعية فيها، ويجمع بين هندسة العمارة والالتزام بشروط صحة البيئة.

- **سياحة المحميّات**[19] **(Reservations Tourism):** هي أحدث أنواع السياحة، تقوم على زيارة المحميات الطبيعية، والتعرف إلى الكائنات النادرة بها، وزاد الاهتمام الدولي بهذا النوع من السياحة نظرًا إلى إقبال السائحين على مثل هذا النوع من السياحات.

أما المحميات[20]: فجرى تعريفها من قبل الاتحاد الدولي للمحافظة على الطبيعة (١٩٦٩) بأنها: الأقاليم التي تحوي نظامًا، أو عددًا من الأنظمة البيئية التي لم تَعرف التغيير بسبب الاستغلال البشري، والتي بدورها تعطي فصائل النباتات والحيوانات والمواقع الجيولوجية فائدة خاصة من الجانب العلمي، والتربوي والترفيهي، أو التي توجد بها مناظر ذات قيمة جمالية كبيرة.

---

(١٨) بدأ الاهتمام العالمي بما يُسمّى العمارة البيئية (Architecture Landscape)، والعمارة الخضراء (Green Architecture)، والمساكن التقليدية، فعلى المستوى العالمي: عُقِد في بكين يومي ٢٨ و٢٩/ ٣/ ٢٠٠٥ مؤتمر دولي حول المباني الخضراء، شارك فيه حوالى ٢٠٠٠ شخص من المسؤولين ورجال الأعمال والخبراء من الصين والخارج، وعلى المستوى العربي: استضافت مصر في ٣/ ٣/ ٢٠٠٥ مؤتمرًا عن التنمية السياحية، وحماية البيئة والكوارث التي تتعرض لها المناطق السياحية، وذلك بمشاركة المعهد العربي لاتحاد المدن، وتمحورت أوراق المؤتمر حول تحقيق التوازن المتعادل بين التنمية العمرانية، والحفاظ على البيئة.

كما استضافت الدوحة خلال الفترة بين ٥ و٩/ ٣/ ٢٠٠٥ «مُلتقى العمارة البيئية العربية»، تناول محاور: التخطيط الحضري ودوره في دعم العمارة والبيئة، والعمارة التقليدية المعاصرة وأدائها البيئي، والمسكن الصحي الذي يجمع بين هندسة العمارة والالتزام بشروط صحة البيئة، من: تهوئة وإضاءة وأثاث صحي وغيرها، كما تمّ عقد ندوة سورية مصرية ألمانية في جامعة البعث بسورية بعنوان: فيزياء البناء، وحماية البيئة وذلك في ٢٩/ ٩/ ٢٠٠٤، وللمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <http://www.4eco.com/green-Architecture>.

(١٩) الشرق الأوسط، ٥/ ٨/ ٢٠٠٣، على الموقع الإلكتروني: <www.asharqalawsat.com>.

(٢٠) انظر الموقع الإلكتروني: <www.greenline.com.kw/journalists/008.asp>.

ـ **المناخ القاري**[٢١] (Continental Climate): نوع المناخ الذي يسود الأقاليم الداخلية من القارات، أو المناطق البعيدة من المؤثرات البحرية، ويتمثل هذا النوع بصفة خاصة بالمنطقة المُعتدلة من نصف الكرة الشمالي، لعِظَمْ اتّساع مساحة اليابس، ويمتاز المناخ القاري بعامّة بتطرّفِ درجات الحرارة، وعِظَم المدى الحراري اليومي والسنوي، وقِلّة المطر.

ـ **الحضارة**: هي ذلك المُركّب الشديد التّعقيد الذي يُعتبر نتاج العقل البشري في الجانبين المادي (المدنيّة)، والمعنوي (الثّقافة)[٢٢].

المدنيّة هي: الإبداع في المجال المادي، أو الجانب المرئي من الحضارة، المُتمثّل بالزراعة والصناعة والتجارة والعمران، والأنشطة البشرية كافّة. أمّا الثقافة فهي: الجانب المعنوي مثل الأفكار والقوانين والأنظمة، وأساليب الحياة كافة. لذا الحضارة هي تعبير عن حياة جماعة ما من الجوانب كلها، بدءًا من إنتاج القاعدة الماديّة لوجودها، إلى قيمها الأخلاقية وتطلّعاتها نحو حياة أفضل.

نُريد أن نؤكّد هُنا أنّ التنمية تُمثّل ثمرة التّفاعل المُستمر بين الأساسيْن المادي والفكري، بحيث يُغذّي كلّ منهما الآخر ويُقوّي حركته، وهي لا تُسْتعار على الإطلاق، وإنّما هي في الأساس عملية إبداع، إذ قد تأخذ الشعوب من بعضها العلوم المُختلفة، لكنّها تتجاوز ذلك بإبداع حضارة جديدة زاهية وأصيلة، كما فعل أجدادنا العرب في العصور الوسطى[٢٣]، وكما فعلت أوروبا واليابان بعد ذلك، وأعقبتهما الصين، وما نتوقّعه من الأمة العربية مُستقبلًا.

---

(٢١) يوسف توني، **معجم المصطلحات الجغرافية**، ط ٢ (القاهرة: دار الفكر العربي، [د. ت.])، ص ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

(٢٢) صلاح الدين البحيري، «الجغرافيا التطبيقية،» (محاضرات ألقيت على طلبة السنة الثانية، قسم الجغرافيا، الجامعة الأردنية، ١٩٧٠).

(٢٣) لمعرفة المزيد عن الحضارة العربية الإسلامية، انظر: طه ندا، **فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية**، ط ٢ (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧). وللتعرّف إلى التجربة اليابانية وانتماء الإنسان الياباني ومساهمته في نهضة بلده، انظر: محمود محمد سفر، **دراسة في البناء الحضاري: محنة المسلم مع حضارة عصره**، كتاب الأمة؛ ٢١ (الدوحة: مركز البحوث والمعلومات، ١٩٨٩)، ص ٨٥ ـ ٩٠.

مُقدّمـة

تُعْتبر السّياحة من أكثرِ الصّناعاتِ نُمُوًّا في العالم، حيث أصْبَحت اليوم من أهمّ القطاعات في التّجارة الدوليّة، وهي من العُلوم الحديثة أكاديميًّا، لكنّها من أقدم المُمارسات التي سَلَكها الإنسان فِعليًّا. تعدّد نشاطها وأنواعها، تبعًا لتعدّد وتنوّع أنشطة الإنسان ذاته، وتُعتبر السّياحة الطبيعيّة أو البيئيّة (Ecotourism) أهم الأنواع السياحيّة وأحدثها، لأنّها تَقُوم أساسًا على التّوازن البيئي، علاوة على الفوائد الاقتصاديّة والاجتماعيّة المعروفة للسّياحة بشكلٍ عام[1]. والسّياحة الصحراويّة (محور الدّراسة في هذا الكتاب) هي من أهم أنواع هذه السياحة الطبيعية (البيئية).

المُتجوّل في هذه الصّحاري (وبخاصّة العربيّة) يعرف أنّ في الصّحراء سِرّين: طَعْم الحُريّة المُسْتمدّ من امتداد سَطْحِها الشّاسع الواسع، والشّعور بالقناعة لِبساطةِ هذا السّطح، وكِلاهما يُشْعِرِ المَرْء بأنّ كلّ ما في الصّحراء ثمينٌ جدًا.

تُمثّل الصّحاري ما نسبته ٨٨ ـ ٩٠ في المئة من جِسم الوطن العربي الذي بدأ يتعرّض للتصحّر، وتتفاوت هذه النسبة من قطرٍ إلى آخر، لكنّها تتّسع وتتواصل في قلب الوطن العربي حول مدار السرطان إلى درجة أنها تُطِلّ على سواحل البحار العربية، كما في حالة الصحراء الكبرى في

(١) للتعرّف إلى مفاهيم السياحة وأنواعها ومكوّناتها انظر: خليف غرايبة، **السياحة البيئية مع التركيز على الوطن العربي بشكل عام والأردن بشكل خاص** (عمان: دار يافا؛ دار الجنادرية، ٢٠٠٨)، ص ٨٦-١٢٤؛ عثمان محمد غنيم وبنيتا نبيل سعد، **التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل** (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٩)، ص ٢٣، ونعيم الظاهر والياس سراب، **مبادئ السياحة** (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠١)، ص ٢٦.

أفريقيا، وصحارى الربع الخالي والنفوذ والدهناء وبادية الشام في المشرق العربي. ما يجعل هذه النسبة في ازدياد على حِساب الـ ١٠ في المئة الباقية من الجِسم العربي التي يَعيشُ فيها أكثر من ٩٠ في المئة من السّكان، الأمر الذي يَجْعل من الأهميّة بِمكان أن تُفكّر الدّول العربية بِشكْلٍ لا بَديل منه في إعمار الصحراء المليئة بالخيرات التي تُشكل مُقوّمات أساسيّة في الحياة العربية[٢].

يَرى الباحث أن الصّحاري العربية (التي تَخْترق الحدود العربية ولا تَعترف بها) يُمكن أن تُشكّل إقليم اتّصال بين الأقطار العربية، لأنّها ـ كما نرى ـ الهمّ العربي الذي يُشكّل القاسم المُشترك بين هذه الأقطار، ومن خلال استثمارها سياحيًا (بالمَشاريع العربية المشتركة) يُمكن أن تقوم حالة التّقارب والتّكامل العربية، الأمر الذي يُمكن أن يُؤدّي بالتالي إلى حالة الاندماج العربي، وذلك بإقامة اتّحاد عربي إقليمي ليتّسع إلى حالة الاتّحاد العربي الشامل. هذا هو محور هذه الدراسة وهدفها العام، لا بل أسمى أهدافها وأهدافنا، وبخاصّة بعد اعتماد وزراء الاقتصاد والمال العرب «استراتيجية السّياحة العربية» لمواجهة التّحديات والمُتطلّبات المُستقبليّة للتنمية المُستدامة، وذلك في أوّل الاجتماعات التمهيدية للقمّة العربية في دورتها الثالثة والعشرين المُنعقدة في بغداد في ٢٧/ ٣/ ٢٠١٢.

إذا تمّت هذ الاستراتيجية فإن الفرضيّة التي تقول إن الاتحاد أو الوحدة بين الأقطار العربية يُمكن أن يتحقّق من خلال الجغرافيا لا من خلال التاريخ، قد تَصْدُق. هذه الفرضيّة التي كنّا نُردّدها في ما مضى، وكانت قناعاتنا مُستمدّة من فِكرة الأقاليم الجغرافية التي لا تَعْترِفُ بالحدود، فَأقاليم الجبال والصحاري ـ على سبيل المثال ـ هي مظاهر جغرافية واصِلة لا فاصِلة.

---

(٢) تختلف نسبة ما تحتله الصحراء من أراضي الدول العربية، فهي تحتل ٩٠ في المئة من أراضي الجزائر، و٤٠ في المئة من أراضي المغرب، و٩٥ في المئة من الإمارات العربية المتحدة، و٦٠ في المئة من سورية، و٩٠ في المئة من السعودية، و٩٣ في المئة من ليبيا، و٧٧,٤ من الأردن، و٧٥ في المئة من موريتانيا، وللمزيد انظر الموقعين الإلكترونيين: <want-paramgsoft.com/ index.php>, and <http://geography.i8.com/arab-desert.htm>.

تجذّرت في نفوسنا هذه الفرضيّة على مقاعد الدراسة حينما اطّلعنا على المقوّمات الجيوبوليتيكة في الوطن العربي، ودَرَسْنا منهجيتّها في الجغرافيا السياسية (Political Geography)، وعلاوةً على مقوّمات الجذب السياحي التي تتمتّع بها الصحاري العربية فهي زاخرة بالمعادن، وفي مُقدّمها النّفط، كما أنّها غنيّة بمستودعات المياه الجوفية، وخلال تَدْرِيْسِنا ومُراقَبَتِنا الأحداث على المسْرح العربي، ومُعايشتنا اليومية منذ تخرّجنا (مُدّة أربعة عقود تقريبًا) تَعمّقت لدينا هذه الفرضيّة (فرضيّة إعمار الصحاري العربية)، حتى أصبحنا نعتقد بِصِحّتها، لا بل بأنّها أيسر السّبُل لهذا المشروع الذي لا بديلَ منه للخُروج من هذا النّفق العربي المُظْلِم.

انبثق مفهوم السّياحة في البدء من التنقّل والتّرحال بغض النظر عن مقاصد هذا التنقّل، ثم أصبح بعد ذلك نشاطًا إنسانيًا واجتماعيًا يعتمدُ على الدّوافع والغرائز وحبّ المعرفة والاستكشاف والتعلّم، وما يتبع ذلك من تهذيبٍ للسلوكِ واكتسابٍ للمهاراتِ والمعلوماتِ والاطّلاع على المعارف بشتى صُنوفها، وذلك عبر رحلة إنسانيّة اجتماعيّة.

إن السياحة من منظورٍ اقتصاديٍ هي قطاع إنتاجي يؤدي دورًا مهمًا في زيادة الدّخل القومي، وتحسين ميزان المدفوعات من خلال العُملات الأجنبية التي تتحقق، والسياحة من منظورٍ اجتماعيٍ وثقافيٍ هي: حركة دينامية ترتبط بالجوانب الاجتماعية والسّلوكية والحضارية للإنسان، بمعنى أنها رسالة حضارية، وجسر للتواصل بين الثقافات والمعارف الإنسانية للأمم والشعوب، والسياحة من منظور علمي هي فن تقديم الخدمة.

تقوم فلسفة السياحة باعتبارها عنصرًا أساسيًا من حرية الإنسان، ونموذجًا جديدًا للعلاقات بين الشعوب والحضارات، لتحقيق المعرفة المتبادلة والتقارب الفكري والسياسي وإحلال التفاهم والصداقة بين الشعوب، كما تُشكّل تواصلًا ثقافيًا من خلال الاطّلاع على الحضارات والثقافات، وهي ركيزة من ركائز الإنتاج القومي، ومجال استثماري باعتباره نشاطًا إنتاجيًا تنمويًا، وهي عنصر يُساهم في التغيّر الاجتماعي، ويغرس في النفوس مشاعر الولاء للوطن.

بدأت الصحراء تلفت الرّحالة الأجانب الباحثين عن المغامرات

الصحراوية[٣] (الرمال والأودية والواحات والجبال الجرداء)، فظهرت أنشطة صحراوية مُتعدّدة سنتعرّفُ إليها في ثنايا هذا الكتاب، وكانت هذه الأنشطة على مستوى قُطْرِي يتفاوت من دولة عربية إلى أخرى، وما زاد الأمر تعقيدًا هو تفاوت الأقطار العربية بدورها في مساحاتها، وعدد سُكّانها، وحجم مواردها من جرّاء تَعرّضها للتقسيم والتجزئة، بعد أن كانت تعيش حالًا من الوحدة الاقتصادية والثقافية.

منطقة الدراسة

تتمثّل منطقة الدراسة في المساحة التي تحتلّها الصحاري العربية في كل من قارَتَيْ أفريقيا وآسيا، وهي تشمل أجزاءً واسعة جدًا من الوطن العربي، بين دائرتي العرض ١٨ْ ـ ٣٠ْ شمالًا في الجناح الأفريقي[٤]، كما تشمل كل الجناح الآسيوي ما عدا الأطراف الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية في شبه جزيرة العرب، والأجزاء الواقعة على السّاحل الشرقي للبحر المتوسط، والأجزاء الواقعة إلى الشرق من نهر دجلة في أرض العراق، وتُقدّر المساحة الإجمالية للإقليم الصحراوي العربي بحوالى ١١ ـ ١٢ مليون كلم٢، من أصل ١٣ مليون كلم٢ هي مساحة الوطن العربي كله (بعد انفصال جنوب السودان).

---

(٣) الرّحالة الأجانب الذين جابوا الصحاري العربية سواء كانت الأفريقية، أم في المشرق العربي ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ هم: Selah Merrill, Gotleb Shumacher, Robinson lees, Lady Annblent, Conder, Tristram, Burckardt, Oliphant.

ولمعرفة المزيد عن بعض الرحالة الذين عبروا الصحاري العربية الآسيوية انظر: محمود العابدي، **أجانب في ديارنا** (عمان: جمعية أعمال المطابع التعاونية، ١٩٧٤)؛ سليمان موسى، **رحلات في الأردن وفلسطين** (عمان: دار ابن رشد للنشر والتوزيع، ١٩٨٤)؛ George Adam Smith, *The Historical Geography of the Holy Land, Especially in Relation to the History of Israel and of the Early Church*, 23th ed. (London: Hodder and Stoughton, [1896]), pp. 665-676, and Douglas Carruthers, «The Great Desert Caravan Route, Aleppo to Basra,» *Geographical Journal*, vol. 52, no. 3 (September 1918), pp. 157-189.

(٤) لمعرفة خصائص الإقليم الصحراوي في الوطن العربي انظر: جودة حسنين جودة، **الجغرافيا الطبيعيّة لصحاري العالم العربي**، ط ٦ (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٩٧)؛ محمد أزهر سعيد السّمّاك وهاشم خضير الجنابي، **جغرافية الوطن العربي** (الموصل: مديرية الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦)، ص ٧٦، ومحمد عبد الغني سعودي، **الوطن العربي** (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٧)، ص ٦٤ ـ ٦٦.

يُمكن القول إن الصحاري العربية هي الأراضي التي تشمل صحراء سيناء، والصحاري الشرقية والغربية والنوبة في مصر، والصحراء الكبرى في بقيّة الأقطار العربية الأفريقية، وصحراء النقب، وبادية الشام، وصحاري الربع الخالي، والنفوذ، والدهناء، في الأقطار العربية الآسيوية(٥).

مُشكلة الدّراسة ومُبرّراتها وأهميتها

يُشغل الوطن العربي مساحة واسعة من اليابسة، إذ هو أكبر مساحةً من الولايات المتحدة الأميركية، بل يَفُوْقُ بمساحته القارة الأوروبية كلها، وهو بذلك يُمَثِلُ ١٠,١٥ في المئة من مساحة اليابسة في العالم، وتَمْتدُّ أراضيه عبر قارتي أفريقيا وآسيا امتدادًا شاسعًا بين خطي عرض ٢ْ جنوبًا (الصومال) و٣٧ْ شمالًا (شمال سورية)، وبين خطي طول ١٦ْ غربًا (على سواحل الأطلسي) و٦٠ْ شرقًا (سواحل عُمان)، ليصِل أقصى امتداد شرقي غربي لأراضيه إلى حوالى ٦٥٠٠ كلم، وأقصى امتداد شمالي جنوبي حوالى ٤٠٠٠ كلم، وتبلغ نسبة الأراضي العربية الأفريقية حوالى ٧٢,٦ في المئة من مساحة الوطن العربي، ومساحة الأراضي العربية الآسيوية النسبة الباقية (٢٧,٤ في المئة)(٦).

على الرغم من هذه المساحة الواسعة للوطن العربي إلّا أنّ معظم أراضيه صحراوية، حيث تصل نسبة الصحراء إلى ٩٥ في المئة من مساحة الأراضي العربية في أفريقيا، و٨٠ في المئة من مساحة الأراضي العربية في آسيا(٧)، ولا تتعدّى نسبة مساحة الأراضي التي تُشكّل بيئات مُلائمة للإنتاج الزراعي ١٢ في المئة من مساحته الإجمالية، ويزداد الأمر سُوءًا إذا علمنا أن كميات الأمطار تتناقص سنويًّا في الوطن العربي، الأمر الذي يترتّب عليه اتساع حدود الصحراء، ومن هنا تكمن مشكلة الدراسة ومبرّراتها وأهميتها،

---

(٥) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطتين الرقمين ١ و٢، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ من هذا الكتاب.

(٦) السماك والجنابي، ص ١١.

(٧) كما أشار إلى ذلك سيد خليفة (من اللجنة العليا للاتحاد العربي للشباب والبيئة) وللمزيد انظر: الدستور (الأردن)، ١١/١١/٢٠٠٢، على الموقع الإلكتروني: <www.addustour.com>.

إذْ ليس من المعقول أن تبقى هذه المساحات الشاسعة من الوطن العربي مُهملة وخارج إطار الخِطَط التنموية لحكوماتها بِحُجّة الجفاف والتّصحّر والحرارة العالية، إذْ يَجِبُ أن تتغيّر صورة الصحراء في الوَعْي العربي الرسمي والشعبي من الصورة السلبية إلى الصورة الإيجابية، وعلى المُخطّطين وضع الصحراء ضِمن خِطَطِهم التنمويّة العمليّة الشاملة، وبخاصّة في المجال السّياحي.

الصحاري العربية على الرغم من جفافها الظاهري، تمتاز بوجود تنوّع بيولوجي هائل، يتمثل في مجموعة كبيرة من أنواع النباتات والحيوانات التي تعيش في أجواء من التكيّف والتّحايُل، وبدأت الصحاري بشكلٍ عامٍ، والعربية بشكل خاص، في استقطاب السيّاح الذين يبحثون عن الهدوء والسكينة، ومراقبة الطيور، والحشرات، والزواحف، والتزلّج على الرمال، وسباقات الصحراء (خيل، وهجن، وسيارات، ودراجات)، والمهرجانات التي تعرض ثقافات وأسلوب حياة شعوب الصحراء[٨] (Style of Life).

للصحراء العربية خصوصيتها وأهميتها بالنسبة إلى الإنسان العربي منذ القدم، وعلى واضعي الخطط التنموية تعزيز هذا الاتجاه، إذ من المعقول إغفال ٩٠ في المئة من أراض الوطن العربي من الخطط التنموية، ويُمكن إبراز أهمية الصحراء العربية في الخطوط العريضة التالية[٩]:

ـ كان للصحراء العربية دورٌ أساسيٌ في وجود الإنسان العربي، سواء وجوده المادي، أو وجوده المعنوي، ويكفي لتبيان بعض تلك الأهمية في بُعدها الإيجابي في ماضي الإنسان العربي، أنْ يتذكّر المرء أنّ الصحراء هي التي استضافت آباء العرب وأمدّتهم بمقوّماتِ الحياة، وهي التي ـ في ما تروي الرّوايات ـ أنقذت حياة أبيهم إسماعيل، وأبقت على وجوده المادي، عندما تفجّرت على غير عادتها ماء «زمزم» التي رَوَتْ ظمأه وهو ما زال طفلًا صغيرًا، ورُبّما رضيعًا، والصحراء هي التي أمدّت من بَعدُ

(٨) غرايبة، السياحة البيئية، ص ١١٠.

(٩) وللمزيد عن صورة الصحراء في الوعي العربي وأهمية الصحراء بالنسبة إليه انظر: مؤسسة المنصور الثقافية، على الموقع الإلكتروني: <http://www.mansourdialogue.org/Arabic/lecs.htm>.

سلالة هذا الطفل من العرب بالمقوّمات التي على ندرتها كفلت لهم البقاء، والتكاثر (النفط والإسلام).

- على الرغم من أنّ نسبة الصحاري العربية تتزايد بوتيرةٍ متسارعةٍ من خلال عملية التصحّر، فإن ما يجب معرفته هو ضرورة استثمار الإنسان العربي لأهمّ الموارد فيها (النفط)، الذي يُعتبر حاليًا أهمّ صادر عربي، كما أنها مَصْدر مُهم للغاز، والعديد من المعادن، وتُمثل الصحراء في الوطن العربي حاليًا أهمّ مصادر الطاقة.

- إنّ التنوّع والإثارة التي تتمتّع بها أراضي الصحراء العربية، تجعلُها مناطق جَذْب للعديد من السيّاح الذين تستهويهم مثل هذه الخصائص، ولذا تأتى الصحراء العربية في طليعة أهم مصادر الموارد المُستدامة الحديثة في الوطن العربي، وفي مُقدّمها السياحة، حيث بدأت السياحة الصحراوية تكتسب أهميّة متزايدة في اقتصاديات السياحة، ونظرًا إلى المميّزات الحضاريّة والثقافيّة والمناخيّة وغطائها النباتيّ والطَيْريّ والحيواني الفريد، يُمكن أن تُصبح صحاري الوطن العربي الأكثر جذبًا للسياحة الصحراوية.

- الصّحراء العربيّة هي مَوْطِن تربية، ومصدر غذاء جُزءٍ كبيرٍ من الثروة الحيوانية، حيث يُقدّر أنّ ٤٢ في المئة من الثروة الحيوانية العربية تعيش على المراعي الطبيعية، الموجودة أساسًا في المناطق القاحلة وشبه القاحلة من الوطن العربي.

- يُضاف إلى ما سبق أنّ الصحراء العربية تستضيفُ جزءًا من الموارد السكانية العربية، وتُساهم بجزءٍ من الإنتاج الزراعي العربي، وتنمو فيها نباتات تدخل في بعض الصناعات.

إذن نستطيع القول إنّ الصّورة السّلبيّة التي يَخْتزِنها الوعي بشكلٍ عامٍّ والعربي بشكلٍ خاصٍ عن الصحراء، هي صورة تفتقر للرؤية الشمولية، وتنطوي على كثيرٍ من الجُحود لخيرات الصحراء وفَضْلِها على العرب، ومن هنا تكْمن أهمية هذه الدراسة، في أنها تُجيب عن العديدِ من الأسئلة أهمّها:

● ما هي الملامح الجغرافية العامّة التي تمتاز بها الصحاري العربية

سواء أكانت تلك الملامح طبيعية (موقع وجيولوجيا وتضاريس ومياه ونبات ومناخ وتربة) أم ملامح بشرية (أصول السكان وأعراقهم ونوعيّتهم وحجمهم وتركيبهم وتوزيعهم)؟

● ما هي أبرز مقوّمات الجذب السياحي التي تتمتّع بها الصحاري العربية، والمُستمدَّة من الملامح الطبيعية، والبشرية لهذه الصحاري؟

● ما هي أشكال السياحة الصحراوية في الوطن العربي، وكيف تتوزّع جغرافيًا على أقطاره؟

● ما هي المشاريع السياحية المُشتركة التي يُمكن أنْ تتبنّاها الدول العربية لزيادة دخلها واستثمار صحاريها؟

● هل الأقطار العربية تتفاوت في استثمارها للسياحة الصحراوية، وما هي الدول العربية الأكثر تجربة في تعاملها مع السياحة الصحراوية، وكيف؟

● هل يُمكن أن تُساهم الصحاري العربية في دفع عملية التنمية في الوطن العربي من خلال السياحة المُستدامة (Sustainable Tourism)؟

● ما هي أبرز النتائج والتّوصيات لهذه الدراسة التي يُمكن أنْ تُساهم ولو جزئيًا في تحسين نوعية حياة الإنسان العربي الصحراوي (Quality of Life)؟

● هل يُمكن أن تُشكّل الصّحراء (بما فيها من خيْراتٍ) مدخلًا لتحقيق المشروع الحضاري العربي المنشود، وكيْف؟

يدق الباحث في هذه الدّراسة عن **السياحة الصّحراوية** ناقوس الخطر «الطبيعي» المُحدق بالأمّة، والمُتمثّل في الهمّ الكبير الذي يتسارع خطره أمام أعين الأمّة العربية حُكامًا وشعوبًا، وهم في غفلةٍ وسباتٍ عميقيْن عنه، هذا الهمّ هو: الجفاف الذي يجتاح الأراضي العربية، واتّساع حدود الصّحاري العربيّة، وانحسار سكّان الوطن العربي وتراجعهم، للتكاثر في أشرطة عمرانيّة ضيّقة من الأرض لا تزيد مساحتها على ١٢ في المئة في أحسن الأحوال.

تُشكّل هذه الدراسة دعوة جريئة إلى مواجهة الهمّ العربي المُرعب الذي يُمثّل القاسم العربي المشترك بين الأقطار العربية كلها، باستثناء لبنان (الدولة العربية الوحيدة التي تخلو من وجود صحراء)، مع أنّ التصحّر بدأ بتهديد أراضيه من جرّاء الحرائق المُستمرّة للغابات، على الرغم من صدور قانون الغابات الصارم مُنذ عام ١٩٤٩.

تمتاز هذه الدّراسة بدعوتها المُدعّمة بالمُقترحات في جدوى إعمار الصحاري العربية، وضرورة التفكير السّريع والجاد من القطاعين العام والخاص، وعلى المستويَيْن الرّسمي والشّعبي، بتوجيه استثماراتهم في تنمية الموارد الصحراوية في مكانها، وإقامة مراكز تنموية جاذبة للسكان، بتخطيط عربي مُشترك على نحو ما هو موضّح في هذه الدّراسة، لإعمار الصحاري العربية الزاخرة بالمقوّمات الأساسية للحياة، وفي مقدّمها النفط والمياه الجوفيّة، والخروج من شرنقة الأحزمة الضيّقة (١٢ في المئة من المساحة) التي يعيش فيها ٩٠ في المئة من سكان الوطن العربي.

كما تمتاز هذه الدّراسة بعرضها التنوّع الحيوي البيئي، وتنوّع الموارد الطبيعية التي تزخر بها الصّحاري العربية، ومقوّمات الجَذْب السياحي، وتنوّع أشكال الرياضات السياحية فيها التي من المُمكن استعمالها أداةً أو أسلوبًا لتحقيق المشروع الاتحادي العربي تدريجيًّا (على مراحل)، من خلال المشاريع السياحية المُشتركة، وبالتالي تختلف هذه الدراسة عن غيرها بأسلوبها السّلْمي البنّاء الذي يَبْتعِدُ من أي إثارةٍ، أو حساسيّة قوميّةٍ، أو دينيّةٍ، أو فئويّةٍ، أو طائفيّةٍ، أو جهويّةٍ، أو تاريخيّةٍ، أو اجتماعيّةٍ، وذلك لصعوبة تطبيق معظم الأساليب التي اعتمدتها المشاريع السابقة[١٠].

---

(١٠) انظر مثلًا: حسين مروة، ندوة نقد الفكر العربي، في: **الوحدة**، العدد ٧ (١٩٨٥)، ص ٦٤ ـ ٦٥، ومحمد عابد الجابري، **الخطاب العربي المعاصر: دارسة تحليلية نقدية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢)، ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

أهداف الدراسة

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق الهدف العام الآتي:

«التعرّف إلى واقع السّياحة الصحراويّة في الوطن العربي وتَقويْمه، ووضْع التطلّعات المستقبليّة التي يُمكن أن تُساهم بتحسين هذا الواقع، للوصول إلى حالةٍ من التّقارب والتكامل بين الدول العربية».

كما يسعى الباحث إلى تحقيق الأهداف الفرعية التالية:

- التعرّف إلى الملامح الجغرافية الطبيعية والبشرية للصحاري العربية.

- إبراز مُقوّمات الجَذْب السياحية الصحراوية في الوطن العربي، والمُتمثّلة بالمُقوّمات الطبيعيّة (المكانيّة)، والبشريّة (السكانيّة)، والبيولوجيّة (التنوع الحيوي).

- التعرّف إلى أشكال السياحة الصحراوية في الوطن العربي، وتوزيعها الجغرافي.

- عَرْض تجارب الدول العربية في مجال السياحة الصحراوية وتقويْمها، وتعميم التجارب الناجحة منها على أقطار الوطن العربي التي لا تزال في بداية مشوارها في تعاملها مع الصحراء.

- وَضْع تَصوّر لسياسات التنمية المكانية (Spatial Developmental Policies)، من خلال اقتراح أقطاب نمو (Growth Pole)، ومراكز نمو (Growth Centers)، ونقاط نمو (Growth Points) في الأراضي الصحراوية العربية الأفريقية الآسيوية، يجري من خلالها إنعاش حركة السياحة الصحراوية في الوطن العربي، للوصول إلى السياحة المُستدامة للصحاري، باعتبارها أسلوبًا من أساليب تحقيق مشروع الاتحاد العربي.

- محاولة تكوين وبناء إطار نظري لدراسة موضوع السياحة الصحراوية في جغرافية السياحة التي تُعاني نقص البناء النظري لها، وذلك على مستوى الوطن العربي بشكلٍ عام، وبدرجاتٍ متفاوتةٍ بين أقطاره بشكل خاص، ويُمكن أن تستفيد من هذه المحاولة دراسات لاحقة على المستويَيْن العربي والمحلي (لكل دولة)، دراسات تكون أكثر تعمّقًا

سواء عن السياحة الصحراوية العربية، أم السياحة الصحراوية لكل دولة عربية على حدة.

فرضيّات الدّراسة

لتحقيق أهداف الدّراسة السّابقة، وَضَعَ الباحث الفرضيّات الآتية:

- الفرضيّة **الأولى**: تتّسع الصحاري العربية في الوطن العربي اتساعًا كبيرًا، لكنّ هذا الاتساع لا يتناسب مع أهميتها الاقتصاديّة والاجتماعيّة بشكل عامٍ، والجانب السياحي منه بشكل خاص.

- الفرضية **الثانية**: تتنوّع المُعطيات الطبيعية (الموقع الجغرافي والبناء الجيولوجي والجيومورفولوجي والمناخ والنبات والمياه والتربة)، كما تتنوّع المُعطيات البشريّة (أصول السكان وأعراقهم وعاداتهم وتقاليدهم) في الصحاري العربية، ويُشكّل هذا التنوّع المُثير مقوّمات جَذْب للسياحة الصحراوية في الوطن العربي.

- الفرضية **الثالثة**: تُشكّل الصحاري العربية مستودعاتٍ للعديدِ من المعادن الفلزيّة (ذهب ونحاس ورصاص وقصدير ومنغنيز وحديد... وغيرها)، واللافلزيّة (نفط وفوسفات ورمل سليكا... وغيرها)، الأمر الذي يترتّب عليه جَذْب سكاني كبير للصحاري، إذا استُغلت هذه المعادن بشكل أمثل.

- الفرضية **الرابعة**: تُشكّل الصحاري العربيّة مستودعًا للطاقة المُتجدّدة، وفي مُقدمها الطّاقة الشمسية الهائلة الناتجة من حَجْم السّطوع الشمسي وقوّته الذي تمتاز به هذه الصحاري، وهذا عامل مهم من عوامل إعمار الصحاري العربية.

- الفرضية **الخامسة**: ينحدر سُكّان الصحاري في الوطن العربي من أصول سكانية متنوعة عرقيًّا ولغويًّا، ومتنوّعة في العادات والتقاليد (المأكل والملبس والمسكن)، وهذا عامل مُهم ومُثير آخر في جذب واستقطاب حركة الناس إليها، بشرط اتّباع الاعتدال، والوسطيّة باعتبارها منهجيّة إداريّة لاستثمار هذا التنوّع.

ـ الفرضية السادسة: السياحة الصحراويّة وسيلة مهمة من وسائل التنمية المُستدامة في الصحاري العربية، نظرًا إلى المقومات السياحية كلها التي وردت في الفرضيات السابقة.

ـ الفرضية السابعة: تُشكّل الصحاري العربية موردًا طبيعيًا مهمًا، إذا جرى التخطيط لها بشكل يتناسب ومساحتها في الدخل القومي للأقطار العربية، كما أنها يُمكن أن تُشكّل حيّزًا حيويًّا ضدّ علل الإفراط السكّاني، لتُساهم في معادلة التوازن الإقليمي للدولة الواحدة من جهة، والوطن العربي الكبير من جهة أخرى.

ـ الفرضيّة الثّامنة: بافتراض صحّة ما سبق من فرضيّات، نرى أنّ الصحراء العربية ومن خلال استثمارها سياحيًّا، قد تؤدي الدور الأساس في تحقيق المشروع الذي نتمنّى، الاتّحاد العربي، أو الوحدة العربية الكاملة بين الأقطار العربيّة.

منهج البحث وأساليب الدّراسة

لتحقيق الهدف العام، والأهداف الفرعية لهذه الدراسة، اعتمد البحث المنهجيّة المُناسبة بحسب خصوصية عناصر الدّراسة، ولذلك اتّبعت المناهج التالية:

ـ منهج شموليّة الواقع الجغرافي (Universe of Geographic fact Appr)، حيث يُعتبر من المناهج الجغرافية المعاصرة، ويؤكّد أنّ البيئة الجغرافية للأمكنة هي كُلٌّ مُتكامل يصعب تجزئته، واتبع الباحث هذا المنهج في دراسة الملامح الجغرافية العامة للصحاري في الوطن العربي.

ـ منهج التحليل المكاني[11] (Spatial Analysis Approach): أدّى إهمال المُتخصّصين بالعلوم البحتة لتوزيع ظاهرات البيئة الطبيعية والبشرية، كُلٌّ في تخصّصه، إلى اهتمام الجغرافيين في اصطلاح التوزيعات الجغرافية، وتحوّل هذا الاهتمام إلى تخصّص جغرافي بحت، وحِكْر على الجغرافيا

---

(١١) خليف غرايبة، «التحليل المكاني للخدمات في مدينة أربد،» (رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، ١٩٩٥)، ص ٧ ـ ٨.

والجغرافيين، وتبلورت دراسته في اتجاه منهجي يُشكّل أحد جوانب الجغرافيا في المرحلة الحالية، واتّبع الباحث هذا المنهج (وبشكل وصفي)، في دراسته الفصول الخاصّة بمقوّمات الجذب السياحي الصحراوي في الوطن العربي، وبأشكال السياحة الصحراوية في الوطن العربي، وفي أمثلة وتجارب على السياحة الصحراوية في الوطن العربي.

لتحقيق هذه المنهجية اتّبعَ الباحث أساليب مُتعدّدة للوصول من خلالها إلى المعلومات والبيانات الأساسية للبحث، وتتمثّل هذه الأساليب في ما يلي:

● الإطّلاع على الكمّ الهائل من الدراسات الجغرافية عن الوطن العربي والصحاري العربية.

● الرّجوع إلى الخرائط الموضوعية (Thematic Maps) عن الوطن العربي بشكل عام، أو أقطاره بشكل خاص، وذلك من أجل:

أ ـ رَسْم خريطة الأساس (Base Map) لمنطقة الدراسة، والمُتمثّلة بالصحاري العربية، ومحاولة رسم حدود لهذه الصحاري، لتقترب كثيرًا من الواقع الجغرافي لها.

ب ـ تَوْقيع المعلومات المُختلفة (التي تخدم أهداف هذه الدراسة وتتعلّق بها) على خريطة الأساس السّابقة، بهدف الوصول إلى إبراز المعلومات الموضوعية في ثنايا فصول الدراسة بمختلف الخرائط التي يتضمّنها البحث.

ج ـ إبراز شخصيّة الصحاري العربية، باعتبارها إقليمًا جغرافيًّا مُتجانسًا ومُتّصلًا على مساحة تزيد على ١٢ مليون كلم^{2}، أي ما نسبته ٨٨ في المئة من أراضي الوطن العربي.

● الاستفادة من أعمال المؤتمرات والندوات والدراسات التي أُقيمت عن الصحاري العربية، سواء أكانت هذه الأعمال على شكل نشرات، أم صدرت في الصحف، أم نُشرت من خلال الإنترنت، واستطاع الباحث على مدار السنوات العشر الماضية رصد هذه الأعمال كلها، والرجوع إليها من أجل هذه الدراسة.

● استطاع الباحث الحصول على بعض بسيط من الصور الجوية، والصور الفضائية، من نوع لاندسات ذات قُدْرة تمييزية تعادل ٣٠ م، وبعض الصور الفضائية من نوع سبوت بِقُدْرة تمييزية تعادل ٥ م، وذلك لأجزاء بسيطة من أراضي الوطن العربي (الأردن بشكل خاص)، والاستفادة من هذه التقنية الحديثة بما يخدم أهداف الدراسة.

● بِناء الجداول المُختلفة حيث حوَت الدّراسة تسعة جداول.

● التمثيل الكارتوغرافي المُتمثل بالأشكال والخرائط، نظرًا إلى أهمية هذا الأسلوب باعتباره أداةً أساسية للجغرافي، حيث الخرائط بشكل عام أفضل الطرق المُستخدمة لتخزين المعلومات الجغرافية، كما أنّها من الوسائل الجغرافية المهمّة التي يستطيع الباحث من خلالها الربط بين المعلومات الخرائطية، ومدى تطابقها مع الظواهر الواقعة في منطقة الدراسة، ما يُساعد بالتالي في إثراء عمليات التحليل والربط والتفسير[(١٢)]، وحوَت الدراسة عشرين خريطة.

● تضمين الدراسة بالصور الفوتوغرافية التي من شأنها الإسهام في إثراء وتوضيح بعض المواضيع، وشملت ٢١ صورة.

مجالات الدراسة

التزمت الدراسة في تحقيق أهدافها ومحتواها بمجالات ثلاثة واضحةٍ ومتكاملةٍ، هي:

ـ المجال الجغرافي (المكاني): الذي يتمثل بالمساحات التي تحتلها الصحاري العربية في الجناحين: الأفريقي والآسيوي.

ـ المجال البَشَرِي (السّكّاني): الذي يتمثل بسكان الوطن العربي بشكلٍ عامٍّ، وسُكّان الصحاري العربية مِنْهُ بشكلٍ خاصٍّ، وذلك بحسب أحدث الإحصاءات المتوافرة عن الأقطار العربية، (مع أنّه لا تُوجد إحصاءات تُشير إلى أعداد السكان في الصحاري العربية).

---

(١٢) خليف غرايبة، «التوزيع المكاني للسكان في مدينة عرعر بالمملكة العربية السعودية،» مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (جامعة قطر)، السنة ٢٦، العدد ٢٦ (٢٠٠٣)، ص ١٦١.

ـ المجال الزمني: التزم الباحث بالفترات الزمنية التي بدأت فيها الدول العربية الاهتمام بالسياحة الصحراوية وأنشطتها، وتفاوتت هذه الفترات من دولة إلى أخرى، إذ بدأ الاهتمام بها على سبيل المثال: في تونس منذ العقد الثالث من القرن العشرين، في حين أنّ بعض الدول العربية لم تُولِ الاهتمام بها إلّا في نهاية القرن العشرين، وبعض الآخر لم يُدخِل هذا الاهتمام إلى أجندته التنموية أبدًا، وما بين الحالات الثلاث التي ذكرناها تتفاوت اهتمامات الدول العربية الأخرى.

❊ ❊ ❊

يَعرِض هذا الكتاب ـ الذي يُعتَبر الأول من نوعه في هذا المجال وبهذه المنهجية ـ الخُروج من هذه الجدليّة التي طالَت في محاولةٍ لوضْعِ رُؤيةٍ جديدة للمشروع الحضاري العربي الذي نتمنّى، ولتحقيق ذلك قُسّمت الدّراسة إلى خمسة فُصُول هي تِباعًا:

الفصل الأول: الملامح الجغرافيّة العامّة لصحاري الوطن العربي.

الفصل الثاني: مُقوّمات الجَذْب السّياحي في الصّحاري العربيّة.

الفصل الثالث: أنواع (أشكال) السّياحة الصّحراوية في الوطن العربي والأنشطة المُرتبطة بها: الواقع والمأمول.

الفصل الرابع: أمثلة وتجارب على السّياحة الصحراويّة في الوطن العربي.

الفصل الخامس: السّياحة المُستدامة في الصحاري العربية، ومُقْتَرَحات تنمية السّياحة المُستدامة على المُسْتَوَيَيْن القُطْرِي (إبراز خُصوصيَة الدّولة) والعَرَبِي (إبراز الخُصوصية العربيّة النّاجمة عن حالة «تَقارُب وتَكامُل واندماج»).

يَشْمل هذا الكتاب الذي تَفتقر إليه المكتبة العربية عُمومًا والسّياحية خُصوصًا، كثيرًا من الجداول والخرائط والصور التوضيحية، من هُنا تأتي أهميته حيث يُعتبر من الخُطوات الأولى في إثراء هذا الموضوع، عَسَى أن يَنْتَفِعَ به صانِعُو القرار في إعمار الصحاري العربيّة التي نأمل أن تَكُونَ

المَدْخل العام السّهل للمَشْرُوع الحضاري العربي المَرْجُوّ، والمُرتَقَب من الأطياف العربيّة كافّة، لِنَصِلَ إلى حالة الهويّة العربيّة المتوازِنة التي تَحْتضِن وتَرْعَى - بِشَكْلٍ حضاري مُتَفرّد - في داخِلها التنوّع العربي المُثير طبيعيًّا وبشريًّا، مع بدايات الألفيّة الميلاديّة الثّالثة التي حَمَلَتْ معها رِياح التّغييْر والإصلاح المَرْجُوّة، إن شاء الله.

خليف مصطفى غرايبة
إربد ـ الأردن
٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ.

الفصل الأول

الملامح الجغرافيّة العامّة لصحاري الوطن العربي

على الرغم من الاتّساع الكبير للوطن العربي، وامتداده في قارَتَيْ أفريقيا وآسيا، تمثّل رقعته وحدة مكانية مُتماسكة الأجزاء، واضحة المعالم، تُؤكّد شخصيّته الجغرافيّة بين أقاليم العالم الكبرى. وأكثر الأجزاء الجغرافية اتّساعًا وتواصلًا في الوطن العربي هي: الصحاري المُترامية الأطراف التي تمتدّ من الخليج العربي شرقًا، إلى سواحل المحيط الأطلسي غربًا، بامتداد يصل إلى ٦٥٠٠ كلم شرقًا وغربًا[١]، وبخاصّة في المناطق التي يمرّ منها مدار السرطان، مُكوّنةً وحدةً جغرافيّةً واحدةً واضحةَ المعالم، كما سَنُلاحظ في دراسة الملامح الجغرافية لها على النّحو التالي:

أولًا: الملامح الجغرافيّة الطبيعيّة

١ ـ الموقع الجغرافي

إذا كان الوطن العربي يحتلّ مركز القلب من كُتلة العالم القديم، فإن الصحاري العربية تحتلّ مركز القلب من الوطن العربي[٢]، حيث يُنصّفها مدار السرطان، بل وتتجاوز هذه الصحاري قلب الوطن العربي نحو أطرافه، لتطل على الخليج العربي شرقًا، وعلى سواحل المحيط الأطلسي غربًا، ولا يحدّها عن سواحل البحر المتوسط سِوى جبال الأطلس في المغرب العربي،

(١) تُشكّل الصحاري العربية امتدادًا طبيعيًا متصلًا من ساحل الخليج العربي شرقًا، وحتى سواحل المحيط الأطلسي، بامتدادٍ يصل إلى ٦٥٠٠ كلم، باستثناء البحر الأحمر الذي يخترق هذا الامتداد على شكل إصبع بحري لا يتجاوز متوسط عرضها ٣٠٠ كلم، وهذا يعني أن الامتداد الصحراوي المتبقي يتجاوز الستة آلاف كلم، وقد قام الباحث بقياس هذه المسافات من خلال خرائط عديدة وللمزيد انظر مثلًا: المركز الجغرافي الملكي الأردني، **الأطلس المدرسي الأردني** (عمان: المركز، ١٩٨٩)، ص ٤٤، ومحمد سيد نصر ونقولا زيادة، **أطلس العالم** (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٩)، ص ١٢.

(٢) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ٢، ص ٢٥٠ من هذا الكتاب.

ومرتفعات بلاد الشام في سورية ولبنان والأردن وفلسطين، وبذلك تُشكّل الصحاري العربية جسرًا أرضيًا عظيمًا، يربط جَناحَيْ الوطن العربي الآسيوي والأفريقي، وشكّلت الصحراء على الرغم من جفافها، معبرًا للهجرات العربيّة والفتوحات الإسلاميّة نَحْوَ أقطار آسيا العربية، وآسيا، ونَحْوَ أقطار أفريقيا العربية، وأفريقيا، فاتّسعت رقعة الأمة العربيّة والإسلاميّة اتّساعا كبيرًا، وبخاصة في هذَيْن الاتّجاهَيْن (آسيا وأفريقيا).

شهدت أطراف الصحاري العربية قيام حضارات وتَجمّعات سكانية مزدهرة في وادي النيل وبلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وأقطار شمال أفريقيا، كان نتاجها أمة عربية إسلامية، كَوّنت مع الأقليّات التي تعيش فيها حضارة عربية إسلامية متميزة.

تُعتبر الصحاري العربية أكثر الأقاليم الطبيعية اتّساعًا في الوطن العربي، حيث تصل نسبتها إلى ٩٠ في المئة من إجمالي المساحة، ولا يُستثْنى من ذلك سوى المناطق التالية[٣]:

ـ مُرتفعات شمال شرق العراق، وسهول بلاد الرافدين (خط يمتدّ من جبل سنجار إلى وادي الثرثار ونهر الفرات).

ـ مُرتفعات بلاد الشام، الأراضي الواقعة إلى الغرب من خط يمتدّ من: جرابلس، ومنبج (غرب بحيرة الأسد) إلى الحمدانية والسلمية والعثمانية والشريفة والقريتين وسبع بيار وخان أبو الشامات والزلف في سورية، والمفرق والزرقاء ومعان في الأردن.

---

(٣) استطاع الباحث رسم حدود تقريبية للصحاري العربية من خلال عملية المطابقة (Super_Impose) لمجموعة من خرائط الوطن العربي هي: خرائط الأمطار، والكثافة السكانية، والنبات، والتربة، والتضاريس، وأبرز العوامل التي ساهمت في رسم حدود هذه الخريطة هي المطر، حيث كان خط المطر المتساوي ١٢٠ ملم/ السنة تقريبًا هو الحدّ الرئيس للصحراء.

ومن الخطأ الاعتقاد بأن الصحراء بقعة من الأرض لا مطر فيها على الإطلاق، إذ إنّ وجود الكائنات الحية فيها (على قلتها) ينفي هذا الاعتقاد، إذ قد تنحبس الأمطار لسنوات، لكنها قد تمطر بعدها، أو قد يصلها ضباب البحر في أيام من السنة كما هو حال الصحاري العربية المطلة على البحار والمحيطات المجاورة. وذلك بحسب: محاضرات ألقيت على طلبة الدكتوراه في قسم الجغرافيا ـ جامعة بغداد - في مادة «الخرائط الموضوعية» للدكتور هاشم المصرف في الفصل الدراسي الثاني عام ١٩٩٣.

ـ مُرتفعات جنوب الحجاز وعسير واليمن (الأراضي الواقعة بين البحر الأحمر وخط يمتدّ من: ينبع إلى جبل رضوى (٢٠٤١م)، إلى وادي الحمض، فالسفوح الشرقية لمرتفعات عسير (في مناطق رنية وبيشة وتثليث)، والأراضي الواقعة بين بحر العرب وخط يصل بين نجران ومأرب ووادي حضرموت ووادي المسيلة وإلى مدينة سيحوت.

ـ منطقة الجبل الأخضر في عُمان.

ـ وَسط السودان وجنوبه، حيث تزيد الأمطار على ٢٥٠ ملم، (الأراضي الواقعة إلى الجنوب من خط يمتد من بورتسودان على ساحل البحر الأحمر شرقًا، إلى مدينة عطبرة ومدينة الأبيض والفاشر، وانتهاءً بمُرتفعات دارفور غربًا).

ـ منطقة الجبل الأخضر وجبل نفوسة في ليبيا.

ـ مُرتفعات جبال الأطلس وتفرّعاتها، في كل من تونس والجزائر والمغرب (الأراضي كلها الواقعة إلى الجنوب من خط يمتد من: صفاقس إلى قفصه (تونس)، ومنها إلى جبال تبسه ومدن بسكره والأغواط وبشار (الجزائر)، وإلى الرشيدية والسفوح الشرقية لجبال أطلس الكبير وأطلس الصغير، وإلى وادي دراع أو درعه (المغرب).

ـ الجزء الأوسط الغربي من الصومال، حيث تزيد كميّة الأمطار على ٢٥٠ ملم (خط يمتدّ من وادي توغال شمال لاس أنور إلى مدن جالكمبو وحودر ولون جناني)، وشمال نهري شبيلي وجوبا، حيث تزيد كمية الأمطار على ٣٠٠ ملم (خط يمتدّ من شرق مدينة عداله إلى جنوب مدينة بيدوه ومدينة باردرة).

٢ ـ البِناء الجيولوجي

تنتمي الصحاري العربية في بنائها الجيولوجي (التركيب الجيولوجي) (Geological Structure) إلى تكوينات تشكّلت في أزمنة جيولوجية متفاوتة، ومن هُنا جاءت أهميّتها باعتبارها عُنصرَ جَذْبٍ سياحِيّ، ومن دِراسة الخريطة الجيولوجية للصحاري العربية يُمكن إيجاز هذه التكوينات

(الجاذبة سياحيًّا كما في صورة الرقم ١)، على النحو التالي[٤]:

ـ **صُخور ناريّة ومُتحوّلة**: تُمثل صخور القاعدة، وتتكوّن من صُخور الغرانيت والنّيس والشيست والكوارتز، وتَظْهَرُ صخورها عاريةً على السطح في: غرب شبه الجزيرة العربية (الدرع العربي)، وفي الصحراء الشرقية من مصر، وامتدادها في السودان، وفي جنوب سيناء، وفي كُتلة العوينات على الحدود السودانية المصرية الليبية، وفي بعض أجزاء تبستي والأحجار، ويرتبط بمثل هذه التكوينات: المعادن الفلزية، مثل الذهب والفضة والنيكل والقصدير وغيرها.

ـ **تَكْوينات الزّمن الأوّل (الباليوزويك)**: تنتشر في مناطق محدودة من الصحاري العربية، وتَظْهر في جنوب ليبيا والجزائر، وأهم التكوينات المؤشّرة عليها: تواجد الفحم، وهذا يُفسّر فقر الوطن العربي في ثروته الفحمية.

ـ **تَكْوينات الزّمن الثّاني (الميزوزويك)**: تنتشر انتشارًا واسعًا في الصحاري العربية، وبخاصّة تكوينات الجوراسي والطباشيري التي تُشكّل قَوْسًا ضَخْمًا واضِحًا في شبه جزيرة العرب، ويمتدّ شمالًا إلى بادية الشام، وتَظْهر في مساحاتٍ واسعةٍ من الصّحراء الكُبرى في: مصر والسودان وليبيا والجزائر والمغرب. وتتكّون عمومًا من الصّخور الرملية، أو الخرسان النوبي (Nubian Sandstone)، والصخور الجيرية التي تَكثُر بها الحفريّات البحرية، وتَكْمن أهمية هذه التكوينات في أنّها تحوي: مصائد نفطية والفوسفات، وتعمل صخور الحجر الرملي خزّانًا ضخمًا للمياه الجوفية، وغالبًا ما تَظهر هذه المياه في المنخفضات الصحراوية لتُشكّل عيونًا للمياه، ولعلّ مياه الواحات كلها التي تَظهر في الصحراء الكبرى هي من هذا النوع.

ـ **تَكْوينات الطّفُوح البُركانية (ما بعد الكريتاسي)**: تَظهر تكويناتها في

---

(٤) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ٣، والملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ١، ص ٢٥١ و٢٦٩ على التوالي من هذا الكتاب. وتم الاعتماد في هذا الموضوع على مصادر عدة منها: محمد عبد الغني سعودي، **الوطن العربي** (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٧)، ص ٣٣ ـ ٣٩، ومحمد أزهر سعيد السمّاك وهاشم خضير الجنابي، **جغرافية الوطن العربي** (الموصل: مديرية الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦)، ص ٢٣ ـ ٣٢.

المنطقة المُمتدّة من جبل العرب (الدروز)، باتّجاه الجنوب الشرقي إلى: الأردن ووادي السرحان، وبعض أجزاء من منطقة الجوف في السعودية، كما تَظهر في العديد من الحرّات السعودية (حرّات خَيْبَر وهُتيم)، وتَظهر تكويناتها في وسط ليبيا (الهروج الأسود) شرق الطريق التي تصل بين الجفرة وسبها، ومن شأن هذه الطفوح أن تَضيف تنوّعًا آخر إلى تكوينات الصحراء الرملية، لأنها تتكّون من صخور بركانية سَوْداء، تتّخذ أشكالًا ومعالم تضاريسية تَسْتَهوي السيّاح، وتُشكّل عامِلَ جَذْبٍ سياحيٍّ صحراوي.

ـ تَكْوينات الزّمن الثّالث:

● تكوينات الأيُوسِيْن والأوْلِيجُوسِيْن: تَنتشر تكويناتها بشكلٍ واسعٍ في شرق شبه الجزيرة العربية وجنوبها، في صحاري الدهناء وأجزاءٍ من الربع الخالي، وتنتشر شمالًا في بلاد الشّام، كما يتّسع وجودها في غرب النيل في مناطق واحات الدّاخلة والخارجة، وفي وسط ليبيا (على أطراف تكوينات الطّفوح البركانية)، كما تُوجد في جهاتٍ مُتفرّقةٍ من دُوَل المغرب العربي، وتتألّف هذه التّكوينات من الحجر الجيري والصلصال، وتصل سماكتها إلى ٧٠٠ م.

● تكوينات المَيُوْسِيْن والبَلْيُوسِيْن: تُوجد بمحاذاة تكوينات الأيُوسِيْن والأوليجوسين، حيث تَظهر في صحراء غرب العراق وشرق سورية، وتمتدّ غرب النيل مِنْ منخفض القطّارة وواحة سيوه، مرورًا بواحة الجغبوب، لتمتدّ غربًا حتّى مدينة سرت (تقريبًا)، كما تَنتشر هذه التكوينات بِشَكْلٍ واسِعٍ جنوب جبال أطلس الصحراء في الجزائر، في مناطق الأغواط وغربِها، كما تُوجد في أواسط الجنوب الشرقي للجزائر في مناطق غرداية والغويلة وحاسي مسعود وورقلة، كما تُوجد على المنطقة الحدودية المغربية الجزائرية (غرب مدينة بشار الجزائرية).

ـ تَكْوينات الزّمن الرّابع (البَلْيُوسِيْن والحديث): تَتمثل هذه التكوينات بالرّواسب النهرية التي تخترق الصحاري العربية (مثل النيل والفرات)، كما تتمثل بالكثبان الرملية والصحراء العربية الآسيوية (صحراء الربع الخالي)، والأفريقية (الصحراء الكبرى) في غرب مصر، وشرق ليبيا وغربها، ووسط الجزائر في العِرقَيْن: الشرقي الكبير، والغربي الكبير.

٣ ـ الجِيُومُورْفُولُوجْيَا

تَنْعكِس ظروف البناء الجيولوجي التي ذكرناها على مظاهر التضاريس في الصحاري العربية، حيث تَخْتلِف وتَنوّع من منطقةٍ إلى أخرى، وهذه من المزايا التي تجعلُ منها عُنصرَ جَذْبٍ سياحي كذلك، وتنقسم أشكال السطح (الجِيُومُورْفُولُوجْيَا (Geomorphology)) في الصحاري العربية إلى ثلاثة أقسام رئيسة[٥]: الهضاب والجبال والسهول، وسيتم دراسة هذه الأشكال بما يخدم الهدف العام لهذه الدراسة[٦]:

● **الهضاب**: تَشمل مُعظم أراضي الصحاري العربية من حيث المساحة، وتتوزّع جغرافيًا على قارتَيْ آسيا وأفريقيا، وتنقسم إلى قسمين:

(١) هضبة شبه الجزيرة العربية: تشغل الجزء الأكبر من أراضي الجناح الشرقي للوطن العربي في آسيا، حيث تمتدّ من الحدود الشمالية عند مرتفعات طوروس شمالًا، إلى بحر العرب جنوبًا، ومن هضاب البحر الأحمر غربًا، إلى ساحل الخليج العربي، ومُرتفعات عمان شرقًا، وتتنوّع الأشكال المورفولوجية فيها على النحو التالي:

(أ) مجموعة من الهضاب الصحراوية الفرعيّة: وهي هضاب بادية الشام ونجد وحضرموت، تُغطّيها الرمال والحصى، ويبلغ متوسط ارتفاع بادية الشام ١٩٨٠ قدمًا فوق مستوى سطح البحر، ولا يرتفع عن هذا المتوسط سوى جبال: الدّروز (٦٥٦٠ قدمًا)، والشّعر (٤١٩٠ قدمًا)، والبويضة (٤١٥٠ قدمًا)، أمّا هضبة نجد فينحصر متوسّط ارتفاعها بين ١٦٥٠ و٣٠٠٠ قدم، وهي تتوسّط شبه جزيرة العرب، وتتنوع تضاريسها بشكلٍ كبير[٧]. أمّا هضبة حضرموت فتشغل المنطقة الجنوبية من هضبة شبه الجزيرة العربية،

---

(٥) انظر الموسوعة الجغرافية المصغرة على الموقع الإلكتروني: <http://www.mogatel.com/openshare/Behoth/GeographyII/>.

(٦) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ٤، ص ٢٥٢ من هذا الكتاب.

(٧) وللتعرف إلى أشكال التضاريس المتنوعة في هضبة نجد انظر: عبد الرحمن صادق الشريف، **جغرافية المملكة العربية السعودية**، ط ٦ (الرياض: دار المريخ للنشر، ٢٠٠٢)، ص ٧٦ ـ ٧٩، ومحمود محمد سيف، **جغرافية المملكة العربية السعودية** (الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨)، ص ٥٣ ـ ٥٥.

وتوجد بين صحراء الربع الخالي شمالًا، وساحل بحر العرب جنوبًا.

(ب) مجموعة من الأحواض التي تنتشر في هضبة شبه الجزيرة العربية: وهي أحواض ومناطق مُنخفضة محصورة بين الهضاب السّابقة الذّكر، مليئة بالإرسابات الرملية التي تظهر على شكل صحاري عظيمة، أهمها: النفوذ والدهناء والربع الخالي، التي تُشكّل عُروقًا رملية هائلة، أكثرها اتّساعًا صحراء الربع الخالي التي تبلغ مساحتها ٦٤٠,٠٠٠ كلم٢، وهي أكبر بحر رملي في العالم[٨]. أما صحراء النفوذ فتبلغ مساحتها ٥٦٣٢٠ كلم٢، وصحراء الدهناء هي أكثر الصحاري امتدادًا من الشمال إلى الجنوب، تمتد على شكل قوس أو هلال مفتوح إلى الغرب، يصل بين رمال النفوذ الكبير والربع الخالي، بطول ١٢٠٠ كلم، وتُشكّل هذه الصحاري ما نسبته ٣٤ في المئة من جُملةِ مساحة المملكة العربية السعودية[٩].

(٢) هضبة أفريقيا العربية: تتمثل بشكلٍ عامٍّ بهضبة الصحراء الكُبرى التي تمتدّ من ساحل المحيط الأطلسي غربًا، إلى مرتفعات البحر الأحمر شرقًا، ومن ساحل البحر المتوسط وأطراف جبال الأطلس الجنوبية شمالًا، إلى مسافة ٢٠٠٠ كلم جنوبًا، ويبلغ متوسط ارتفاعها بين ٦٤٠ و٤٩٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر، ويمكن تَمْيِيْز الأشكال التضاريسية التالية:

(أ) نطاق الحافّات المُرتفعة، المُمتدة من الجنوب الشرقي، إلى الشمال الغربي لتقسم سطح الهضبة إلى قسمين شرقي وغربي، ويمثل هذا النطاق جبلُ العوينات ومرتفعات دارفور.

---

(٨) عَرَف العرب صحراء الربع الخالي بأسماء مختلفة بحسب المواقع مثل: رملة «صيهلا»، ورملة يبرين في الشمال، وكان يعرف الجزء الغربي منها باسم صحراء الأحقاف، ويُطلق على الجزء الثاني من الأحقاف الآن اسم رملة يام، وأما الأجزاء الشرقية منها فتسمى صحراء الجافورة التي تشرف مباشرة على الخليج العربي، واستخرج من الأطراف الشمالية لصحراء الربع الخالي النفط، وفيها احتياطي ضخم من النفط الغائر، وأما صحراء النفوذ فكانت تعرف في العهود الماضية باسم رملة عالج ورملة بحتر، للمزيد انظر: الشريف، ص ٨٢-٨٤.

(٩) تبلغ مساحة المملكة العربية السعودية ٢,٢٥٣,٣٥٥ كلم٢، تؤلف ٨٠ في المئة من مساحة شبه الجزيرة العربية. انظر: سيف، ص ٥.

(ب) مجموعة من الأحواض، أهمها من الغرب إلى الشرق: تاوديني (جنوب شرق موريتانيا)، بسكره (الجزائر)، فزّان (ليبيا)، القطّارة والنّطرون ووادي النيل (مصر).

(ج) مجموعة الواحات المنتشرة في المنخفضات والأحواض الصحراوية، من أهمها: غدامس (ليبيا)، توغورت وجرواية وورقلة وعين صالح (الجزائر)، تافيللت (المغرب)، الداخلة والخارجة والفرافرة وسيوه (مصر).

(د) الكثبان الرملية: تشغل مساحات واسعة من الصحراء، ويُعدّ بحر الرمال (في غرب مصر) أهم النطاقات الرملية في هضبة الصحراء الكبرى، وتأخذ الكثبان الرملية أشكالًا مختلفة تسمى الغرود (البرخان)[١٠].

(هـ) العُروق الرملية (الصحراء الرملية): تمتدّ الصحاري الرملية في نطاقات من العروق الرملية، منها: العِرْق الغربي الكبير في وسط الجزائر، والعِرْق الشرقي الكبير شرقها، الذي يمتدّ إلى شط الجريد (تونس)، وعِرْق إيجودي (إيجيدي) المُمتدّ بين كلٍّ من موريتانيا والجزائر.

(و) ـ السّرير أو الرِّق (الصحراء الصخرية)، وهي أسطح صخرية رملية واسعة، ومنها سرير كلانشو في برقة (ليبيا)، وتندروفوت جنوب غرب الجزائر.

(ز) الحَمَادَة (الصحراء الحصويّة): وهي شكل آخر من أشكال الصحراء، وهي نطاقات حصويّة السطح، ومن أمثلتها حمادة الحمراء غرب ليبيا، وحمادة تادميت وسط الجزائر، وحمادة درعا الممتدة بين الجزائر والمغرب.

---

(١٠) يمتدّ بحر الرمال الأعظم في جنوب غرب مصر من منطقة الجلف الكبير في أقصى جنوب غرب الصحراء الغربية، إلى منخفض واحة سيوه في الشمال، أي إنّه يمتد لمسافة ٨٠٠ كلم، ويبلغ عرضه ٣٠٠ كلم، ويتكون من رواسب رملية تغطي هذه المنطقة، ويصل عمقها في بعض المواقع ٨٥ م، ويتخلل هذه المنطقة كثبان رملية على شكل سلاسل طولية تسببها الرياح وتعرف بالغرود وهي كثبان طولية متوازية، يتألف كل غَرْدٍ منها من سلسلة من التلال الرملية تنتمي إلى النوع الهلالي المعروف بالبرخان، وقد يبلغ طول كل غرد منها ٦٠ كلم تقريبًا، أما عرضه فلا يزيد على بضع عشرات الأمتار. للمزيد انظر: **الموسوعة الجغرافية المصغرة.**

● الجبال: توجد على أطراف الصحاري العربية مجموعة من السلاسل الجبلية، وتنتشر جغرافيًا على أجزاء الحيّز المكاني للصحاري العربية، ففي آسيا العربية توجد مرتفعات بلاد الشام على الحافة الغربية لبادية الشام، ومن أهمّها: مُرتفعات الأكراد والزاوية وجبال لبنان الشرقية ومرتفعات الأردن، وامتدادها جنوبًا إلى مرتفعات الحجاز، وعلى أطراف صحاري أفريقيا العربية توجد جبال الأطلس وجبال البحر الأحمر.

● السّهول: تقل ظاهرة السهول (بالمعنى الزراعي) في الصحاري العربية، ويقتصر وجودها على الواحات والسهول المحاذية للأنهار (النيل مثلًا)، لكن السهول بمعنى الأرض المُستوية السطح، فتنتشر في الصحاري العربية، في بادية الشام، ومناطق عديدة من نجد، وفي أجزاء كثيرة من أفريقيا العربية، لكنها تحتاج إلى الاسْتِصلاح من خلال توفير العوامل المختلفة لها، وفي مقدمها المياه.

٤ ـ الظروف المناخية[١١]

من أكثر العوامل تأثيرًا في الظروف المناخية في الصحاري العربية وقوعها في منطقة الضغط المرتفع، التي يتوسّطها مَدار السّرطان، حيث يكُون الضّغط الجوي مُرتفعًا، وتتعرّض المنطقة للرياح الهابطة المُتضاغطة التي تُسبّب السُّخونة والجفاف، لذا تتّسم الصحاري العربية بالارتفاع الشديد في درجة الحرارة، وانخفاض الرطوبة النسبية، الأمر الذي يرفع من معدلات التبخر والنتح، وتأتي الصحاري العربية من ضمن أشدّ مناطق العالم حرارة من حيث المعدل السنوي لها، وسَنُرَكِّزُ في عَرْضِ الظروف المناخية على عُنْصُرَي الحرارة والمطر، باعتبارهما أهم العناصر المناخية المؤثّرة في السياحة.

ـ **الحرارة**: تُعدّ الصحاري العربية من أشدّ أقاليم العالم حرارةً، وبخاصّة في فصل الصيف، حين تكون الشمس عامودية على مدار السرطان الذي يتوسّط هذه الصحاري، حيث تقع الصّحاري العربية بين خَطَّيْ عرض ١٥° و٣٠° شمالًا، ففي بلدة العزيزية في ليبيا سُجّلت أعلى درجة حرارة في

---

(١١) السماك والجنابي، ص ٦٧ ـ ٧٩، وسعودي، ص ٥٢ ـ ٧٠.

العالم (٥٨ درجة مئوية)، وفي السعودية يبلغ مُتوسط درجة الحرارة (٦٣°) (الرياض)، وفي أسوان بمصر (٤٠°).

تمتاز الصحاري العربية بالتّطرّف في درجات الحرارة، لذا يتّسع المدى الحراري اليومي والسنوي فيها، حيث يبلغ المدى الحراري اليومي مثلًا في الرياض حوالى (٢١°)، وتَخْلُو الصحاري العربية من وجود مسطّحات مائية، وهذا يُساعد في ارتفاع درجات الحرارة فيها.

ـ **الأمطار**: تتفاوت الأمطار الساقطة على الصحاري العربية من حيث التوقيت والكمية، فهي تَنْدُر أحيانًا، ما يُؤدّي إلى سيادة الجفاف، ومن خلال دراسة العديد من المراجع عن الأمطار في الصحاري العربية، يُمكن تقسيمها إلى ثلاثة مناطق فرعية من حيث توقيت سقوط الأمطار:

(١) الأجزاء الشمالية من الصحاري العربية، وهي ذات أمطار شتوية قليلة جدًا، أو نادرة، تتبع إقليم البحر المتوسط.

(٢) الأجزاء الجنوبية من الصحاري العربية، وهي ذات أمطار صيفية قليلة جدًا، أو نادرة، وتتبع الإقليم الموسمي.

(٣) المنطقة الجافة النادرة الأمطار، وهي التي تقع بين المنطقتين السابقتين.

أما من حيث معدل سقوط الأمطار وكميتها، فيمكن تمييز ثلاث مناطق فرعية:

(أ) المنطقة الشديدة الجفاف: تشمل أجزاء كبيرة من الصحاري العربية، أهمها: منطقة الصحراء الكبرى التي تكوّن أجزاء من موريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر وصحراء الربع الخالي في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية.

(ب) المنطقة الجافّة: تشمل مساحة كبيرة تحيط بالصحراء، شديدة الجفاف في هذه البلدان كلّها.

(ج) المنطقة شبه الجافة وتشمل بادية الشام وأجزاء من اليمن، وتونس، والجزائر، وشمال السودان.

٥ ـ التنوّع البيولوجي أو الحَيَوي[١٢]

يُعتبر الغطاء النباتي من أهم المظاهر المميزة للأماكن بشكلٍ عام، لذا هناك من يعتبر أن الصحراء مُصطلح نباتي يُطلق على الأقاليم التي يندر فيها النبات، وذلك بسبب الظروف الطبيعية التي لا تسمح بقيام حياة نباتية بشكل متكرر.

بالنسبة إلى الصحاري العربية تَقلّ ظاهرة النبات، ومُعظم هذه النباتات تتحمّل الجفاف الشديد، بل تُقاوم هذا الجفاف وتَتحايل عليه بطرقٍ عدّة، ومِن أهمّها: اختِزان المياه في سيقانها وأوراقها، كما في نباتات الصُّبير، أو امتصاص النباتات إلى ما تحتاجه من الرطوبة من الندى أو الضباب، أو امتداد الجذور إلى أعماق بعيدة من السطح حتى تصل إلى منسوب المياه الجوفية، مثل أشجار النخيل التي تناسب البيئة الصحراوية الجافة وشبه الجافة[١٣]، كما تصغر أوراق بعض الأشجار حتى لتصبح أشواكًا.

تتساقط البُذور من بعض هذه النباتات، وتظلِ موجودة في التربة إلى حين تساقط الأمطار في المواسم التالية، ومن أنواعها: الشّيح والقيصوم والسّنط والغضا والعَجْرَم.

يُمكن تمييز نطاقَيْن انتقاليَيْن من الغطاء النباتي يَقَعان على أطراف الصحراء، ففي الشمال يوجد نطاق عُشْبِيٍّ ينتمي لإقليم البحر المتوسط، وفي الجنوب نطاق عُشْبي آخر ينتمي للإقليم المداري، وعمومًا يتوقّف ظهور النبات في الإقليم الصحراوي على سُقوط المطر السّيْلي النادِر، ولا تنمو الأشجار إلّا في الواحات.

أمّا بالنسبة إلى الحياة الحيوانية في الصحاري العربية فضعيفة، لكنها متنوّعة، إذْ يعيش فيها الغزال وبعض الوُعول والوضيحي النادر الوجود

---

(١٢) مضيوف الفرا [وآخرون]، **الجغرافيا الطبيعية والبيئات**، ط ١٣ (الدوحة: مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٣)، ص ١٢٥ ـ ١٢٦؛ سامح غرايبة ويحيى فرحان، **المدخل إلى العلوم البيئية**، ط ٣ (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩١)، ص ١٠٩ ـ ١١٠؛ السماك والجنابي، ص ٨٨، و**الموسوعة الجغرافية المصغرة**.

(١٣) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ٢، ص ٢٦٩ من هذا الكتاب.

(يوجد عدد قليل منه في الربع الخالي فقط) والأرانب والضب والذئاب والضباع، أما القوارض فأبرز أنواع الثدييات التي توجد في الصحاري، وأهمها الثعالب، وتسود السحالي والأفاعي، وعمومًا تمتاز حيوانات البيئة الصحراوية بقدرتها على الرّكض والحَفْر والقَفْز واحتمال الجُوع والعطش.

تقلّ ظاهرة الطيور في الصحراء، ومن أهم أنواعها الحباري والنسور. ويُعتبر الجمل أهم الحيوانات الأليفة فيها، وسُمّي بسفينة الصحراء نظرًا إلى قدرته على السير في الرمال، وتحمّل الجوع والعطش لأيام عدة.

٦ ـ المياه

الصحاري العربية، مثل غيرها من الصحاري، تكاد تخلو من المطر، ذلك أن مجموع المطر السنوي في معظم جهاتها لا تتعدّى عشرة سنتيمترات، وتعتمد الحياة البشرية لسكان الصحاري على المياه الجوفية التي توجد بكميات وفيرة، ومن المدن التي تمثل هذا النظام من المطر على سبيل المثال الرياض وأسوان وعين صالح (الجزائر)[١٤].

من الجدير بالذكر، أنّ أغلبية المياه الجوفية في الصحاري العربية تعود في تكوينها إلى العصور المطيرة (The phersal Ages) التي بدأت منذ ٦ مليون سنة قبل الميلاد، وانتهت منذ ٢٠ ألف سنة قبل الميلاد، ولذلك تسمى مياه أحفوريّة (Fossils Water).

الصحاري العربية ثمينة في مياهها الجوفية، إذ على سبيل المثال، حوض الماء الجوفي المُسمّى حوض النفوذ الرسوبي الكبير في السعودية، صحراوي يقع في شمال ووسط المملكة، ليضم مناطق القصيم وشرق حائل والنفوذ الكبير ومنطقة العلا ـ تبوك، وتبلغ مساحة ٣٧٥ ألف كلم^{٢}، كما يوجد في السعودية أحواض مائية أخرى مثل: حوض منطقة الربع الخالي، وتبلغ مساحته ٦٤٠ ألف كلم^{٢}، وحوض هضبة نجد الشرقية، وتبلغ مساحته ١٠٨ ألف كلم^{٢}[١٥].

(١٤) السماك والجنابي، ص ٧٥.

(١٥) سيف، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

ما ينطبق على الصحاري العربية الآسيوية، ينطبق على الصحاري العربية الأفريقية، وبخاصّة صحراء مصر الغربية، والعديد من الواحات في ليبيا والجزائر(١٦).

٧ ـ التّربـة(١٧)

تتكوّن تربة (Soil) الصحاري العربية في مُعظمها من الرمال الناعمة والحصى، ويَغلب على لونها الأصفر أو الرّمادي، الذي يغلب عليه الحُمرة في بعض الحالات، وتُعد التربة في الواحات والأودية الجافة من أخصب نطاقات التربة الصحراوية، وصالحه للعمليات الزراعية، حيث تتوافر فيها نسبة محدودة من العناصر العضوية وترتفع بها نسبة الأملاح(١٨).

تفتقر الصحاري إلى عنصرٍ مهمٍّ من العناصر الغذائية في التربة، أي المواد العضوية المُتخلّفة عن النبات والحيوان، ولذا يتعاون الجفاف مع التربة على عدم قيام حياة زراعية، ومع ذلك هناك مُحاولات جادة من قبل الدول العربية لاستصلاح هذه التربات واستزراعها(١٩)، وترتفع عادة نسبة الأملاح الذائبة في الطبقة السطحية من التربات الصحراوية بسبب قلة الأمطار.

---

(١٦) من أفضل الأمثلة على كميات المياه الجوفية في الصحاري العربية، هو مشروع النهر الصناعي العظيم في ليبيا الذي يعتمد على نقل المياه الجوفية من وسط وجنوب ليبيا إلى شمال الدولة في بنغازي وطرابلس، الأمر الذي ساعد كثيرًا في توطن واستقرار السكان. انظر: **الموسوعة الجغرافية المصغرة.**

(١٧) السماك والجنابي، ص ٨٤-٨٥.

(١٨) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ٣، ص ٢٧٠ من هذا الكتاب.

(١٩) للتعرّف إلى هذه المحاولات نشير إلى دور المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة التابع لجامعة الدول العربية (Acsad)، الذي أُسس منذ عام ١٩٦٨، ويهدف إلى تنمية وتطوير المناطق الجافة وشبه الجافة العربية، واستثمارها بشكل أمثل، لتحقيق النمو الاقتصادي والاجتماعي من خلال برامجه العديدة في مجالات المياه والتربة والنبات ورعاية التنوع الحيوي بشكل عام. حيث جرى في ١٤/ ٥/ ٢٠٠٦ عقد حلقة عمل حول واقع الصحاري العربية بالتعاون مع كل من مركز الخليج للأبحاث (GRC)، ومنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة - مكتب أمم الشرق الأدنى في القاهرة (FAO/RNE)، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة - المكتب الإقليمي لدول غرب آسيا (UNEP/ROWA)، ومركز التنمية والبيئة للإقليم العربي وأوروبا (سيداري (CEDARE))، حيث نوقشت العديد من الأوراق التي تركز على واقع الصحاري العربية وإمكانات تطويرها، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <http://www.acsad.org/Departments.asp>.

تؤدّي الرياح دورًا مهمًا في تعرية التربة الصحراوية من خلال عمليّات النحت والنقل والإرساب (Erosion - Transport - sediment)، خصوصًا في مساحات من الترابات الصحراوية التي تُشكّل تُرباتٍ مناسبةٍ للتوسّع الزراعي الرّعوي إذا توافرت المياه اللازمة للنشاط البشري، وتتكوّن هذه الترابات على شكل «بهادا»، أي أراضي مَرْوحيّات رسوبيّة عند حَضِيْض المُنحدرات في الصحاري، وأشباه الصحاري العربية.

ثانيًا: الملامح الجغرافية البشرية

يتكوّن المجتمع في الصحاري العربية من غير المُستقِرين، أي البدو الرُحّل، ومن المُستقرِين، أي سُكان الواحات والقرى الزراعية والمُدن، ولا يوجد ـ حتى الآن ـ إحصاء رسمي لعدد السكان في الصحاري العربيّة.

كانت البداوة هي طابع الحياة السائد في مجتمعات الصحاري العربية حتى فترة قريبة، لأنّ مُعظم المُستقرين كانوا ينتمون إلى أصول قبليّة، ويحافظون على ذلك الانتماء ويفتخرون به، ويعتبرون أنفسهم في مركز اجتماعي مُمَيّز، ولذا فإن العادات والتقاليد الأصيلة التي يتمسّك بها المجتمع العربي الصحراوي هي عادات المجتمع الرعوي وتقاليده.

كان للتغيّر الاقتصادي الذي طرأ على المجتمعات الصحراوية منذ أواسط القرن العشرين أثرٌ كبيرٌ، وذلك مع دخول الدول العربية عهدًا جديدًا من التحوّل الاجتماعي، بعد برامج التّوطين التي قامت بها معظم هذه الدول لشعوبها الصحراويّة، وبخاصة بعد اكتشاف النفط في كل من شبه الجزيرة العربية، وأقطار أفريقيا العربية (ليبيا والجزائر مثلًا)، فعلى سبيل المثال لا الحصر ظهر الاتجاه نحو استقرار البدو في وقت مبكر من تأسيس المملكة العربية السعودية، حيث دعا الملك عبد العزيز إلى إنشاء مستوطنات البادية التي أطلق عليها اسم «الهِجَر»، وتوسعت دول الخليج في توطين البدو، واهتمت بهذه الشريحة من المجتمع اهتمامًا كبيرًا، كما قامت معظم الدول العربية في عملية التوطين هذه وبأشكال ودرجات متفاوتة من الاهتمام[٢٠].

---

(٢٠) بدأت حركة توطين البدو في المملكة العربية السعودية بإنشاء هجرة الأرطاوية الواقعة إلى الشرق من مدينة الزلفي في عام ١٩١٢، وتتابع إنشاء الهجر حتى بلغ عددها ١١٢ هجرة عام ١٩٢٢، =

١ ـ أصول السكان[٢١]

تمتّعت الأجزاء الجنوبية من شبه الجزيرة العربية وباقي مناطقها بما فيها الأجزاء الصحراوية بالدفء والمطر، فكانت بذلك من أكثر مناطق العالم ملاءمة لحياة الإنسان وتطوره الحضاري، نظرًا إلى ملاءمتها لنمو الحشائش والأشجار، ولمعيشة حيوانات الصيد، وسماحها للإنسان بحرية الحركة والتجوّل أكثر مما تسمح به المناطق الباردة والمُضرّسة، إلّا أنها تعرضت إلى تغيرات مناخية في نهاية العصر الجليدي الأخير في حدود عام ٢٠,٠٠٠ ق. م، الأمر الذي أدّى إلى انحباس الأمطار واندثار الأنهار، فأخذ الجفاف ينتشر منذ ذلك الحين في النطاق الصحراوي.

نظرًا إلى الظروف السّابقة اضطر الإنسان والحيوان للهجرة إلى أماكن ذات موارد مائية دائمة، فكان أن توجّه هؤلاء السكان الساميّون العرب[٢٢] إلى شمال الجزيرة العربية، ومنها أخذوا يتوزّعون على أطراف الهلال الخصيب (Fertile Crescent) المجاور لها على شكل موجات متعاقبة، فمنهم من توجّه شرقًا نحو بلاد الرافدين، وبصورة خاصة نحو نهر الفرات، ومنهم من استقرّ في فلسطين وسورية ولبنان، وهناك من توجّه غربًا نحو طور سيناء، وأطراف وادي النيل الأسفل الشرقي[٢٣]، ومن خلال دراسةِ العديدِ

= حيث كانت الدولة تحفر الآبار وتبني المساجد وتعيّن الوعاظ والأئمة وتقدم المساعدات العينية حتى يرتبط الأفراد بالأرض، ويشتغلوا بالزراعة، ويقطعوا صلتهم بالإبل التي تربطهم بالبادية، وانتشر توطن البدو التلقائي في عموم المملكة بفترات متفاوتة، وكان في المنطقة الشرقية منذ الثلاثينيات من القرن العشرين. لم تغفل الخطط التنموية الخمسية التي صدرت منذ عام ١٩٧٠ من إدراج عملية التوطين في البوادي والصحاري السعودية، وما ينطبق على السعودية ينطبق على مختلف دول الخليج والدول العربية الأخرى، للمزيد انظر: الشريف، ص ١٦٧ ـ ١٦٩؛ خليف غرايبة، «سياسات التنمية المكانية في المملكة العربية السعودية،» **مجلة بحوث كلية الآداب** (جامعة المنوفية)، العدد ٦٩ (نيسان/أبريل ٢٠٠٧)، ص ١٤٥ ـ ١٩٥، ومحمد أبو حشيش، «التوطين التلقائي في البادية الأردنية،» (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، ١٩٩٠).

(٢١) للمزيد عن أصول السكان والهجرات العربية التي كانت وراءها وامتزاجها انظر: أحمد سوسه، **العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية**، ط ٦ (دمشق: العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦)، ص ٨١ ـ ٢٢٣، والسماك والجنابي، ص ٩٥-٩٨.

(٢٢) نِسبةً إلى سام بن نوح عليه السلام.

(٢٣) يُطلق عادةً مصطلح «الهلال الخصيب» على القسم الخصيب الهلالي الشكل الذي يقع =

من المراجع المهمّة في هذا الموضوع، يمكن إيجاز أهم هذه الهجرات وإبرازها كما يلي[٢٤]:

ـ الكنعانيّون إلى «فلسطين» في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد.

- العموريون إلى «فلسطين» و«سورية» و«العراق»، وكانت في الفترة نفسها التي هاجر فيها الكنعانيون إلى «فلسطين».

ـ الآراميّون إلى «سورية» و«العراق» في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد.

ـ الأكاديون إلى وادي الرافدين، وعاصرت الهجرات السابقة تقريبًا.

ـ القبائل العربية إلى «مصر»[٢٥] (الهكسوس) في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد.

ـ الأشوريون إلى بلاد الرافدين في أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد.

ـ الكلدانيون (الآراميون) إلى بلاد الرافدين منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

ـ الحوريون إلى «سورية» و«العراق» و«فلسطين» منذ منتصف الألف الثانية ق. م.

= على أطراف شبه الجزيرة العربية الشرقية والشمالية والغربية، ويشمل سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والعراق، وبعضهم يُدخل الجزء الشمالي من وادي النيل ضمن الهلال. وأول من قال بهذا المصطلح بريستد، وسَمّاهُ (The Fertile Crescent). انظر: سوسه، ص ٨١.

(٢٤) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ٥، ص ٢٥٣ من هذا الكتاب.

(٢٥) يروي طه باقر أن الباحثين في أصول أقوام الشرق الأدنى يرون أن هجرة مهمة من العرب الساميين ذهبت إلى مصر، واختلطت بالسكان الأصليين فنتج من هذا الاختلاط بينها وبين الحاميين (نسبة إلى حام بن نوح عليه السلام) الأصليين المصريون كما نعرفهم في التاريخ. للمزيد عن الساميين وهجراتهم انظر: طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ٢ ج، ط ٢ (بغداد: شركة التجارة والطباعة، ١٩٥٥)، ج ١: **تاريخ الفرات القديم**، ص ١١٥ ـ ١٢١.

مما يُستدل به على قدم نزوح الساميين إلى مصر أن «بتاح» أقدم آلهة المصريين هو إله سامي الأصل، وقال المؤرخ ماسبيرو: «إن لعروق المصريين الأقدمين والعرب والفينيقيين والكنعانيين روابط تشد بعضها إلى بعض وليس المصريون سوى ساميين انفصلوا عن مهد الساميين قبل غيرهم. كان المصريون يسمون هؤلاء العرب «منيوساتي»، «أي رعاة آسيا»، وصارت هذه القبائل تعرف لدى اليونانيين في وقت لاحق باسم «الهكسوس»، للمزيد انظر: سوسه، ص ١٦٦ ـ ١٧٠.

ـ الفلستينيون إلى «فلسطين» في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

ـ الهجرات العربية الساميّة المتأخرة (الأنباط والتدمريون والغساسنة (سورية)، والمناذرة وكندة والحضر (العراق)، والعرب الذين أقاموا مملكة الرها، وذلك في الفترة الممتدة بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي.

مما يُذكر في هذا المجال، أن هذه الجماعات لم تستقر في مستوطناتها الجديدة نتيجة حرب أو غزو، بل كانت قبل أن تحلّ فيها تنتقل من أرجاء البادية الفسيحة في أرض مكشوفة مفتوحة للجميع، فتقصد الماء أينما وجد، وكان جميع المهاجرين من عنصرٍ واحدٍ، تربطهم تقارب اللغة، والبيئة الصحراوي، وكانت مستوطناتهم تخضع لحكم قبلي عشائري مُستمد من الأعراف والتقاليد المتوارثة من المجتمع البدوي، ومن المُعتقد أن الهجرة كانت تجري بصورة تدريجية.

نستنتج من العرض الموجز السابق أنّ شبه جزيرة العرب كانت الينبوع الرئيس الذي انبعثت منه هذه الهجرات التي استمرّت فترة طالت أكثر من ٢٥٠٠ سنة بصورة متواصلة، حتى ظهرت الموجة العربية الإسلامية الكبرى التي شملت «الهلال الخصيب»، وشمال أفريقيا حتى الأندلس.

استمرّت هذه الهجرات بعد ذلك، ومن أحدث الهجرات العربية[٢٦]:

ـ هجرة قبائل شمّر من ديارها في أرض نجد (منطقة حائل) على موجتيْن إلى العراق: **الأولى**، قبل خمسمئة عام، وهم من جماعة «الغرير» التي صارت تمارس الزراعة في منطقة المحمودية، وجماعة «زوبع» في الفلوجة؛ **والثانية**، قبل ثلاثمئة سنة تقريبًا (نحو عام ١٧٥٠)، من عشائر «شمر الجربا»، واستمرت أفخاذ شمر في الهجرة حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى.

ـ هجرة قبيلة عنزه من أنحاء المدينة المنورة، وينحدر من هذه القبيلة آل سعود ملوك السعودية، وكذلك آل صباح في الكويت، وآل خليفه في

---

(٢٦) سوسه، ص ٨٣ ـ ٨٥.

البحرين، وهاجر قسم كبير من قبيلة عنزة إلى العراق مع مجيء شمر الجربا، وتُقسم إلى فرعين رئيسين: **الأول** مركزه الرّطبة ويُدعى بقبائل العمارات، و**الثاني** يسمى الدهامشة، ومركزه نقره السلمان(٢٧).

هكذا يُلاحظ أن سكان الصحاري العربية هم مزيج مُعقّد من أصول سامية جاءت واستوطنت هذه البقاع(٢٨)، وتزاوجت من سكان المناطق المُحيطة بها وتكوّن هذا المزيج من السكان(٢٩).

٢ ـ الصحاري في الدول العربيّة (المكان والسّكان)

يُمكن القول إنّ ظاهرة البَداوَة من ناحية سكانية بدأت بالتلاشي وبشكل متفاوت بين أقطار الوطن العربي، لكن ظاهرة البداوة من الناحية المكانيّة (الجغرافيّة) لا تزال ماثلة للعيان، بل إن مساحة الصحراء الجغرافية بدأت تتّسع مع اتساع ظاهرة التصحّر في الآونة الأخيرة، ومع ذلك يُمكن الإشارة إلى موضوع البداوة مكانًا وسكانًا ـ لتبسيط الموضوع ـ بتقسيمهِ إلى:

أ ـ صحاري الدول العربيّة الآسيويّة

أهم القبائل الّتي تسكنها هي:

ـ صحاري شبه الجزيرة العربية: تُشكل الصحراء ما نسبته ٩٥ في المئة من أراضي شبه الجزيرة العربية بأقطارها السبعة (السعودية واليمن والكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة وعُمان)، ولا يُستثنى من الصحراء في شبه الجزيرة العربية إلا الحجاز الجنوبي وجبال عسير وحضرموت والجبل الأخضر (عُمان)، ويُمكن اعتبار بقية أراضي شبه الجزيرة العربية صحاري،

---

(٢٧) نوري خليل البرازي، **البداوة والاستقرار في العراق** (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٩)، ص ١٢٦ ـ ١٣١.

(٢٨) نُشير في هذا المجال إلى قضية مهمة جدًا تتمثّل في أنّ الآراء والأفكار التي تناولت أصل العرب، وقالت إنهم أحد فروع المجموعة القوقازية، أو السلالة البيضاء - ومنهم الساميون - التي نَزَحَتْ في العصور القديمة إلى منطقة البحر المتوسط، ثم انتشرت بعد ذلك في الأراضي العربية، هي آراء وأفكار لا تَستنِد إلى دليل أو قرينة دقيقة. انظر: السماك والجنابي، ص ٩٧.

(٢٩) صلاح الدين علي الشامي وفؤاد محمد الصقار، **جغرافية الوطن العربي الكبير**، الكتب الجغرافية، ط ٣ (الإسكندرية، مصر: منشأة المعارف، ١٩٧٥)، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

وبدرجاتٍ متفاوتةٍ، وأهم القبائل العربية التي تسكنها هي[٣٠]:

● قبائل شَمّر وعنزة وحرب وعتيبة والدواسر في نجد.

● قبائل بنو يام ومره والسار والرشيد والمناصير وبنو خالد على أطراف الربع الخالي.

● قبائل العُجمان وبنو خالد ومطير على أطراف الدهناء والساحل الشرقي.

● قبائل عنزة وبِلي وجُهيْنة وبنو عطية وهتيم والحويطات في الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية.

ـ بادية الشام وصحراء غرب العراق: وهي منطقةٌ قريبةٌ من الاستدارة، تجوّلت بها القبائل البدوية التالية طلبًا للماء والكلأ[٣١]:

● قبائل بادية العراق: شمر وعنزة والعبيد والجبور والدليم وتفرعاتها.

● قبائل بادية الشام عمومًا: وهي فروع من شمر وعنزة والعقيدات وبنو خالد والحويطات والشرارات والزعوب والسرحان والعيسى وبني صخر والسردية وأهل الجبل (العظامات والمساعيد والشرفات) والفضل وزبيد والعمور وبنو حسن والنعيمات وبنو عطية والحجايا والقبائل العربية في النقب وبئر السبع في فلسطين، ونستطيع القول إنّ أكبر القبائل الموجودة في صحاري الدول العربية الآسيوية هما قبيلتا شمّر وعنزة[٣٢].

---

(٣٠) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ٦، ص ٢٥٤ من هذا الكتاب.

(٣١) المعرفة الشخصية الجيدة للباحث بقبائل بادية الشام وغرب العراق ومعايشته لهذه القبائل في أثناء الدراسة والتدريس واهتمامه العلمي والشخصي بها خلال الفترة المحصورة بين عام ١٩٧٢ وحتى الآن.

(٣٢) لأهمية قبيلتي عنزة وشمر لا بد من إعطاء فكرة موجزة عن كل منها:

ـ قبيلة عنزة: من أكبر القبائل العربية، وتعود في أصولها إلى وائل بن قاسط من بني ربيعة، يسكنون مناطق واسعة في السعودية، ومعظم دول الخليج وفي العراق وسورية، وهناك فروع تحضرت من قبيلة عنزة وتسكن معظم أقطار بلاد الشام، وتنقسم قبيلة عنزة إلى قسمين رئيسين هما: ضنا مسلم، وضنا بشر، وتنقسم مسلم إلى قسمين الجلاس، ووهب، وأما بشر فتنقسم إلى قسمين كذلك هي ضنا عبيد، والعمارات، وأشهر فروع وهب هم ولد علي، والمنابهة، والشراعبة، وأكبر فروع العمارات السلقا والدهامشة، وأما ضنا عبيد فأكبر فروعها ولد سليمان والفدعان والسبعة، ويزيد عدد أفراد هذه القبيلة على ثلاثة ملايين في مختلف الأقطار المتواجدة بها، للمزيد انظر: عبد الله بن دهيمش العنزي، **أصدق الدلائل في أنساب بني وائل: قبائل عنزة**، ط ٤ (الرياض: المؤلف، ١٩٩٧). =

ب ـ الصحاري في الدول العربية الأفريقية

يُمكن الإشارة إلى أهم القبائل العربية التي تسكنها كما يلي:

ـ الصحاري المصرية: سيناء والصحراء الشّرقية والصحراء الغربية، وتسكنها قبائل أولاد علي والجوازي والبشاريين والعبابدة والجعافرة والأمازيغ (واحة سيوه) والمعازة.

ـ الصحراء الكبرى: تسكنها قبائل الطوارق والمرابطين والفواخير (ليبيا) والشعمبا (الجزائر) والرقيبات القواسمة (موريتانيا) وفروع من بني هلال (تونس)، لكن أكبر القبائل التي تتجوّل في الصحراء الكبرى هم الطوارق(٣٣).

= ـ قبيلة شمر: وترجع أصولها إلى ما قبل الإسلام بحوالى ٢٣٠ عامًا، حيث كانوا بطن من طي بأرض اليمن، ثم هاجروا إلى منطقة نجد، ويعتقد أن هذه القبيلة تعود إلى الملك قصي بن الملك شمر ملك اليمن، وقبيلة شمر قبيلة عربية عريقة الأصالة، ولها تاريخ حافل بالأمجاد والبطولات، ولهم حاضرتهم منذ الجاهلية في الجبلين أجا وسلمى وحاضرتها حائل، وتسكن حاليًا أراضي شاسعة في دول الخليج والعراق وبلاد الشام وعددها يزيد على ثلاثة ملايين نسمة وتنقسم قبيلة شمر إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

أ ـ عبده وتنقسم إلى ثلاثة فروع رئيسة هي الجعفر (ومنهم آل رشيد أمراء شمر) والربيعية واليحيا، ولكل فرع من هذه الفروع العديد من الأفخاذ.

ب ـ زوبع ويتفرّعون إلى الزميل والغفيلة والرمال والخرصة (ومنهم الهضبة، ومنهم الجربا شيوخ شمر)، وزوبع بن محمود والسويد.

ج ـ الأسلم وتنقسم إلى ثلاثة فروع كبرى هي: منيع بن عيسى، ووهب بن عيسى، وقبائل الصلته، وهناك العشرات من القبائل والأفخاذ المتفرعة من هذه الفروع، للمزيد انظر: جون فريديريك وليامس، **قبيلة شمر العربية: مكانتها وتاريخها السياسي، ١٨٠٠ ـ ١٩٥٨**، ترجمة مير بصري (بغداد: دار الحكمة، [د. ت.])؛ منصور الشمري، **قبيلة شمر- رسالة قصيرة** (الرياض: جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، ١٩٩٧)، وخاشع المعاضيدي، **من بعض أنساب العرب (أعالي الفرات)** (بغداد: دار النجفي، ١٩٨٦)، ص ٢٦.

(٣٣) ولأنّ قبيلة الطوارق هي أكبر القبائل التي تسكن الصحراء الكبرى لا بُدّ من إعطاء فكرة موجزه عنها:

ـ الطوارق الملثمون: فُرسان الصحراء الكبرى، يُقدّر وجودهم في أفريقيا بخمسة آلاف سنه، حيث كانوا في الساحل الشمالي، وهيمنوا على طرق التجارة عبر الصحراء، وكوّنوا «سلطنة العير»، وكانت عاصمتهم أغادير، وكان لهم دور بارز في الدعوة الإسلامية، وانتشار الإسلام في أفريقيا، وفي فترة الاستعمار الفرنسي تجزأوا في دول ليبيا والجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا والنيجر ومالي، ويعود الطوارق في أصولهم إلى منطقة «حمير» من اليمن، وينتمون في أنسابهم إلى: =

ـ الصحاري في السودان شرق النيل: حيث قبائل بشاريّة أم ناجي وبشارية أم علي والبجّاه (وهي أكبر القبائل) والهدندوة وبنو عامر، أما القبائل الواقعة في صحراء غرب النيل فأهمهم: الكبابيش والقرعان والبدايات والزغاوة(٣٤).

ـ صحاري الصومال: أغلب سُكان الصومال من أصول عربية، ومن قبائلهم: دغل ومرفلي والعيسى وهبر جعلو (الشيخ إسحاق) ومريحان (الدارودو)، وغيرهم من القبائل التي هاجرت إلى الصومال من الحجاز واليمن وحضرموت في أثر الفتوحات الإسلامية، وسكنوا أجزاء مُتفرّقة من الصومال مثل: هرجيسه وبرعه وبربره، وكان لهم دور كبير في إزالة حكم الأحباش قديمًا عن الصومال، ونشر الإسلام في ربوعه(٣٥).

٣ ـ أنماط الحياة الاجتماعية للسكان في الصحاري العربية

تتفاوت حِدّة البداوة من البداوة المُطلقة ونِصْف البداوة، إلى حالة الاستقرار كجماعاتٍ زراعية، نتيجة جهود الحكومات العربية في سياساتها للتنمية المكانية، المُتمثلة في ظاهرة التوطين المقصود (Localization)، والتوطين التلقائي، وذلك منذ بدايات ومنتصف القرن العشرين، وحتى فترة مُتأخّرة من القرن نفسه.

كانت شبه الجزيرة العربية تُمثّل المَوْطن الأساس لجميع القبائل العربية التي اتّجهت في فتراتٍ متتاليةٍ ـ كما لاحظنا ـ إلى أجزاء مُتفرّقةٍ مِنْ قارتَيْ

= أ ـ قبائل المتونه ومنهم يوسف بن تاشفين الذين أكد عروبته في قصة مشهورة عندما تولى السلطة حيث قال: ورثنا هذه البلاد من أجدادنا ملوك حمير.

ب ـ قبيلة مسوقة ويعتقد بأن أصولهم من زناته.

ج ـ قبائل شام إيناس وقدموا من الشام واسم القبيلة يعني ناس الشام، وهناك قبائل عديدة تندرج تحت الطوارق مثل قبيلة أفوناس، وقبيلة كل انتصر، وقبيلة كل أغلال، وقبيلة منغاسنت، ويقول الغرب عن الطوارق بربر أوروبيون وهذا غير صحيح. للمزيد انظر: «أشرقت عليهم الشمس كثيراً فتأثروا بها: «شعوب الأنكا».. فراعنة أمريكا الجنوبية،» إعداد أمير عبدالمنعم السيد، الجزيرة، ٥/ ٢/ ٢٠٠٣، على موقع الإلكتروني: <http://www.aljazeera.com.sa>, and <http://www.aljawariss.net/showthread.php>.

(٣٤) سعودي، ص ٥٣٤.

(٣٥) انظر الموقعين الإلكترونيين: <www.alashraf.ws/vb/showthread.php>, and <http://ar.wikipedia.org.wiki>.

آسيا وأفريقيا، وتَغَيّر نمط وأسلوب حياتهم، فمنهم من بقي يعيش حياة التجوال، ومنهم مَن استقر، واختلفت وتنوّعت حياة التنقّل، وحياة الاستقرار، في أسلوبهما ونَوْعِهما، لذا انقسم البدو بشكل عام إلى(٣٦):

أ ـ عرب البادية (أهل الوَبَر)

هؤلاء هم الذين يعيشون حياة التّجوال في الصحراء لمدة قد تصل إلى تسعة أشهر، يعتمدون أساسًا على تربية الإبل، ويتزوجون داخليًا، وينظرون نظرة دُنيا إلى ما عداهم(٣٧)، والطبقة الارستقراطية من هؤلاء هي طبقة الأشراف الذين يعتقدون أنهم من سلالة إسماعيل (عليه السلام)، ومنهم مطير والعُجمان وظافر ومرة والدواسر والمناصير والقواسم والحويطات والعوازم، ومن قبائل البادية أيضًا عنزة في شمال شبه الجزيرة العربية، وشمر في شمال نجد، وحرب في الحجاز.

ب ـ عَرَب دار

يعيشون في مستوى أقل من عرب البادية، وهم أشباه بدو، لأنهم فقدوا المنزلة الاجتماعية لقبائل البادية نتيجة استقرارهم في المدن لبعض الوقت.

ج ـ طبقة رُعاة الأغنام

أقل مرتبة من عرب البادية، لأنّهم يرعون الأغنام فقط للقبائل الكبرى، أو للمُستقرين في الواحات.

د ـ طبقة العرب المستقرين في منازل من الحجر أو من الطين (أهل المَدَر)

يَنْظرُ إليهم عرب البادية نظرة احتقار، لأنهم لا يتجوّلون، ولا يرعون الإبل(٣٨).

---

(٣٦) سعودي، ص ٢٦٤.

(٣٧) ويقول الشاعر المتنبي في تفضيل البداوة على الحضارة

حُسْنُ الحضارة مجلوبٌ بتطرية وفي البداوة حُسنٌ غير مجلوبِ.

(٣٨) Harold Richard Patrick Dickson, *The Arab of the Desert* (London: Allen and Unwin, 1959), p. 98.

من الأهميّة بمكان أن نُشير إلى قضية الطبقية (الفوارق الاجتماعية) التي كانت عند عرب الصحراء في شبه الجزيرة العربية قبل الهجرة، ثم تعمّقت أكثر بعد الهجرة في المناطق التي هاجروا إليها، واشتد الخلاف بينهم نتيجة هذه الطبقية، والقضية التي نقصدها هي: النزاع، حيث استمر هذا النزاع طيلة أدوارٍ تاريخيّةٍ عديدةٍ، لكنّ هذا النزاع لم يقضِ على بداوة الرَّعي التي سارت جنبًا إلى جنب مع الزراعة المستقرة بعد أن انفصل مجالهما، فسكن المزارعون حول ضفاف الأنهار وزرعوا الأرض، بينما تكيّف الرُّعاة مع طبيعة المرعى وطبيعة الحيوان، واتخذوا مسارحهم في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية.

مع مرور الأيام، وقسوة الظروف الصحراوية على البدو، ونعومتها على المزارعين والفلاحين المستقرين في الريف والمدن، شهدت مناطق الصحراء هجرة إلى مناطق الاستقرار، وبخاصة بعد قيام الحكومات العربية الرسمية في الرُّبع الأول من القرن العشرين، حيث اعتمدت هذه الحكومات على قوات منظمة من أبناء البادية في تثبيت الأمن والاستقرار في ربوع الصحاري من جهة، وقيام برامج توطين للسكان البدو من جهة أخرى.

على الرغم من تنامي المدن على حساب الريف والبادية، إلّا أن كثُرًا من سكان الصحراء لم يهجروا حياتهم، ومع انتشار ظاهرة إعمار الصحراء، وبخاصّة بعد اكتشاف المعادن فيها، وتحديدًا النفط، شهدت الصحراء قيام ثلاثة أنماط من الحياة الاجتماعية لسكّانها، ومن الأهمية هنا الإشارة إلى أننّا لا نستطيع أن نُعمّم على قبيلة معينة بأنّها لا تزال تعيش حالة البداوة، فقبائل عنزة وشمر والطوارق، هي من أكبر القبائل وأقدمها وأكثرها بداوة، توزّع أفرادها على هذه الأنماط، حيث استقر بعضهم وامتهنَ الزراعة، كما نلاحظ في كثير من قرى حائل (شمر)، والعديد من واحات القصيم أو شمال الحجاز (عنزة وغيرها)، وواحات الصحراء الكبرى (الطوارق).

كما أن العديد من أفراد هذه القبائل التحقوا بالوظائف العامة، وبالحِرَف المهنية التي كانوا ينظرون إليها نظرة دنيا، كما نلاحظ أفرادًا منهم

التحقوا بشركات النفط في المنطقة الشرقية (السعودية)، أو في مناطق في صحراء ليبيا (في الشركات العاملة في الزّلطن والظهرة ومبروك وغيرها)، أو في جنوب الجزائر (في شركات حقول حاسي مسعود وعجيله وزارزاتين وغيرها).

بذلك نستطيع القول إنّ أنماط الحياة الاجتماعية لسكّان الصّحاري العربية انقسمت إلى ثلاثة أقسام هي:

ـ **البدو الرّحل**: الذين استمروا على أسلوب حياة آبائهم وأجدادهم وهم قِلّة حاليًا.

ـ **سُكّان الرّيف**: الذين امتهنوا الزّراعة في الواحات المنتشرة في الصحاري العربية مثل واحات نجد والقصيم (السعودية)، وواحات بادية الشام (تدمر والأزرق والرطبة)، وواحات الصحراء الكبرى الكثيرة (جغبوب وغدامس وفزّان وورقلة وعين صالح وغيرها)، وهناك فئة بدويّة استقرت مُبكّرًا على ضفاف الأنهار، ومع مرور الزمن امتهنت الزراعة، مثل القبائل التي استقرت قريبًا من ضفاف دجلة والفرات (عنزة وشمر)، وضفاف النيل (جماعات من العبابدة والبشارية والكبابيش).

ـ **سُكّان المُدن**: تعود أصولهم إلى الصحراء، لكنهم استقروا في المدن، وانخرطوا في حِرَفٍ ومِهَنٍ أكثر دخلًا وأقلّ جُهدًا، وبخاصّة بعد اكتشاف النفط واستتباب الأمن في ربوع الصحاري، ونستطيع القول إنّ كُبريات مِن المُدن بل العواصم قامت في الصحاري نتيجة توافر العديد من عوامل الاستقرار والجَذْب السكّاني، والتخطيط الحكومي الرسمي[٣٩].

من أكثر الأمثلة وضوحًا على قيام المدن وازدهارها في مناطق صحراوية، هي ظاهرة انتشار المدن في المملكة العربية السعودية ودول الخليج، وبخاصة خلال القرن العشرين، ونستطيع القول إنّ معظم العواصم

---

(٣٩) أنظر مثلًا: عبد الإله أبو عياش، «التخطيط لمدن التنمية في الكويت،» **الرسائل الجغرافية**، العدد ٣٣، أيلول/سبتمبر ١٩٨١.

الخليجية هي من هذا النوع، مثل الرياض وأبو ظبي، وإن تفاوتت بقدم الظاهرة العمرانية فيها، إلا أن النفط هو القاسم المشترك في تضخّم هذه المدن وازدهارها.

ظاهرة المدن في الخليج بارزة للعيان مثل دبي والدوحة والبحرين، والدمام، وهناك مدن ظهرت نتيجة التّوطيْن المُخطّط للحكومات، مثل ظاهرة التوطين في عموم دول الخليج، وخير شاهد على ذلك مدن التابلاين في السعودية، مثل القيصومة وحفر الباطن ورفحا وعرعر وطريف شمال السعودية[٤٠].

يُمكن الإشارة إلى مدن صحراوية (سكنتها قبائل بدوية عربية) ظهرت وازدهرت لعوامل متعددة، منها:

ـ في العراق: الرطبة والرمادي ومدن نهر الفرات الواقعة في بادية السماوة، ومدن أعالي الفرات.

ـ في سورية: تدمر ودير الزور والسخنة والقريتين وغيرها.

ـ في الأردن: المفرق والزرقاء ومعان والأزرق والرويشد.

ـ في فلسطين: بئر السبع والعديد من التجمعات السكانية في صحراء النّقب.

ـ في مصر: التجمعات السكانية في واحات الخارجة والداخلة والفرافرة وسيوه ومنخفض القطارة، ويمكن اعتبار المُدن كلها الواقعة في الوجه القبلي في مصر هي مدن صحراوية في الواقع.

---

(٤٠) للمزيد عن ظاهرة التحضر التي نتجت من عوامل التخطيط أو التوطين انظر: خليف غرايبة، «التوزيع المكاني للسكان في مدينة عرعر بالمملكة العربية السعودية،» **مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية** (جامعة قطر)، السنة ٢٦، العدد ٢٦ (٢٠٠٣)، ص ١٥٣ ـ ١٩٥؛ صالح الهذلول وأحمد عمرش، «المدن الجديدة وإستراتيجية التخطيط الإقليمي ـ مدن خط التابلاين،» (حصل الباحث على نُسخة مصورة من هذا البحث من المهندس مفلح عواد العنزي، إدارة التخطيط العمراني ببلدية منطقة الحدود الشمالية، عرعر)، وحسن محمود علي الحديثي، «سياسات التنمية المكانية وعلاقتها بالتطور العمراني للمدن،» **مجلة الجمعية الجغرافية العراقية**، العدد ١٧ (١٩٨٦)، ص ١٦٥ ـ ١٩٢.

ـ في السودان: يمثلها المدن الواقعة في شمال السودان، في مديريات كسلا والشمال ودارفور.

ـ في ليبيا: المدن الواقعة في الوسط والجنوب الليبي، مثل أوجلة والكفرة وسبها وفزّان وزويلة وغات وغيرها.

ـ في الجزائر: المدن كلها الواقعة في الجنوب الجزائري، وبخاصة عند حقول النفط، مثل حاسي مسعود وحاسي الرمل وورقلة وغرداية والأغواط وبسكرة وأدرار وغيرها.

ـ في تونس: تشمل المدن كلها الواقعة إلى الجنوب من مدينة قفصه، وشط الجريد، مثل: قبلي ودوز ومطماطة وتطاوين والمدنين والجناين وتيارت (أقصى الجنوب).

ـ في المغرب: مثل ورزازات وزكورة وطرناطة وفزداطة وكتادا ومحاميد الغزلان.

ـ في موريتانيا: شنقيط ونعمة وإطار وتيشيت والعيون وغيرها.

ـ في الصومال: جالكمبو وحودر وبيدوة ولاس أنور وجردو وغيرها.

من العرض السابق نستنتج أن ظاهرة المدن انتشرت في الصحراء العربية بشكل واضح، وأنّ لدى الدول العربية كلها مدنًا صحراوية، باستثناء لبنان.

٤ ـ الأنشطة البشرية في الصحاري العربية

ظل سكّان الصحاري قليلي العدد، نظرًا إلى ما تميّزت به بيئتهم من فقرٍ في الإنتاج الزراعي، يعيشون في أسلوب حياة بسيط، حيث بقي النظام القبلي يسود حياتهم الاجتماعية، فالرجال رعاة يرحلون وراء العشب والكلأ بين أطراف الصحراء، والنساء يَقُمنَ على حرفة الزراعة البسيطة وسط الواحات، وفي بطون الأودية، حيث يتوافر الماء، أما بيوتهم فكانت من الخيام المصنوعة من شعر الماعز، وملابسهم من أصواف الأغنام، وكانت حرفة التجارة أهم الحرف لديهم وأفضلها، إذ كانوا ينقلون

البضائع نظير أجر زهيد، وربح قليل من أطراف الصحراء[٤١].

كانت القبائل الصحراوية تتصارع على الماء والكلأ، وكثيرون منهم ترك الصحراء إلى ما يجاورها من أقاليم أكثر غنى واستقرّ فيها، لكن الأمر تغيّر حاليًا عن ذي قبل، وذلك بفضل ما اكتُشف من ثروات معدنية في كثير من أجزاء الصحراء، مثل النفط والذهب، إذْ أصبحت تلك المناطق أماكن استقرارٍ وجَذبٍ بعد أن ظلت مدة طويلة مناطق طرد، وذلك بفضل تلك الثروات، كما حُفِرَتْ الآبار الارتوازية لتوفير الماء اللازم للشرب والري، واستُصْلِحتْ مساحات زراعية، وبُنِيَتْ المدن الحديثة، ومُهّدَتْ الطرق العديدة المرصوفة، بل مُدّت السكك الحديد لتربط مناطق التعدين بموانئ التصدير، وهنا هَرَع كثيرون من السكان إلى الاستيطان فيها، وترك كثيرون منهم حرفتهم السابقة، ولجأوا إلى حياة الاستقرار والإنتاج بدلًا التنقّل والتّرحال[٤٢].

---

(٤١) وخير دليل على احتراف بعض القبائل الصحراوية للتجارة هو احتراف الطوارق للتجارة بين الساحل والداخل عبر الصحراء الكبرى حيث كانوا يتاجرون بالذهب والعاج والابنوس والملح. انظر: الجزيرة، على الموقع الإلكتروني: <http://www.aljazeera.com.sa>.

(٤٢) الفرا [وآخرون]، ص ١٥٠ ـ ١٥١.

الفصل الثّاني

مُقوّمات الجذْب السّياحي في الصّحاري العربيّة

لأنّ الحياةَ شَجَنٌ وفنٌّ وإبداعٌ تبقى الحياة البدوية في قلب الصحراء مَزيجًا من ذلك كلّه، فهناك الطبيعة الساحرة، والجمال الذي لا يُوصف، والتنوّع الطبيعي والبشري الذي أبدعه الإله، وتُمثل الصحاري العربية النموذج الرائع لهذا التنوع المُثير الذي يمثّل بكلّ مُكوّناتهِ الرئيسة وتفرّعاتها مُقوّمات جَذْبٍ سياحيٍ تستهوي وتُحاكي كثيرين على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، ما يؤهّلها إلى أنْ تكون واحدةً من أهم مناطق الجذب السياحي في العالم.

من دراسة الملامح الجغرافية العامة للصحاري العربية ـ الطبيعية والبشرية ـ في الفصل الأول، نستطيع القول: تتعدّد مُقوّمات الجذب السياحي في الصّحاري العربية، من هُنا تمثّل مُكوّنات الصّحاري العربية عناصر جَذْبٍ سياحيٍّ، تساهم بشكل فاعل في أسس المُنْتج السياحي، ومن دونها لا يكون هناك سياحة صحراوية أصلًا، والتنمية السياحيّة تتطلّب دومًا تحديد مثل هذه العناصر بشكلٍ واضحٍ ودقيق، لكي يسهل التعامل معها واستغلالها وتطويرها والمحافظة عليها، من هنا تأتي أهمية دراسة هذا الفصل الذي يَهدِف إلى تحديد عناصر الجذب السياحي (الطبيعية، والبشرية) للصحاري العربية، وتتنوّع بشكلٍ يتناسبُ مع تعدّد مُكونات الصحراء نفسها، ويُمكننا تصنيف مقوّمات الجذب هذه إلى ثلاثة أقسام كبرى[1]:

---

(١) قام الباحث بتقسيم مُقوّمات الجَذب السياحي في البيئة الصحراوية العربية، وِفقًا لتوصيات مؤتمر ستوكهولم في تقسيمه للبيئة بشكل عام إلى ثلاثة عناصر هي: أ. البيئة الطبيعية. ب. البيئة الاجتماعية (البشرية). جـ. البيئة البيولوجية. للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.wildlife-pal.org/ environment>.

أولًا: مُقوّمات الجَذْب السّياحي الطبيعيّة في الصحاري العربية

تعتبر الطّبيعة الوعاء الذي تتمّ فيه التفاعلات والأنشطة والمؤثّرات كلها المتبادلة بين الإنسان والطبيعة، وتُمثل عناصر أساسية للسياحةِ الصّحراويةِ التي تعتبر جزءًا من السياحة البيئية (الطبيعية أو الجمالية)، وتتمثل هذه المُقوّمات بما يلي[٢]:

١ ـ مُقوّمات الجَذْب السياحي المستمدة من الموقع الجغرافي للصحاري العربية (القارّي والفَلَكِي)

تقع الصّحاري العربية قارِيًّا في قلب الوطن العربي الذي يقع بدوره في قلب العالم القديم، وبذلك تُمثّل الصحاري العربية إقليم اتصال بين قارات العالم، وبين أقاليم متباينةٍ في غِناها ومناخها، وعادات وتقاليد شعوبها، الأمر الذي يجعلها تُشكّل همزة وصْل، كما يجعلها قريبة من الأقاليم كلها، وتُشكّل منطقة عبورٍ برّيٍّ وبحريٍّ وجوّي.

أما بالنّسبة إلى موقع الصحاري العربية فَلَكِيًّا فتقع في عروضٍ حارّةٍ بشكلٍ عام، لكنها متفاوتة في درجات حرارتها هذه، بشكلٍ يجعل منها منطقةً جذب سياحي لسكان الدول الباردة، وبخاصة الأوروبيةً خلال فصلَيْ الشتاء والربيع، هذه الخصائص القارية والفلكية لموقع الصحاري العربية تُشكل مقوّمات طبيعية مهمة إذا جرى استثمارها جيدًا.

٢ ـ مُقوّمات الجَذْب السياحي المستمدة من البناء الجيولوجي والتضاريس للصحاري العربية

يُمكن تصنيف هذه المُقوّمات إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

أ ـ مقوّمات مستمدة من التركيب الجيولوجي (الصخري) للصحاري العربية

ينتمي بناء الصحاري العربية الجيولوجي إلى تكويناتٍ صخريّةٍ متفاوتةٍ

---

(٢) خليف غرايبة، **السياحة البيئية مع التركيز على الوطن العربي بشكل عام والأردن بشكل خاص** (عمان: دار يافا؛ دار الجنادرية، ٢٠٠٨)، ص ٢٥ ـ ٢٨.

في إعمارها وأنواعها وألوانها والمعادن التي تحويها، وإلى طبقاتٍ أرضيّةٍ، وتراكيبِ جيولوجيّة، ومكاشفَ صخريّةٍ بدأت تستهوي العديد من السيّاح، والمُغامِرين وهُواة استكشاف جماليات الطبيعة وعلومها[٣]، ويمكن تصنيف هذه المكوّنات بشكل عام إلى:

ـ صخور نارية (Igneous Rocks): مثل الغرانيت والبازلت، وهي أقدم الصخور في الصحاري العربية، ينتشر وجودها بشكلٍ واضح في نجد (الدِّرع العربي (Arabian Sheld))، بين صحاري الربع الخالي والنفوذ والدهناء، ويرتبط بهذه الصخور المعادن الفلزية مثل الذهب والنحاس والرصاص والقصدير وغيرها، وتمتاز هذه الصخور بصلابتها، وكِبَر حجم التكوينات الصخرية التي تتكون منها، وتُشكل في تراكمها وتجمّعاتها أشكالًا جميلةً يتخلّلها الممرّات والكهوف الطبيعية[٤]، ومِثل هذه التكوينات توجد في جبال تبستي والأحجار (الهقار) في الصحراء الكبرى، وفي منطقة حائل بالقرب من صحراء النفوذ.

ـ صخور رسوبية (Sedimentary Rocks): أشهر مُكوّناتها الكلس أو الجير، وتمتاز هذه الصخور بليونتها، يرتبط بها المعادن اللافلزية مثل النفط، والفوسفات وغيرها، وتُشكّل أغلبية الصحاري العربية الآسيوية والأفريقية، وتمتاز باحتوائها مُنْكَشفات صخرية، وأشكال وتكوينات جمالية، مثل المِيْسَا أو الهضبة المسطحة (Mesas)، والمُنادنوك أو الجبل المُتخلِّف (Monadnok)، والبيوت أو الشواهد (Bute)، وغيرها من الأشكال التضاريسية التي أدّت التعرية الهوائية دورًا كبيرًا في إبرازها، حيث قاوَمت التكوينات الصخرية الصلبة هذه التعرية، وضعفت أمامها التكوينات اللينة فأدت إلى بروزها بأشكال مختلفة جميلة في وَسَطٍ صحراويٍّ مُسْتَوٍ، وتنتشر هذه

---

(٣) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ٤، ص ٢٧٠ من هذا الكتاب.

(٤) تُشكّل جبال أجا وسلمى وتفرّعاتها جنوب صحراء النفوذ منطقة جذب لسكان منطقة حائل بشكل خاص، والمناطق المجاورة بشكل عام، حيث ينتشرون (وبخاصة في نهاية فصل الشتاء، وخلال فصل الربيع) على شكل رحلات تنزه واستجمام تسمّى مَحليًّا (القيلات ومفردها قيلولة)، وكان للباحث تجربة في تلك الأرجاء في أثناء فترة تدريسه في منطقة حائل (١٩٧٢ ـ ١٩٧٥م)، وكان المتنزهون يستظلون في التكوينات الصخرية الضخمة التي تحوي معابر ودهاليز أو تجاويف طبيعية، وكان لبعضها إطلالة جميلة جدًا (بحكم ارتفاعها) على الأفق البعيد الممتد عبر الصحراء.

الأشكال في طُول الصحاري العربية وعرضها، وتشكل علاماتٍ بارزة فيها، وتستهوي السيّاح، وتشكل عناصر جذب سياحي[٥].

ب ـ مُقوّمات مستمدة من الحركات التكتونية التي تعرّضت لها الصحاري العربية عبر الأزمنة الجيولوجية المختلفة

ساهمت هذه المُقوّمات في إبراز عوامل التنوع والإثارة في الصحراء العربية، التي نتجت من الحركات التي تعرضت لها في الأزمنة الجيولوجية الأربعة، ابتداءً من الزمن الأركي، وانتهاءً بالزمن الحديث، وما رافق ذلك من ظهور مُحدّباتٍ ومُقعّراتٍ وأشكالٍ مُتباينةٍ وغيرها.

ترتّب على الحركات التكتونية التي تعاقبت على الصحاري العربية ظهور الفوالق الرئيسة منها والفرعية، وأبرز هذه الفوالق هو البحر الأحمر الذي يمتد عبر الصحاري العربية، فيقسمها إلى قسمين آسيوي وأفريقي، كما تنتشر ظاهرة الانكسارات بأحجامها المختلفة في الصحاري العربية.

هناك ظاهرة سياحية جذّابة في الصحاري العربية نتجت من تدفق اللافا التي صاحبت ثوران البراكين في أثناء الحركات التكتونية، وتنتشر هذه

---

(٥) تحوي الصحراء أشكالًا تضاريسية جميلة تؤدي التعرية (Erosion) دورًا كبيرًا في تكويناتها مثل:

أ ـ الميسا (Mesa): وهو اصطلاح إسباني يطلق على الهضاب المسطحة التي تنحدر بشدة، ويرجع استواء سطح الهضبة إلى مقاومة الطبقات العلوية الصلبة لعوامل التعرية، ولكونها أفقية أدّت إلى وجود سطح متناسق مواز للطبقات.

ب ـ المنادنوك (Monadnock): جبل متخلف يرتفع فوق سهل، أو كتلة من الصخر ترتفع عن الأراضي المجاورة، نظرًا إلى أن صخور هذه الكتلة أكثر مقاومة لعوامل الحت من الصخور التي تتألف منها الأقاليم المجاورة.

ج ـ البيوت (Bute): الشواهد الجبلية، أو التلّة الشديدة الانحدار، أو الشواهد البركانية المتبقية من كتلة بركانية بعد أن تآكلت الصخور الأقل صلابة حولها، وهناك الشواهد الجيرية آو الكارستية. للمزيد انظر: يوسف توني، **معجم المصطلحات الجغرافية**، ط ٢ (القاهرة: دار الفكر العربي، [د. ت.])، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢، ٤٩٤ و٥٠٩ ـ ٥١٠.

هناك ظاهرات جيومورفولوجية صحراوية عديدة، نذكر منها البيدمونت (Peidiment)، والسهل التحاتي الصحراوي (Pedi plain)، والجبال الانفرادية (Inselbergs) وأودية المنحدرات (Gullies)، والباهادا (Bajada)، والورنيش الصحراوي (الطلاء الصحراوي (Desert varnish)). للمزيد انظر: كنيث والطون، **الأراضي الجافة**، ترجمة علي عبد الوهاب شاهين (الإسكندرية، مصر: منشأة المعارف، [١٩٧٢])، ص ٩٨ ـ ١٠٧.

التدفقات اللافية بمساحات واسعة على شكل طفوح سوداء، تضيف بُعدًا جماليًا آخر إلى الصحاري العربية الرملية والصخرية، وتأخذ هذه الطفوح (اللافا) أشكالًا متعددة يمكن تصنيفها إلى:

ـ المخاريط البركانية ذات القمم الشامخة في الوسط الصحراوي المستوى.

ـ الحرّات البركانية التي ينتشر وجودها في جوار صحراء النفوذ مثل حرّة خيبر وهتيم[٦].

ـ قِباب الحِمَم البركانية التي تعلوها أحيانًا بعض القمم الحادة بارتفاع بسيط، وأبرز مثال على ذلك جبل العرب (الدروز)، حيث يرتفع ١٩٦٥ مترًا في وسط بيئة صحراوية هي بادية الشام[٧].

ج ـ مُقوّمات مُستمدة من الأشكال التضاريسية الكبرى في الصحاري العربية

جرى عرضها سابقًا، وتتمثل بمجموعة الهضاب والجبال التي تتخلّل الصحراء العربية، ويمكن مُلاحظة بعض المظاهر والأشكال التضاريسية التي تستهوي السيّاح، وتضيف مجموعة من الإثارات إلى الصحراء التي تمتاز بهدوئها وسكينتها واستواء سطحها، وأهم هذه الأشكال[٨]:

ـ المنخفضات الواسعة المُغلقة مثل منخفض الجوف (الجزائر والسعودية)، ومنخفض فزّان (ليبيا)، ومنخفض بريدة وعنيزة (السعودية)، ومنخفض الحبانيّة وبحر النجف (العراق)، علاوةً على القيعان مثل قاع الديسة وقاع الجنز (الأردن)، وقاع العظامان وقاع البروديل (شمال السعودية)، بالإضافة إلى انتشار ظاهرة السبخات مثل سبخة أم السميم، وسبخة مطي (الإمارات العربية المتحدة).

ـ الأودية الطويلة الجافة الكثيرة، مثل أودية حوران والباطن والدواسر

---

(٦) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ٥، ص ٢٧١ من هذا الكتاب.

(٧) George B. Cressey, *Crossroads; Land and Life in South West Asia*, Maps (Chicago: J. B. Lippincott, 1960), p. 81.

(٨) رعد العاني، **الوجيز في الجغرافيا السياحية وسياحة المخيمات** (عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)، ص ١٨ ـ ١٩.

والرّمة وتربان والمسيلة في الجزء الآسيوي، وأودية قنا والعلاقي والعريش وزمزم والحميم وزرود ودوره ودراع وتوغال في الجناح الأفريقي.

ـ انتشار الكُثبان الرملية (Sand Dunes) على نطاق واسع، وتشغل بعضها مساحات واسعة يطلق عليها أحيانًا بحار الرمال[٩]، مثل بحر الرمال بين مصر وليبيا، والعِرْق الشرقي، والعرق الغربي جنوب جبال الأطلس الصحراوي، والكثبان الرملية المنتشرة في صحاري النفوذ والدهناء والربع الخالي، وتعتبر ظاهرة زحف الكثبان الرملية من أكثر المظاهر التضاريسية خطورة في الصحراء، مع أنها في الوقت نفسه من أكثر مظاهر الصحراء جذبًا للسياح، لذا بدأت بعض الدول العربية تُولي اهتمامًا كبيرًا في دراسة سلوك هذه الكثبان، وكيفية ضبط زحفها، أو تحركاتها، وظهرت دراسات علمية ميدانية عديدة في هذا المجال[١٠].

ـ الهضاب الداخلية المُنتشرة مثل الحماد والحمراء وبادية الشام، وقد تتحوّل هذه الهضاب إلى سهول منبسطة قليلة الارتفاع حينما يغلب على سطحها الاستواء، كما هو في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات.

ـ الواحات العديدة المُنتشرة في صحاري النفوذ والدهناء والربع الخالي وبادية الشام (واحات تدمر والأزرق والجفر والرّطبة وحائل وبريدة وعنيزة

---

(٩) انظر مثلًا: عبد الله بن ناصر بن علي الوليعي، **بحار الرمال في المملكة العربية السعودية** (الكويت: وحدة البحث والترجمة، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، ١٩٩٤).

(١٠) تعتبر دول الخليج بشكل عام من أكثر الدول العربية اهتمامًا في مراقبة سلوك الكثبان الرملية وضبط زحفها على المناطق المجاورة، واستعملت في ذلك تقنيات الاستشعار عن بُعد وظهرت دراسات عديدة في هذا المجال مثل: مشاعل بنت محمد آل سعود، «تطبيق تقنيات الاستشعار عن بعد في مراقبة زحف الكثبان الرملية في واحات الإحساء،» ورقة قدمت إلى: الندوة الثامنة لأقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية (جامعة أم القرى، قسم الجغرافيا، مكة المكرمة، ٣-٥/ ٣/ ٢٠٠٤)؛ بسام أحمد شعث، «دراسة تأثير زحف الرمال على المناطق الترفيهية في واحة الإحساء،» في: **حلقة الدراسات الصحراوية في المملكة العربية السعودية من ٢٣ ـ ٢٥ ربيع الآخر ١٤١٠هـ ٢١ ـ ٢٣ نوفمبر ١٩٨٩م** (الرياض: مركز دراسات الصحراء، جامعة الملك سعود، ١٩٨٩)، و Khattab G. Al-Hinai, «Evaluation of Remote Sensing Data for Sand Studies in Saudi Arabia,» Paper Presented at: Workshop on Desert Studies in the Kingdom of Saudi Arabia (Center of Desert Studies, King Saud University, Riyadh, 21-23 November, 1989), pp. 67-90.

ويبرين... وغيرها)، وفي الصحراء الكبرى (واحات سيوه والفرافرة وجَغْبوب وغَدامس وسَبها وفزّان وورْقلة وعين صالح).

٣ ـ مُقوّمات الجَذْب السياحي المستمدة من عناصر المناخ للصحاري العربية

تتعدّد هذه العناصر من حرارة وأمطار ورياح ورطوبة وضغط جوي وتبخّر وسطوع شمسي، وتعمل هذه العناصر مُجتمعةً لتشكّل مجموعةً من المقوّمات الطبيعية الجاذبة للسياحة، ومن هنا ظهرت أهمية السياحة الصحراوية.

من أكثر العناصر المناخية تأثيرًا في الصحراء هي الحرارة والرياح وقلة الأمطار، ولذلك تُساهم هذه العناصر الثلاثة في تشكيل المظاهر المورفولوجية للصحراء بشكلٍ عام، من خلال عمليتَيْ التّفكّك الصخري وتحلّله، وعملية النحت في كل المناطق الجافة وشبه الجافة، ومن ارتفاع المدى الحراري الكبير، والتباينات الحرارية الواضحة بين الشتاء والصيف، ونشاط التفكك الميكانيكي للصخر، ونشاط التعرية الريحيّة أو الهوائية (بشكلٍ خاص)[١١].

تمتاز الصّحاري العربية بشدّة السّطوع الشمسي وارتفاع درجات الحرارة أو اعتدالها أحيانًا، مُقارنةً بالمناطق الباردة (أوروبا أو شمال آسيا وأميركا الشمالية)، ولذلك شكّلت الصحاري العربية منطقة ارتادها الرحّالة العرب والأجانب للاطلاع على أسرارها، والكتابة عنها باهتمامات مختلفة، كما أنّها يُمكن أن تُشكّل بتنوّعها وإثارتها قِبلةً للسياح والمغامرين الذين يعشقون الأجواء الصحراوية، ويبحثون عن الدفء والعلم والمغامرة (وبخاصة البلاد الأوروبية القريبة منها).

٤ ـ مُقوّمات الجَذْب السياحي المستمدة من المياه وأشكالها في الصحاري العربية

تُعتبر المياه من أهم عناصر الجذب السياحي، ومن أنْفَس الموارد الطبيعية في المناطق الجافة، حيث يتحكّم بوجودِ وتوزيعِ وكثافةِ كُلٍّ من

---

(١١) استحوذ موضوع التعرية الريحية (الهوائية) وعمليات التفكك الصخري الناتج من المدى الحراري الكبير في الصحاري على قدر كبير من الاهتمام، للمزيد انظر: والطون، ص ١٦٠.

النبات والحيوان والإنسان، وتمتاز الصحاري بشكل عام بجفافها، والصحاري العربية من أكثر صحاري العالم جفافًا، وبخاصّة من حيث كميات سقوط الأمطار، أو مظاهر المياه السطحية، ومن خلال العرْض السابق للمياه والصحاري العربية (الفصل الأول)، لاحظنا أن الموْرد المائي السّطحي قليل جدًا، لكنّ المياه الجوفية (under ground water) غنيّة في هذه الصحاري، لكنّ استثمارها قليل جدًا.

عرضنا التجربة الليبية عن النهر الصناعي العظيم، وباستطاعة الدول العربية أن تستفيد من هذه التجربة التي يمكن أن يترتّب عليها إعادة توزيع السكان، وترحيلهم من المناطق المزدحمة إلى المناطق الهامشية والصحراوية، التي تقل أو تندر الكثافات السكانية فيها، وبذلك نصل إلى الهدف الأسمى وهو إعمار الصحراء، وما يترتب عليه من فوائد كثيرة، منها السياحة الصحراوية التي يُمكن أن تصبح الرافد الأساس للدخل في أقطار الوطن العربي.

علاوةً على غِنى الصحاري العربية بالمياه الجوفية، إلّا أنّ هذه المياه تمتاز أحيانًا بارتفاع جودتها ونقائها، وذلك بحسب الطبقات الحاوية لها (Aquifer)، فالطبقات القريبة من تكوينات الصخور النارية، أو الصخور الصلبة، تكون مياهها عذبة وحلوة (sweet water)، مثل أحواض المياه الجوفية الموجودة في نجد بالسعودية، مثل حوض النفوذ الرسوبي الكبير، وحوض مياه الديسة في الأردن، وأحواض المياه الجوفية التي توجد في الصحاري المصرية والليبية[١٢].

أما في المناطق الجيرية، حيث ترتفع فيها نسبة الإذابة (Solution)، فتظهر مشكلة ملوحة المياه لاحتوائها نسبة كبيرة من كلوريد الصوديوم (NaCl)، وأملاح أخرى ذائبة، ومن أمثلة ذلك مياه حوض الظليل في الأردن، ومياه واحة جالو في ليبيا[١٣].

---

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٩٥.

(١٣) يُمكن شرب المياه التي تصل فيها نسبة الأملاح الذائبة إلى ثلاثة آلاف جزء في المليون من ملح الطعام بانتظام في ظل المناخ الجاف من دون أي آثار مرضية، لكن إذا زادت هذه النسبة إلى خمسة آلاف جزء من المليون، فإنه لا يمكن احتمالها إلا لمدة قصيرة، ومن أمثلة ذلك مياه =

ثانيًا: مُقوّمات الجَذْب السياحي البشرية في الصحاري العربية

هي مجموعة المقوّمات المُستمدّة من البيئة الاجتماعية للصحاري العربية، ويقصد بالبيئة الاجتماعية: ذلك الإطار من العلاقات الذي يُحدد ماهية علاقة حياة الإنسان مع غيره، وهو الأساس في تنظيم أي جماعة من الجماعات سواء بين أفرادها بعضهم ببعض في بيئة ما، أم بين جماعة متباينة أم مُتشابهة معًا وحضارة في بيئات متباعدة، وتؤلّف أنماط تلك العلاقات ما يُعرف بالنظم الاجتماعية، واستحدث الإنسان خلال رحلة حياته الطويلة بيئة حضارية، لكي تساعده في حياته، فعمّر الأرض واخترق الأجواء لغزو الفضاء، وتتحدّد عناصر البيئة الحضارية للإنسان عادة في جانبين رئيسين[١٤]:

ـ **الجانب المادي**: وهو كلّ ما استطاع الإنسان أنْ يصنعه مثل المسكن والملبس ووسائل النقل والأدوات والأجهزة التي يستخدمها في حياته اليومية.

ـ **الجانب غير المادي**: ويشمل عقائد الإنسان وعاداته وتقاليده وأفكاره وثقافته، وكل ما تنطوي عليه نفس الإنسان من قيمٍ وآدابٍ وعلوم، وإذا كانت البيئة ـ بشكلٍ عام ـ هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، ويحصل منه على مقوّمات حياته من غذاءٍ، وكساءٍ ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر، فإن أول ما يجب على الإنسان تحقيقه حفاظًا على هذه الحياة، أن يفهم البيئة فهمًا صحيحًا ـ وبخاصة إذا كانت البيئة صحراوية ـ بكلّ عناصرها ومقوّماتها وتفاعلاتها المُتبادلة، ثم أنْ يقوم بعمل جماعيٍ جادٍ لحمايتها وتحسينها، وأنْ يسعى إلى الحصول على رزقه، وأنْ يُمارس علاقاته من دون إتلاف أو إفساد[١٥].

= واحة جالو (Jalo) في ليبيا، حيث تصل نسبة الأملاح الذائبة إلى ٣٨٨٠ جزءًا في المليون، وهي نسبة أعلى مما ينصح به طبيًا، وبخاصة عندما توجد سلفات المغنيسيوم وسلفات الكالسيوم وكلوريد الكالسيوم. انظر: المصدر نفسه، ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

(١٤) غرايبة، **السياحة البيئية**، ص ٢٩.

(١٥) انظر الموقع الإلكتروني: <www.wildlife-pal.org/environment>.

نعرِض هنا بإيجاز أهم مُقوّمات الجذب السياحي الاجتماعية (البشرية) في الصحاري العربية، التي تُعتبر أساسًا للعديد من أنواع السياحة المتعلقة بأنشطة الإنسان وتفاعله مع عناصر البيئة التي يعيش فيها، وهذه المقوّمات هي(١٦):

١ ـ السكان

هم المُقَوِّم والمُحرّك الأساس في البيئة الاجتماعية، وعليهم يتوقف النشاط السياحي، ويختلف السّكان في درجةِ وعْيهم ونظْرتهم إلى السياحة، وطريقة تعاملهم مع السيّاح، وهذا يعتمد على كيفية تركيبهم العددي والنّوعي والعمري والتعليمي والمهني والإثني (العِرقي).

من حيث عدد السكان في الصحاري العربية لا تُوجد إحصاءات، كما لا توجد بياناتٍ تشير إلى نوعهم، أو تركيبهم، أو حتى كيفية توزيعهم، لكن المعلومة المهمة التي نُريد أن نُشير إليها هنا هي أن أغلبية هؤلاء السكان يعودون في أصولهم إلى جذور عربية، معظمها خرجت من شبه جزيرة العرب على مراحل متفاوتة تاريخيًا، إما طلبًا للماء والكلأ في أثر سنوات الجفاف التي كانوا يتعرضون لها، أو في أثر الفتوحات الإسلامية المتعاقبة، كما ذكرنا سابقًا.

في الصحاري العربية تقلّ نسبة الكثافة السكانية بشكلٍ واضح، وشهدت بعض أجزاء من هذه الصحاري حالة إعمار وازدهار، كما هو ملاحظ في دول الخليج العربية، وذلك بعد اكتشاف النفط وإنتاجه وتسويقه، وهناك حالة إعمار مشابهة في الصحراء الليبية، وفي صحراء الجزائر.

تنتشر العديد من المدن في الصحاري العربية، ويُمكن أن تُشكّل هذه المدن مستقبلًا ركائز نمو سياحي (Growth Pole)، أو مراكز نمو (Growth Center)، أو نقاط نمو (Growth Points)، وذلك بحسب حجم هذه المدن واتساع ظهيرها (Hinter Land)، وهناك العديد من الأمثلة سيجري عرضها

---

(١٦) الأفكار الموجودة في المقوّمات البشرية (الاجتماعية) مستوحاة من محاضرات ألقاها الدكتور نسيم برهم، والدكتور حابس سماوي على طلبة الماجستير في الجامعة الأردنية في عام ١٩٨٩ في مادة جغرافية السياحة، كما جرى استنتاجها من: كلاوس كولينات والبرت شتاينكة، جغرافية السياحة ووقت الفراغ، ترجمة نسيم فارس برهم (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩١).

بشكل تفصيليٍّ في فصل «السياحة المستدامة في الصحاري العربية» لاحقًا، لكننا هنا نذكر بعضها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ ومن هذه المدن التي يُمكن أن تشكل نقاط انطلاق لتنمية الصحراء[١٧]:

- في الكويت: أم المدافع والنعايم وأم قدير.
- في الأردن: المفرق والأزرق ومعان.
- في السعودية: حائل والنعيرية وشيبة.
- في اليمن: قرناو وشبام.
- في تونس: تطاوين والمدنين وقبلي.
- في المغرب: ورزازات.
- في ليبيا: الجغبوب وفزان وغدامس.
- في الجزائر: ورقلة وعين صالح وتمنراست.
- في مصر: الزقازيق وواحات الداخلة والخارجة.

يُمكن الاستفادة من التنوّع في ثقافات الشعوب الصحراوية وعرضها في مهرجانات ومؤتمرات، وسنفصّل في هذا الموضوع في فصل «أمثلة وتجارب على السياحة الصحراوية العربية».

٢ ـ الطبيعة الإسكانية

تتمثل بكثافة العمران والطابع العمراني والمباني التاريخية والمشاهد العمرانية والنشاط العمراني والصحاري العربية قليلة الكثافة عمرانيًا، لكنّها تحوي آثارًا عمرانية هائلة تتمثل بالمباني التاريخية والأثرية، التي خلّفتها الحضارات والقبائل التي سكنتها، ففي بادية الشام وصحراء غرب العراق وصحاري شبه الجزيرة العربية وصحاري مصر الشرقية والغربية وسيناء

---

(١٧) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ٧، ص ٢٥٥ من هذا الكتاب؛ عبد الإله أبو عياش، «التخطيط لمدن التنمية في الكويت،» **الرسائل الجغرافية**، العدد ٣٣، أيلول/سبتمبر ١٩٨١، والموقعان الإلكترونيان: <www.azzaman.com>, and <www.asharqalwasat.com>.

والصحراء الكبرى، توجد العديد من الآثار التي تمتاز بطابع عمراني يَسْتَهوي العديد من السياح، ويطّلِعُون على حضارات شعوب كافحت وتكيّفت مع ظروف الصحراء، واستثمرت كل المقومات الإيجابية استثمارًا جعلها تقيم حضارة في مناطق هامشية هشّة، بأنشطةٍ بشريّةٍ مُتعدّدةٍ ومتنوّعة.

٣ ـ أماكن المبيت والطعام والخدمات الأخرى

تتمثل بالمطاعم والفنادق السياحية وأماكن الخدمات المنفردة (صالونات وصيدليات وغيرها)، والخدمات الطبية والمستشفيات والعيادات، وعدد ليالي المبيت في الموسم الصيفي، وفي الموسم الشتوي، ولا تزال الصحاري العربية في هذا الجانب فقيرة جدًا، أو تعاني نقص الخدمات باستثناء بعض الدول العربية التي أصبح لها تجربة سياحية صحراوية بارزة، مثل تونس وبعض الدول الخليجية (سنعرض لهذه التجارب في ما بعد).

٤ ـ التعليم

من مقوّمات الجذب السياحي، لذا أصبحنا نسمع بما يُسمى بسياحة المؤتمرات العلمية، كما بدأت العديد من الدول بإدخال تخصصات في مجالات الفندقة والسياحة وفنونها في الجامعات، وانتشرت الكلّيات المتخصصة في هذا المجال في مختلف أقطار الوطن العربي، لكن نصيب الصحاري العربية منها ضئيل جدًا.

٥ ـ الصحة

تتمثل بالسياحة العلاجية بالدرجة الأولى، والينابيع الطبيعية المعدنية للحصول على الراحة الجسمية والنفسية، وزيارة المصحات وأماكن الاستشفاء، ومن أهمها ـ على سبيل المثال ـ في الأردن: البحر الميت وحمامات ماعين وعفرا والمياه الكبريتية في الشونة الشمالية، وفي مصر: الحمامات المنتشرة في الواحات الغربية، كما توجد العديد من الينابيع المعدنية في الصحاري العربية في كثير من الدول العربية، لكنّها تحتاج إلى عناية وخدمات، ولا تزال الرعاية الصحية السياحية مُتخلّفة عمومًا في أقطار الوطن العربي، لكنها أشدّ تخلّفًا في الصحاري العربية.

٦ ـ الأماكن الدينية

(المساجد والكنائس والأضرحة والمزارات والمقامات)، انتشرت في الصحاري العربية خلال الفتوحات الإسلامية، ومن خلال القادة الذين استُشهدوا، ومن خلال الأولياء والصالحين الذين أقاموا هذه الأماكن الدينية في العديد من الواحات العربية[١٨].

أشار ابن جُبَيْر إلى العديد من هذه الأماكن في إثناء أدائه فريضة الحج في عام ٥٧٨هـ، واستغرقت رحلته أكثر من سنتين، حيث كان خط سير رحلته من الإسكندرية في مصر، إلى مدن نهر النيل، ومدن الصحراء الشرقية، ومدن الحج (مكة والمدينة)، والتجمعات السكانية العديدة في نجد والعراق وبلاد ربيعة وبكر ومدن الشام[١٩].

٧ ـ الأماكن الأثرية

من أقدم المقوّمات الاجتماعية وأحدثها، وفي قلب الصحاري العربية وعلى أطرافها، قامت العديد من الأنشطة البشرية قديمًا، وكوّنت حضارات خلّفت وراءها العديد من الأبنية والآثار التي لا تزال شاهدة على قدرة الإنسان العربي على التكيّف في أوساط بيئية صعبة، وقادرة على الإبداع، من خلال الاستثمار الإيجابي لمكوّنات البيئة التي يعيش فيها، نذكر منها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ في الصحاري العربية الآسيوية: آثار مدينة تدمر وقصر الحيرة وآثار الرصافة (سورية)، والقصور الصحراوية ـ عمرة والخرّانة والحلّابات والمَشتى ـ وآثار مدينة جرش وأم الجمال وقلعة الأزرق وقلعة الشوبك وآثار مدينة البتراء (الأردن)، وآثار قصر الأخيضر وآثار الحضر وآثار مدينة أور (العراق)، والآثار العديدة المنتشرة في نجد (درب زبيدة وقصر برزان وآثار حاتم الطائي، والآثار الموجودة في القصيم)،

---

(١٨) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ٦، ص ٢٧١ من هذا الكتاب.

(١٩) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير، **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير**، ط ٢ (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٦)، وخليف غرايبة، «المستقرات العربية الإسلامية في رحلة ابن جبير (٥٧٨ هـ ـ ٥٨١ هـ)،» **مجلة العلوم الاجتماعية** (جامعة الكويت)، السنة ٣٧، العدد ٤ (٢٠٠٩)، ص ١٣٩ ـ ١٧٠.

علاوة على العديد من الآثار الموجودة على أطراف الصحراء، في كلٍّ من: الكويت وعُمان واليمن (حضرموت).

هناك العديد من الآثار الصحراوية العربية الأفريقية في مصر (الأقصر، والكرنك وغيرها)، وآثار الواحات في الجغبوب وغدامس وفزان وسبها وآثار الطوارق والبربر في العديد من الواحات الصحراوية في غرب ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، المتمثلة في القِلاع والقصور الصحراوية والقُرى والتجمعات السكانية الأثرية على قمم الجبال (قرى البربر)، هذه القرى المُعتمدة على نمط عمراني بيئي (Landscape Architecture)[٢٠]، قاوَم الظروف الطبيعية والبشرية عبر الزمان.

٨ ـ الثقافة وعناصرها المختلفة

تعتبر من المقوّمات الاجتماعية المهمة، وفي مقدمها العادات والتقاليد والتراث والفلكلور الوطني والمهرجانات المعبرة على ذلك (مثل مهرجان جرش في الأردن، وقبلي ودوز في تونس، والجنادرية في السعودية، وتدمر في سورية، وصلالة في عُمان، وقرناو في اليمن، وبابل في العراق وغيرها)[٢١].

---

(٢٠) اطّلع الباحث على العديد من هذه الآثار التي ذُكرت، والتي تشير في مجموعها إلى قدرة الإنسان العربي في استثمار خامات البيئة في النمط العمراني الذي أقامه في هذه المباني البيئية التي تحاكي الطبيعية بشكل جيد، ولذلك طال عمرها عبر سنوات عديدة على الرغم من تعرّضها للظروف الجوية وعدم صيانتها، بل والعديد منها كان يتعرّض لهجمات القبائل المحيطة بها بحثًا عن الدفائن والكنوز التي يمكن أن تحويها باعتقاد بعضهم.

هنا نريد أن نؤكّد أن هذه الآثار هي نفائس مهمة ويجب على الدول العربية المبادرة السريعة في حصرها، وإعادة تأهيلها وصيانتها، وتزويدها بالبنية التحتية السياحية، ووضعها تحت المراقبة المباشرة، تمهيدًا للنهوض بالسياحة الصحراوية التي يمكن أن تدرّ دخلًا أكبر بكثير مما تتصوّره هذه الدول.

(٢١) بدأت بعض الدول العربية بالاهتمام بإقامة المهرجانات السياحية الصحراوية بهدف الاطلاع على عادات وتقاليد وثقافة الشعوب الصحراوية، ويظهر ذلك من خلال ما يسمى «مهرجان صحاري العالم»، فعلى سبيل المثال في ١٦ ـ ٢٢ نيسان/أبريل ٢٠٠٥، افتتح ولي عهد دبي سموّ الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم فاعليات مهرجان صحاري العالم، الذي أقيم في إطار فاعليات المهرجان الثاني لحضارات وثقافات شعوب صحاري العالم، والذي نظمته جائزة زايد الدولية للبيئة، كما تقام مهرجانات صحراوية عديدة في هذا المفهوم، من أبرزها مهرجانات الجنوب التونسي التي تقام في المدن الصحراوية التونسية في دوز وقبلي وتطاوين... وغيرها.

٩ ـ الأمن

من أقوى مقوّمات البيئة الاجتماعية للسياحة، وبخاصة في المناطق الصحراوية، حيث تتباعد المسافات وتقلّ الرقابة الأمنية، وتُعتبر السياحة من أكثر القطاعات حساسية وتأثرًا بالأمن، ولذلك قامت بعض الدول العربية بعمل شرطةٍ بيئيةٍ، وشرطةٍ سياحيّةٍ، كما في الأردن ومصر وغيرها.

١٠ ـ الصناعات التقليدية

سواء كانت ذات مصدر نباتي (أدوات زراعية وأطباق وصوانٍ)، أو زراعي (الصابون وزيت الزيتون والحلويات وطحن الحبوب)، أو حيواني (من شعر الماعز أو من صوف الأغنام) والبسط، والسجاجيد، أو صناعات جلدية مختلفة، أو صناعات ذات مصدر معدني مثل الأدوات النحاسية[٢٢].

تزخر الصحاري العربية في هذه الصناعات التي كانت تُعبّر عن أسلوب الحياة للبدوي في الصحراء، والجدير بالذكر أن هذه الصناعات هي تعبير رائع لمفهوم استثمار خامات البيئة وبما يتناسب ويتناغم معها، بعيدًا من العبث والتلوّث البيئي، ويُمكن للدول العربية إعادة تأهيل هذه الصناعات بهدف تعزيز ما يُسمّى التنمية المُستدامة في السياحة (Sustainable Development)، وبدأت بعض الدول العربية في الاهتمام بهذا الجانب مثل المغرب وتونس ومصر وسورية، وبعض الدول الخليجية.

١١ ـ البُنية التحتية

مدى توافرها ونوعيتها في المواقع السياحية مثل: طرق المواصلات والماء والكهرباء، ونظرًا إلى أهمية المواصلات (وسائل وأنواع) ظهر ما يسمى: «بلوغ المكان» في الأدب السياحي، بمعنى إمكانية بلوغ المكان السياحي بوسيلة مواصلات خاصة، أو عامة وشبكة ووسائل المواصلات، والدول العربية في مجال السياحة بعامة والصحراوية بخاصة لا تزال مُتخلّفة في هذا المجال المهم.

---

(٢٢) خليف غرايبة، **الجغرافية التاريخية للمنطقة الغربية من جبل عجلون** (إربد: مطبعة الروزنا، ١٩٩٨)، ص ١٤٦-١٥٧.

١٢ ـ الاستثمار السياحي

يعتمد على عوامل عديدة منها: الموقع الاستراتيجي للدولة، والاستقرار السياحي والاقتصادي الموجّه إلى السوق الحرة، والقوانين والتشريعات والأنظمة وما يصاحبها من الحوافز والإعفاءات، ووجود المناطق الحرة والمدن السياحية والصناعية، والصناعات التقليدية، ووجود مصادر بشرية منافسة ومؤهلة، والاتّصالات، ونوعية حياة عالية للسكان[٢٣] (Quality of Life)، وتعاني الدول العربية ضعفًا في الاستثمار السياحي، وذلك لضعف وإهمال الخدمات في المواقع السياحية.

١٣ ـ سياحة الجُذُور

نظرًا إلى أهمية السياحة ظهر مؤخّرًا هذا النوع من السياحة، الذي يركز على القيم الاجتماعية وتنميتها، وربط السائح المهاجر ببلَده. ويمكن للدول العربية أن تُبدع في هذا المجال على المستوى الداخلي، وذلك مع الذين هجروا الصحراء واستقروا في الأرياف والمدن. وعلى المستوى الخارجي مع أولئك الذين هجروا أوطانهم وسافروا إلى أقطار غير عربية.

مع ذلك بدأت بعض وزارات السياحة في بعض الدول العربية، ووزارات الشباب والرياضة، أو وزارة المغتربين (كما في سورية)، بعمل برنامج استضافة للمغتربين بهدف ربطهم ببلدهم، وعرْض منجزاتهم ومستوى تقدّمهم، لما لذلك من آثار سياسية (ولاء وانتماء)، وآثار اقتصادية (دخل)، واجتماعية (حنين وعاطفة)[٢٤].

ثالثًا: مُقوّمات الجَذْب السياحي البيولوجية في الصحاري العربية

هي مجموعة المقوّمات المُستمدة من البيئة البيولوجية للصحاري العربية، وتشمل الإنسان «الفرد» وأسرته، ومجتمعة، وكذلك الكائنات الحية في المحيط الحيوي، وتُعدّ البيئة البيولوجية جزءًا من البيئة الطبيعية ـ

---

(٢٣) انظر الموقع الإلكتروني: <www.jordanianvestment/biodiversity>.

(٢٤) انظر الموقع الإلكتروني: <www.discovalex.com>.

عادة، لكن نظرًا إلى أهمية البيئة البيولوجية ـ على ندرتها ـ في الصحاري العربية، رأينا أن نُفردها في موضوع خاص.

تتعدّد مُقوّمات الجذب السياحي البيولوجية وتتنوّع، وذلك لتعدّد وتنوّع الكائنات التي تعيش على الأرض، من: إنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ وحشراتٍ وطيور، وتنامى اهتمام المؤسسات البيئية والسياحية بهذه الكائنات، الأمر الذي يساعد في ازدهار السياحة البيئية (Ecotourism) (الطبيعية والجمالية) بشكلٍ عامٍّ، والسياحة الصحراوية منها بشكل خاص، وذلك في مختلف دول العالم، ولمعرفة مقوّمات الجذب السياحي البيولوجية، لا بُدّ من عرض موجز لمفهوم التنوّع البيولوجي (الحيوي)، ومعرفة أنواع الموارد البيولوجية في الصحاري العربية (لأنها أساس هذه المقوّمات، وسبب تنوّعها وتعدّدها).

١ ـ مفهوم التنوّع البيولوجي

هو المُرادف الأساس للموارد الطبيعية التي تكفل للإنسان (باعتباره السيد على الأرض) حياته، بالشّكل الذي يُحقّق جودتها واستمراريتها، فالموارد البيولوجية هي كل ما يحتاجه الإنسان لكي ينعم بالحياة المزدهرة والرفاهية، ويختلف مدلول الموارد البشرية من شخص إلى آخر، ومن زمن إلى زمن بحسب الاحتياج إلى هذا المورد، كما أنه يعتمد على نوع الحضارة في أحيان كثيرة أكثر من اعتماده على بيولوجية الإنسان نفسه[٢٥].

٢ ـ أنواع الموارد البيولوجية في الصحاري العربية

لا شكّ في أنّ بيئة الأراضي الجافة (مثل الصحاري العربية) تكتسب دلالتها الواضحة في مجال الجغرافيا الحيوية من طريقة حياة وتكاثر وعدد الفصائل النباتية والحيوانية، وتشمل هذه البيئة الصحراوية عناصر المناخ وأشكال السطح وأنواع التربة، التي يُعدل كل منها في الآخر، ويصعب تفسيره تفسيرًا كاملًا، إلّا إذا اعتُبرت هذه العناصر كلًا لا يتجزأ، ويُعتبر دور الحياة النباتية في إطار هذه الوحدة على قدر كبير من الأهمية، ذلك لأنها

(٢٥) انظر الموقع الإلكتروني: <www.feedo.net/environment/biodiversity>.

جزء من البيئة الكلية، ولها من العلاقات المتداخلة مع كل من المناخ والجيومورفولوجيا وعلم التربة، ما يجعل اعتبار أحدها مُنفصلاً عن الآخر غير ذي معنى، هذا من ناحية، ولأن الحياة الحيوانية ومعظم النشاط البشري في الصحاري يعتبر مرآة للحياة النباتية من ناحية أخرى[٢٦].

من الجدير بالذِكر هو الإشارة إلى قُدرة النبات على تعديل المناخ المَحلّي، وحماية سطح الأرض من أنواع التعرية كلها، وتماسك التربة والفتات الصخري على المنحدرات، ومن هذه الاعتبارات كلها يستحق النبات والحيوان (الأنواع الرئيسة للموارد البيولوجية بعد الإنسان) في الجهات الصحراوية كل الدراسة والاهتمام، فكُلّما ازدادت معرفتنا عن ملاءمة النباتات والحيوانات للظروف المناخية الجافة، كلما أمكن التوصل إلى إنتاج محاصيل زراعية تناسب ظروف المناخ، وكلما عظُمت إمكانيّة تربية النبات على نطاق واسع في المناطق الجافة.

من الجدير بالذكر الإشارة إلى أنّ الغطاء النباتي في الصحاري العربية خفيف جدًا، لذا فإن الانسياب السّطحي (Run Off) بعد الأمطار كبير للغاية، لكنّ الأثر الفعلي للمطر الساقط بالنسبة إلى النبات الطبيعي، أو الغلات المزروعة في الواحات ضئيل، وهذا ما يدعونا إلى الاهتمام أكثر بدراسة ظاهرة النبات وإكثارها في الصحاري العربية، ويمكننا تقسيم الموارد البيولوجية في الصحاري العربية إلى نوعين رئيسين:

ـ **الموارد المُتجدّدة**: وهي كل ما تُقدّمه الطبيعة الصحراوية من هبات أو مصادر تخدم الإنسان، من خلال توظيفها في الإنتاج، ويعتمد الإنسان عليها في حياته وانجازاته[٢٧]، مثل النباتات (Flora)، والحيوانات (Fauna) التي تعتمد على طاقة الشمس المتجددة، والماء المتجدد.

ـ **الموارد غير المُتجدّدة**: وهي موجودة بكميات مُحدّدة قابلة للنفاد، وهناك أهمية واضحة للنباتات والحيوانات الصحراوية في أنّها تُمثل مَصْدرًا

(٢٦) والطون، ص ١٤٧.

(٢٧) خالص حسني الأشعب وأنور مهدي صالح، **الموارد الطبيعية وصيانتها** (الموصل: دار الكتب، ١٩٨٨)، ص ٢١.

مهمًا من مصادرِ الصّناعات التقليدية (الحرفية) التي بدأت تلقى رواجًا في السياحة الصحراوية، كما هو في مدن الجنوب التونسي ومدن المغرب والمدن المصرية الأثرية في الجنوب، وجرى عرض أنواع النباتات والحيوانات والزواحف والطيور والحشرات الموجودة في الصحاري العربية في الفصل السابق، وبدأت هذه الموارد تُشكل عناصر مهمّة من عناصر الجذب السياحي في الصحاري العربية، حيث يرتادها العديد من السيّاح بهدف العلم، أو مراقبة سلوك الطيور والحيوان، أو الترفيه، أو المغامرة في الفيافي الواسعة بإقامة المخيمات العلمية أو الترويحية.

من هنا بدأت تظهر العديد من الدراسات الصحراوية للاهتمام بتشجير الصحاري العربية بالأنواع النباتية المقاومة للجفاف (Xerophytes)، وذلك من خلال ظاهرة إكثارها من بعضها بعضًا، حيث هناك على سبيل المثال لا الحصر نباتٌ يُسمّى (Boerhavia repen)، يعيش في الهوامش الجنوبية للصحراء الكبرى، يزهر ويموت وينثر بذوره في مدى ثمانية أيام فقط عندما تتاح له الرطوبة ولو ليوم واحد، أي في ظروف شبه جافة (Mesophytic) أكثر منها ظروف تامة الجفاف، ومثل هذا النبات يمكن إكثاره في هوامش الصحاري العربية الشمالية، حيث تزداد الرطوبة.

كما يُمكن الإكثار من الشجيرات الملحية (Atriplex) في الصحاري العربية، التي تَنْثُر نَوْعين من البذور يَنبُتان في فترات مختلفة الظروف من حيث الوقت والرطوبة والحرارة، وتستفيد النباتات المُتجنّبة للجفاف استفادة اقتصادية من مورد الرطوبة المحدودة في التربة، حيث إن متطلّباتها من الرطوبة تكون قليلة (أكثر البذور نجاحًا في الأراضي الجافة هي التي تتميز باستهلاك ضئيل من المياه مع دورة حياة قصيرة)، وتتبعثر تبعثُرًا واسعًا حتى تتجنب المنافسة على مياه التربة، وهذا الانتشار النباتي البري الذي تتميز به الأراضي الصحراوية، قد يتيح الفرصة لوجود رُقَع نباتيّةٍ كثيفةٍ، تتميز بتعدد الفصائل النباتية المختلفة، الأمر الذي يؤدي إلى تكاثر الحيوانات والحشرات والزواحف، وتواجدها في هذه المناطق[٢٨].

---

(٢٨) والطون، ص ١٤٩ ـ ١٥١.

إذا كانت النباتات الصحراوية تمتاز بندرتها وثباتها (ما يُقلّل من تكيّفها نسبيًا)، فإن الحيوانات الصحراوية أكثر تكيّفًا لأنها تمتاز بالحركة والتنقل والعدو السريع، وتُشكّل الحيوانات الصحراوية ومراقبتها ودراستها عنصر جذب سياحي مهمًا لدى كثيرين من المهتمين بالدراسات الصحراوية والسياحية، وتعتبر الجِمال والخيول من أهم الحيوانات الصحراوية وشبه الصحراوية.

أخيرًا نستطيع القول إن المُقوّمات البيولوجية على ندرتها في الصحاري العربية تُشكل عناصر جذبٍ سياحي مهمّة إذا جرى استثمارها بالشكل المقصود سياحيًا.

يمكن اعتبار الواحات العربية في الصحاري من أكثر المناطق كثافةً في هذه الموارد، حيث تكثُر فيها ظاهرة الأشجار، وظاهرة تربية الحيوان، وذلك لتوافر عنصرَيْ المياه والغذاء، لذا يُمكن أن تُشكّل هذه الواحات أقطابًا أو مراكزَ أو نقاطًا للتنمية السياحية، وذلك من خلال إقامة المهرجانات والمؤتمرات والندوات فيها، بهدف إبراز خصوصية سكان وطبيعة كل واحة منها (مثل التجربة التونسية في الواحات الجنوبية).

الفصل الثالث

أنواع السّياحة الصّحراويّة
في الوطن العربي والأنشطة المرتبطة بها
(الواقع والمأمول)

شكّلت السياحة في العالم ما نسبته ٥,٨ في المئة من حجم التجارة العالمية، كما بلغت مُساهمتها في الناتج المحلي الإجمالي العالمي ١١,٦ في المئة، وذلك في عام ١٩٩٨، وهذه النِسَب بتزايد مُستمر، مِن هُنا تنبع أهمية البحث في قطاع السياحة، وما يُمكن أن يحصل فيه من تطوّراتٍ تُسهم في دعم الاقتصادات الوطنيّة العربية، وتحسين مستوى الدخل وزيادة فُرص العمل.

في عام ٢٠٠٧ بلغ عدد السيّاح ٩٠٠ مليون سائح، وحقّقت السياحة مداخيل بقيمة ٧٥٠ مليار دولار، وهذا دليلٌ على القَفْزةِ التي حقّقتها السياحة العالمية، إلى درجةٍ أنّها أصبحت المصدر الأساس للدّخل بالنّسبة إلى عددٍ كبيرٍ من الدول، وتعدّدت المُنتجات السياحية (الشاطئيّة والجبليّة والصحراويّة والريفيّة والاستشفائيّة والثقافيّة. . . وغيرها)، وتُؤثّر السياحة بشكلٍ أو بآخرٍ في التّوازنات البيئيّة، بخاصّة في المجالات الهشّة، أو المناطق الأقلّ حظّاً (Less Favored Areas)، وفي مُقدّمها المناطق الصحراوية[١].

تُعتبر السّياحة الصحراويّة وما يتفرّع عنها من أشكالٍ، وما يرتبط بها من أنشطةٍ، من أهم الأنْواع السياحيّة الرئيسة الواعِدة، وسبق أن ذكرنا أن الصحاري العربية تحتل ما نسبته ٩٠ في المئة من مساحة الوطن العربي الإجمالية، وهذا يؤكّد مرّة ثانية، ولمرّاتٍ عديدة، أنّه لا بُدّ للحكومات العربية من التوجّه إلى الصحاري لاستثمارها، الاستثمار الأمْثل اقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياحيًّا.

سبق وذكرْنا أنّ الصحاري العربية تتمتّع بمُقومّات جَذْبٍ سياحي هائلة،

---

(١) أُخِذَتْ هذه الأفكار من مُقدمة: «السياحة والبيئة: الواقع والسياسات والآفاق،» (الندوة العلمية الدولية، جامعة منوبة، تونس، ٩ ـ ١١/ ١٠/٢٠٠٨)، على موقع الإلكتروني للجمعية الجغرافية السعودية: <www.saudigs.org>.

تتمثل بالتنوّع المُثير الذي تشهده هذه الصحاري في كلّ مُكوّن من مُكوّناتها الطبيعيّة والبشريّة والبيولوجيّة، حيث تتكّون الصّحراء العربيّة من ثلاثة عناصر رئيسّة غاية في الأهمية:

- **الرّمال**: تأخذ أشكالًا مُتعدّدة ومُتنوّعة، تُغطّي مساحاتٍ شاسعةٍ من الصحاري العربية، ومِنْ أمثلتها الغِطاء الرملي الذي يُعرف باسم ساليما (Salima) في الصحراء الليبيّة، التي يقع فيها الصخر الصلب تحت سطح الرمل مباشرة، ويمكن للرّمال أنْ تُكْتسح بواسطة الرّياح السّائدة، مُكوّنة كُثبانًا رملية تحفّ بدروبٍ صخريةٍ يُطلق عليها اسم غازيس (Gasis) في القسم الغربي من الصحراء الأفريقية، واستُخْدِمَت هذه الدّروب الصخرية بقوافل الجِمال، كما اخْتَرقتها أفواج العبيد من أراضي السفانا، ومناطق الغابات الاستوائية المطيرة في الجنوب، إلى الواحات الصحراوية وسواحل البحر المتوسط الشمالي.

لا يتّسع المجال هنا لوصف تعقيدات الأشكال الكثيبيّة في حُقول الرّمال العُظمى في الصحراء الكبرى، وصحاري شبه الجزيرة العربية، إلا أنّه من المُهم أن نُشير إلى تلك الحقيقة التي تقول إن مناطق الحقول الرملية والمُتمثلة في حقل الرّمال الشرقي العظيم (Grand Erg oriental)، وحقل الرّمال الغربي العظيم (Grand Erg occidental) في الصحراء الكُبرى، وكذلك رمال النّفوذ في شبه الجزيرة العربية تُعتبر أقل الغطاءات الرمليّة حركة[٢].

تُشكّل هذه الرمال عُنْصرَ جَذْبٍ سياحِيٍّ للمُهتمين بِدراستها وللسيّاح الذين يبحثون عن الدفء، هَرَبًا من بَرْدِ الشتاء القاسي الذي يتعرضون له في وسط أوروبا وشمالها - مثلًا، وأكثر ما يلفت السائح في الصحراء هي ظاهرة الكُثبان الرمليّة لأنّها الأكثر شيوعًا من الناحية الطبيعيّة، وتُعتبر الكثبان الهلاليّة (Barkhans) الشّكل الكثيبي الرئيس في الصحاري العربية، ومن أكثر الأشكال الرملية جَذْبًا للسياح، هي الحالة التي تتكوّن فيها هذه الكُثبان الهلالية فوق سطح كُثبان قبابيّة أكبر، تحيط بها هي الأخرى فجوات

---

(٢) للمزيد انظر: كنيث والطون، **الأراضي الجافة**، ترجمة علي عبد الوهاب شاهين (الإسكندرية، مصر: منشأة المعارف، [١٩٧٢])، ص ١١٩ - ١٣٠.

ناتجة من عملية سفي الرّمال، كما هو في الكثبان المُنعزلة في موريتانيا.

ـ **الطّفلة أو المادّة الصّلصالية**: التي تتواجد تحت الرّمال على أعماق مُختلفة، وبخاصّة في مناطق الحماد، كما في بادية الشام، أو المُنخفضات الصحراوية والقيعان والواحات.

ـ **النّباتات**: مع أنها ظاهرة قليلة في الصحراء إلا أنها مُتنوّعة ومُثيرة لاهتمام السياح، وتُشكّل عُنصرَ جَذْبٍ سياحيٍّ مهمًا.

إن أهم ما يُميّز العناصر الرئيسة الثلاث السّابقة التي تتكوّن منها الصحاري العربية، هو اختلافها وتنوّعها في الشّكل واللون والحجم والتركيب الكيميائي، ما جعل منها ثروة هائلة، وعناصر جَذْبٍ سياحيةٍ مُهمّة، يُمكن أن يُمارَسُ منها ومن خلالها أنشطة سياحية مُتعدّدة ومُتنوّعة، بِتعدّد وتنوّع مُكوّنات الصّحراء التي ذكرناها.

● أشكال السياحة الصحراوية العربيّة والأنشطة المرتبطة بها

قام الباحث بتحليل المُكوّنات الطبيعية للصحاري العربية، والمُكوّنات البشرية والمُكوّنات البيولوجية، ومِنْ هذا التّحليل استطاع حَصْر أكثر من ثلاثين نشاطًا سياحيًّا يُمكن ممارسته في بيئة الصحاري العربية، لا يُمارس منه إلا القليل، ولذا يُشير واقع الحال لوضع السياحة الصحراوية العربية إلى التعثّر الكبير الذي تُعانيه هذه السياحة، على الرغم من أهميّتها التي تكمن في تنوّعها المُثير للسائح العربي والأجنبي.

إنّ لكلّ صحراء خصوصيّتها التي تستمدّها من طبيعة أرضها وشعبها ودرجة التّفاعل بينها وبين ساكنيها عبْر الزمان، وتمتاز الأقطار العربية في اتّساع مساحة الصحاري في أراضيها، فعلى سبيل المثال: تحتل الصحراء ما نسبته ٩٦ في المئة من مساحة مصر، فالصحراء الشرقية المصرية التي تمثل ٢٨ في المئة من مساحة مصر الكُليّة، تنقسم إلى الجُزء الشّمالي في صحراء سيناء، والجنوبي المُمتدّ من السويس إلى حلايب على حدود السودان، أما الصحراء الغربية التي تمثل ٦٨ في المئة من مساحة مصر الإجمالية، فتشمل الجُزء الشّمالي الممتدّ من البحر الأبيض المتوسط حتّى منطقة المُنخفضات

العُظمى، أمّا الجُزء الجنوبي فيمتدّ من مَنطقة المُنخفضات إلى حدود السودان، وهذا هو الحال في الدول العربية كافة، حيث يمكن تقسيم الصحاري إلى أقسام ثمّ إلى أجزاء[٣].

مِنْ هُنا فإنّ لكلّ صحراء مِن الصحاري العربية التّالية خصوصيّة يجب على الدول العربية التي تتواجد فيها هذه الصحاري أن تتعرّف إلى خصوصيّتها، وأن تَستثْمرها استثمارًا سياحيًا مُناسبًا، وهذه الصحاري هي[٤]:

ـ صحاري شبه الجزيرة العربية المُتمثلة بالنفوذ والدهناء والربع الخالي وامتدادها في دول الخليج واليمن، وتَنْتَشر فيها العديد من الواحات والأشكال التضاريسية المُتنوّعة.

ـ بادية الشام وامتدادها في سورية والأردن والعراق.

ـ صحراء النقب في جنوب فلسطين.

ـ صحاري مصر والسّودان: وتمتدّ على جانبي نهر النيل ـ الصحراء الشرقية والصحراء الغربية ـ بالإضافة إلى شبه جزيرة سيناء، ثم صحراء النوبة في السودان.

ـ صحاري بلاد المغرب العربي: وهي جُزء من الصحراء الكبرى، وتؤلّف القسم الأكبر من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والصحراء الغربية.

ـ صحراء الصومال.

بعد تحليل مكوّنات الصحاري العربية، وحَصْر الأنشطة السياحية الصحراوية التي تُمارسها بعض الدول العربية، أو التي يُمكن أن تمارسها مستقبلًا، يُمكن الإشارة إلى الأشكال (الأنواع) السياحية الصحراوية والأنشطة المرتبطة بكلّ نوعٍ على النحو التالي:

---

(٣) انظر: الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ٢، ص ٢٥٠ من هذا الكتاب، ونبيل محمود والي، «المسكوت عنه في الصحراء العربية ـ ١،٤» (٢٠٠٧).

(٤) سعود شواقفة [وآخرون]، **دراسات في جغرافية الوطن العربي** (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ١٩٩١)، ص ١٨.

١ ـ أشكال السياحة الصحراوية البيئيّة

هذا النّوع من السياحة هو الأكثر شيوعًا وانتشارًا حاليًا على الرغم من عدم وصوله الحالة التي يجب أن يكون عليها، فالبيئة الصحراوية متنوّعة ومثيرة بكل معنى الكلمة، وتتعدّد وتتنوّع أشكال السياحة الصحراوية، وهذا النوع يهدف إلى التعرف إلى:

أ ـ تنوّع الأشكال التضاريسية التي تصنعها التّعرية الهوائية (الرّيحية)، كما ذكرنا في الفصل السابق.

ب ـ التنوّع البيولوجي (الحيوي) في الصحراء، على الرغم من جفافها ونُدرة أمطارها، ويتمثل هذا التنوع في فصائل النباتات والحيوانات والطيور والحشرات، ويمكن الإشارة إلى أبرز أشكال السياحة الصحراوية البيئية (الإيكولوجيّة أو الطبيعيّة أو الجماليّة) والأنشطة المرتبطة بها على النحو التالي:

ـ **ظاهرة الكثبان الرملية**: وهي من أكثر الظواهر الطبيعية انتشارًا في الصحاري العربية، وتستطيع الدول العربية أن تُسوّق هذا المنتج السياحي بأساليب وطرق مختلفة، مثل إقامة المُخيمات، أو الرحلات على ظهور الجمال أو السيارات أو الطيارات لمشاهدة هذه التجمعات الرملية وتصويرها، وممارسة الرياضات المختلفة فيها(٥).

نحن هنا لسنا بصدد التحدّث عن الكثبان وماهيتها ومورفولوجيتها، بمقدار ما نحن بصدد الحديث عن الاستفادة سياحيًا منها لأنّها تُشكل عنصرَ جَذْبٍ سياحي يجب استثماره الاستثمار الأفضل.

ـ **ظاهرة الواحات الصحراوية**: الواحات هي مناطق الخُضْرة الدائمة في الصحراء، وتُعدّ عُمومًا من أهم المعالم السياحية الصحراوية العربية، ومن أكثر عناصر الجذب السياحي في الصحاري العربية التي يُمكن أن تُشكّل أقطاب نموٍّ سياحي (Growth Pole)، كما يُمكن إقامة المهرجانات السياحية الثقافية في هذه الواحات، كما هو الحال في المهرجانات التي تُقام في دوز

---

(٥) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ٧، ص ٢٧٢ من هذا الكتاب.

وقبلي في الجنوب التونسي، وفي النعيرية وحائل في السعودية، وتدمر في سورية، ورَمْ في الأردن، وقرناو في اليمن، وواحات سيوه في مصر، وواحات تمنراست (عاصمة الهقار أو الأحجار) والمراب في الجزائر، وواحة ورزازات في المغرب، وواحات غدامس ومرزق في ليبيا.

هناك ميزة أخرى في الواحات العربية تجعل منها عُنصر جَذْبٍ سياحي وهي: غناها بثرائها الثقافي، فالواحات العربية وفّرت على مدى العصور الماء والغذاء للسكان، ما مكّنهم من القيام بالنشاطات الاجتماعية والاقتصادية التي شكّلت حضارة وثقافة صحراوية مُميّزة، حيث كثير من المدن، بل والعواصم العربية هي في أساسها واحات استقطبت السكان مِثل مدن الرياض وحائل وطريف ورفحا وسكاكا وعرعر وبريدة وعنيزة والعديد من المدن السعودية، كما أن العديد من المدن والعواصم الخليجية هي في أصلها واحات توسّعت وتضخّمت بعد اكتشاف النفط، كما في الكويت وقطر والإمارات العربية المتحدة وعُمان والعديد من المدن الصحراوية في الصحراء الكبرى، وفي جنوب كل من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب تحديدًا.

تُعاني الواحات العربية مُشكلة التصحر (Desertification)، وزحف الرمال ما يؤدّي إلى تقلّص الأراضي الزراعية، ويُهدّد سُكّانها بالتشرّد والحياة الرّعويّة بالموت، كما في العديد من الواحات العربية، ومن أكثرها وضوحًا واحة كيرزاز (Kerzaz) غرب الجزائر، ويُمكن أن تُشكّل هذه الواحات مراكز مهمّة للقضاء على آفة التّصحّر، وتحقيق عمليّة «التّحضّر» (Urbanization) في الداخل الصّحراوي.

ـ **ظاهرة امتداد الصحراء واتّساعها**: ينبهر المُرتحل (السائح) في صحاري كلٍّ من شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى وتفرّعاتها في الدول الأفريقية العربية، بسهول هذه الصحاري المُمتدة والمُترامية إلى الآفاق البعيدة، تُشكّل هذه البانوراما الرائعة عُنصر جَذْبٍ سياحي مهمًا، لكن العائق الرئيس أمام المُرتحل أو السائح هو صعوبة التنقّل في هذه الفيافي الموحشة.

من هُنا، فإنّ هذا الاتّساع الذي يُمكن أن يُشكّل عنصر جَذْبٍ سياحيٍّ بوجود التّسهيلات اللازمة للسائح لاكتشاف أسراره، يُمكن في الوقت نفسه أن يُشكّل بيئة مُخيفة مُوحشة في حال عدم وجود هذه التّسهيلات،

فالصحراء جميلة، لكنها مُخيفة حقًّا، ومن يتصوّر نفسه وحيدًا في هذه الصحراء المترامية الشاسعة، لا شك في أنّه سيشعر بالقشعريرة تجتاحه خوفًا من وحوش كاسرة منتشرة في أرجائها، وذلك في غياب طرق المواصلات، ووسائل الراحة وخلوّها من السكان والأُنسة الاجتماعية.

إنّ اتساع الصحراء يُمكن أن يُستثمر ليُشكل عُنصرَ جَذْبٍ سياحيٍّ آمنًا ومُطَمْئِنًا، من خلال شقّ طرق المواصلات، وبخاصّة السكك الحديد التي يُمكن أنْ تربُط بين الواحات الصحراوية العربية، أو بين مناطق سياحية صحراوية مُتباعدة، وذلك بعد إجراء الدراسات الطبوغرافية، والاستفادة من تقنيات الاستشعار عن بعد (Remote Sensing) لِتَفادِي الأجزاء التي يكون فيها زحفٌ للرمال، أو منخفضات وتجمّعات رمليّة، ولدى الدول العربية تجارب سابقة، فعلى سبيل المثال أقامت الدولة العثمانية في عام ١٩٠٨ الخط الحديدي الحجازي الذي يربط مدينة دمشق، ويعبر البادية الأردنية والمناطق الجافة الجرداء في شمال السعودية (تبوك وتيما)، وصولًا إلى المدينة المنوّرة، هذا الخط يمكن أن يخدم الحجاج في الدول التي يعبرها والقريبة منه من جهة، كما يمكن أن يكون مشروعًا سياحيًا صحراويًا ناجحًا بحق.

قياسًا على ذلك يُمكن إقامة خطٍ آخر يصل بين واحات تدمر (في سورية)، والأزرق والعمري (في الأردن)، ليتّجه شرقًا قريبًا من خط التابلاين، فيمر في طريف وعرعر ورفحا والقيصومة، ومنه يتفرّع إلى الكويت شمالًا، وإلى الهفوف جنوبًا، ليتجه بعد ذلك إلى واحة البريمي في الإمارات العربية المتحدة وعُمان، ولا نُبالغ إنْ قُلنا إنّ هذا الخط يمكن أنْ يستمرّ باتجاهه إلى واحات سناو وهيما ودوكة، وإلى مدينة صلالة، ومنها إلى ريخوت، جنوب جبل القمر (في عُمان)، ويتجه غربًا إلى سيئون وشبام وذمخ (في اليمن)، ويمكن أن يتجه إلى الشمال الغربي إلى شرورا (في السعودية)، عند الطرف الغربي للربع الخالي[٦].

هذا ما ينطبق على صحاري آسيا العربية، أما رَبْط واحات أفريقيا العربية فيبدو أكثر سهولةٍ (وبخاصة مع وجود دراسات عربية جادة لإقامة

---

(٦) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ٨، ص ٢٥٦ من هذا الكتاب.

مثل هذه المشاريع السياحية)، إذ على سبيل المثال يُمكن إقامة سكة حديدية تتّجة شرقًا وغربًا، تبدأ من أسوان على النيل وتخترق الواحات الصحراوية المصرية (الخارجة والداخلة وسيوه)، ومنها إلى الجغبوب وجالو وزلطن والجفرة وسبها وغدامس (في ليبيا)، ومن هناك إلى المِدنين وقفصه (في تونس)، ومنها إلى توغورت وورقلة وغرداية والغويلة وتندوف (في الجزائر)، ومنها إلى موريتانيا والمغرب(٧).

بِمثل هذه المشاريع السياحية الوحْدَويّة والدراسات الجادّة الهادفة، يمكن أن نتّجه إلى إعمار الصحراء، وبذلك يمكن أن تتحوّل ميادين وفيافي الصحاري العربية من الصورة المُوحشة القَفْراء، إلى الصّورة المُسْتأنسة الخضراء.

- تنوّع الأشكال المورفولوجية الطبيعية في الصحاري العربية: تتميّز الصحاري العربية بالتنوّع الهائل في المناظر الطبيعية، والنّاتج من تعدّد المظاهر التضاريسية، مثل الجبال الصحراوية في كُلٍّ مِنْ صحاري آسيا العربية (جبل بشرى والجبال التدمرية وجبل العرب في سورية، وجبال رَمْ والشوبك في الأردن، وجبل شمر والأبانات والنّير والقهر في السعودية، وكاترينا في شبه جزيرة سينا، وصحاري أفريقيا العربية (جبل الشايب وجبل عملة) وجبال الأكاكوس وتبستي في ليبيا، والعوينات على الحدود المصرية السودانية الليبية، وجبال الأحجار (الهقار) وضوضا في الجزائر.

من الجدير بالذكر أن هذه الجبال: صخرية جرداء، تحوي تشكيلات صخرية جميلة تحوّرت وتشكّلت بفعل الرياح، هذه التّشكيلات الصخرية يمكن أن تُشكّل عنصر جذبٍ سياحيٍّ إذا جرى استثمارها بحق (وسبق الإشارة إليها في الفصل الثاني)، ومن أكثر الجبال الصحراوية جَذْبًا للسائح أو الزائر هي الجبال البركانية والحرّات المجاورة لها، ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة في مناطق جبل العرب في سورية، وفي مناطق جنوب الأردن، وفي منطقة الدرع العربي في نجد، وبخاصة على الطريق التي تصل بين تبوك وتيما والمدينة المنوّرة ومنطقة حائل في السعودية.

(٧) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ٨، ص ٢٥٦ من هذا الكتاب.

هناك مظاهر مورفولوجية أخرى في الصحاري العربية يمكن أن تُشكّل عناصر جذب سياحي، وهي انتشار **ظاهر المَغاوِر والكهوف** التي تُعتبر بحقٍّ كنوزًا طبيعية وتُراثًا وطنيًا يوجد في معظم الدول العربية، ويمكن أن تُعتبر مسارح تُشير إلى جمال الطبيعة الصحراوية، وتتباين هذه الكهوف بتباين أنواعها وأطوالها وأحجامها وتكويناتها الجغرافية، وكانت هذه الكهوف مصدرًا خصبًا لكثير من الأساطير والقصص الغريبة التي علقت لفترات طويلة في أذهان المجتمعات، إضافة إلى ما شكّلته هذه الكهوف من مصدرٍ مُهمّ لاكتشاف كثير من الكتابات القديمة والوثائق التاريخية البالغة الأهمية، التي غيّرت بصورة جذرية كثيرًا من المُعتقدات والأفكار عن بعض الديانات.

من الأهمية بمكان أن نُشير إلى أنّ هذه الكهوف والمغارات تعتبر من أهم المقوّمات الطبيعية والمعالم السياحية، وتشكل جزءًا مهمًا من التُراث الطبيعي والبيئي السياحي في العديد من الدول العربية.

يُمكن أن تُشكل هذه الكهوف المُنتشرة في أرجاء الصحاري العربية نقاطَ جَذْبٍ سياحيٍّ مهمة، ويمكن أن يكون غار حراء (وهو الغار الذي شكّل مصدرًا من مصادر تأمّل سيدنا محمد (ﷺ) بالطبيعة وبخالق هذه الطبيعة، هو أكثر المغارات والكهوف جَذْبًا للسياح، وبخاصّة في أثناء مواسم الحج والعمرة)، وهو غار يقع بجوار مكة المكرمة، ويوجد في جبل صخري صحراوي أجْرد، والوصول إليه من خلال دَرْب ضيق، لا بدّ لسالكه من أن يتمتع بمهارات جيدة في تسلّق الجبال[٨].

يوجد في الصحاري العربية مظاهر مورفولوجية أخرى تسترعي انتباه السائح وتجذبه إليها، وهي انتشار **ظاهرة الأودية** (الجافة غالبًا)، **والرّوْضات** التي تتنوّع نباتيًا، وبخاصّة بعد سقوط الأمطار، وجرى عرض بعض الأودية

(٨) اعتمد الباحث على مشاهداته الشّخصيّة عن أهميّة المغاور والكهوف في السّياحة، وذلك من خلال تردّده الدّائم على بعضها (مثل غار حراء) في أثناء تدريسه في السعودية للفترة ١٩٧٣ - ١٩٧٥، للمزيد عن هذه الكهوف انظر: موقع الدليل السياحي العربي على شبكة الإنترنت (١٠/ ١/ ٢٠٠٧)، وبخاصة: «كهوف عُمان: كنوز طبيعية وتراث وطني ومسرح لجمال الطبيعة»، حيث يشير إلى العديد من هذه الكهوف المنتشرة في أرجاء سلطنة عُمان مثل: كهوف حمور وأثين ورزات والعين والخفافيش والمرنيف وبئر الطيور وكهوف وادي دربات وكهف طبق، هذه الكهوف التي أصبحت مناطق جذب سياحي في سلطنة عُمان.

في الفصل السابق، وما نريد أن نشير إليه هو تكوينات هذه الأودية من رمالٍ وحصواتٍ مستديرةٍ، متفاوتةٍ في أحجامها، علاوةً على انتشار المراوح الفيضية على جانبي هذه الأودية، وانتشار العديد من الأشكال الصخرية التي يمكن أن تجذب انتباه السائح المهتم بالدراسات المورفولوجية أو البيولوجية.

تضمّ الصحاري العربية ظواهر فريدة تتمثل في **البحيرات الصحراوية**، مثل خزّان الثرثار وبُحيرة الحبانية في العراق، علاوة على البحيرات الصحراوية الجافة التي تنتشر فيها الشعاب المرجانية المُتحجّرة، ويشكل ـ على سبيل المثال ـ بطين ضُرما (القريب من مدينة الرياض) علامةً بارزةً لهُواة السياحة الصحراوية[٩].

علاوة على ذلك يوجد في الصحاري العربية ظواهر أخرى فريدة، مثل **المنخفضات الصحراوية والقيعان** المنتشرة فيها، التي يمكن أنْ تُشكل عناصر جذب سياحي من خلال تطوير هذه المواقع السياحية بالاستثمار السياحي المحلّي (على مستوى الدولة)، أو العربي من خلال العمل العربي المشترك سياحيًا، أو الاستثمارات الأجنبية السياحية في الدول العربية.

كما تنتشر ظاهرة غاية في الأهمية سياحيًّا ـ على الرغم من محدوديتها، ويمكن أن تُشكّل نقاط نمو سياحي في مناطق صحراوية جرداء، هي ظاهرة انتشار الأشكال المائية البسيطة التي تسمى «**الخباري**» في شمال شبه الجزيرة العربية، أو «**الضايات**» في شمال أفريقيا.

ـ **رَوْعة شُروق الشمس وغُروبها وليل الصحراء المُدهش**: هي من عناصر الجذب السياحي المهمة في البيئات الصحراوية العربية، وكان

---

(٩) بُطيْن ضُرُما يقع على بعد ٣٠ كلم غرب مدينة الرياض، وهي أراض منخفضة ومحصورة بجبال طُوَيْق من الشمال والشرق والجنوب، ونفوذ الغرير من الغرب والجنوب الغربي، وهي منطقة جاذبة للسياح لقربها من مدينة الرياض، ووجود طرق مواصلات وتنوّع تضاريسها، وانتشار الأودية فيها ذات الأشجار المظلّلة، ووجود التكوينات الصخرية، والمُتحجّرات، من مواقع وشعب مرجانية، ووجود الشلّالات الموسمية، وكثرة المواقع الأثرية فيها التي تدل على تنوّع الحضارات التي مرّت بها هذه المنطقة في العصور الحجرية، وعصر ما قبل الإسلام، والعصور الإسلامية، والعصور الحديثة، للمزيد انظر: **الرياض**، ٢٧/٨/٢٠٠٧.

للباحث تجربةٌ فريدةٌ في معايشة مثل هذه الظواهر الطبيعية في صحاري نجد (وبخاصة النفوذ)، واللّافت في ليل الصحراء أنّه حينما يحل الظلام تشعر باقتراب النجوم بكثرة من الأرض، حيث تستطيع أن ترى أعدادًا هائلةً من النجوم أكثر مما تراها في ليل المدينة أو القرية، فأنت تستطيع أن ترى القمر وكأنه على مرمى اليد، لكنّ الأجمل مِنْ كلّ ذلك هو مُشاهدة شروق الشمس وغروبها، أينما كنت في الصحراء (على جبلٍ، أو في وادٍ، أو فوق تلّةٍ صحراويةٍ، أو منطقةٍ مستويةٍ)، وتصف إحدى السائحات شروق الشمس وغروبها في صحراء جنوب الجزائر قائلة: «في الغُروب كانت الشمس كَصبيّةٍ تُلَمْلِمُ خُصْلات شَعْرِها في طَرْحَةٍ بلديةٍ سوداء، تُعْلِنُ هبوط الليل، وفي الصباح أطْلَقتْ العنان لشَلّالِ شَعْرِها الأشقر فوق الجبال زاهيًا برّاقًا مُعلِنًا يومًا جديدًا»[١٠].

ـ **ظاهرة التنوع الحيوي (البيولوجي)**، من الظواهر البيئية التي تُشكل عنصرًا جاذبًا للسياح، وبخاصة من المهتمين بالدراسات البيولوجية، أو ممّن يستهويهم مراقبة سلوك الحيوانات والطيور، أو ممّن يهتمون بالورود والنباتات، أو الرسم والتصوير لهذه الكائنات الحية.

نظرًا إلى اتّساع ظاهرة التصحر، وسيادة الظروف المناخية الجافّة، تراجعت أصناف وأعداد الفصائل النباتية والحيوانية في الصحاري العربية، بَلْ إنّ كثيرًا منها تعرّض للانقراض، واستشعرتْ بعض الدول العربية بهذه المخاطرّ فتوسّعتْ في إقامة المحميات الطبيعية (Reservations)، فعلى سبيل المثال يوجد في السعودية أكثر من عشرين محمية منتشرة في مختلف مناطق المملكة، منها محميّات الخنفاء والطبيق في الشمال، ومحازة الصيد وحوطة بني تميم في الوسط، وريده وعروق سبيع وأم القماري في الجنوب، واستطاعت السعودية إعادة كثير من الفصائل النباتية والحيوانية إلى الحياة والتكاثر من جديد.

كما اهتمت الأردن بإقامة المحميات الطبيعية للحفاظ على الأنواع

---

(١٠) أميمة أحمد، «إيلاف في الجنوب الجزائري،» إيلاف، ٣٠/١٢/٢٠٠٥، على موقع الإلكتروني: <www.elaph.com>.

النادرة من الحيوانات والنباتات البرية، وحمايتها من الانقراض، ومن المحميات المهمة التي إقامتها الأردن في الصحراء الأردنية محميتا الشومري والأزرق، حيث أقيمت الأولى بالقرب من الأزرق في الصحراء الشرقية، وتبلغ مساحتها ٢٢ كلم²، وخُصّصت لإعادة إطلاق المها العربي الذي كان قد بدأ بالانقراض، ويجري في المحمية أيضًا إكثار عدد من الحيوانات الأخرى، وتتكاثر فيها طبيعيًا أنواع من الطيور البرية.

أما محمية واحة الأزرق فتبلغ مساحتها ٢١ كلم²، وتُعتبر ممّرًا للطيور المهاجرة بين أوروبا وأفريقيا، التي تتوقّف في الأزرق لفترة استراحة قصيرة، وتُفضّل أحيانًا أن تُقيم في المنطقة طيلة فصل الشتاء، وفي المحمية شاليهات تابعة للجمعية الملكية لحماية الطبيعة، يمكن المبيت فيها، كما يمكن للزائر أن يقضي أوقاتًا ممتعة في مراقبة الطيور من الأكواخ والمواقع المخصصة لذلك، ما يجعل محمية الأزرق من أهم المواقع لممارسة هواية مراقبة الطيور[(١١)].

كما توجد تجارب ناجحة في عدد من الدول العربية في إنشاء المحميات مثل الكويت وعُمان وتونس ومصر ومعظم الدول العربية، وهنا لسنا بصدد التوسّع في تعداد المحميات في الدول العربية، لكننا نُريد أن نُشير إلى أنّ هذه المحميات استطاعت أنْ تؤدي دورًا مهمًا في حماية كثير من الأنواع الحيوانية البرية، مثل المها العربي الذي يوجد في صحراء السعودية والإمارات، وغيرها من دول الخليج العربي، وكذلك طيور الحباري التي تعمل الإمارات على حمايتها حاليًا بعد أن كانت مهددة بالانقراض خلال العشرين عامًا القادمة، وكذا بعض الأنواع النباتية مثل

---

(١١) قام الباحث بزيارةٍ إلى محميّات عديدة في السعودية، خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٩٨ و٢٠٠٥م، ونستطيع القول إن السعودية من الدول الناجحة في استعادة العديد من الطيور والحيوانات في محمياتها، وفيها نوعان من المحميات: المُغلقة، والمفتوحة، وتمتاز هذه المحميات عمومًا باتّساع مساحتها. أما الأردن فلديه محميات عديدة أشهرها، محميتا الشومري والأزرق الصحراويتان، وهناك محمية ضانا في الجنوب التي تعتبر التجربة الأردنية النّاجحة في السياحة البيئية. للمزيد عن هذه المحمية انظر: جامعة الدول العربية وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، **الدليل الإرشادي للسياحة المستدامة في الوطن العربي، سلسلة (١): دليل مفهوم السياحة المستدامة وتطبيقها** ([القاهرة: الجامعة، ٢٠٠٤])، على موقع الإلكتروني: <www.unep.org.bh>.

النباتات الطبية الصحراوية التي تزخر بها الصحاري العربية مثل نبات السكران والحنظل وغيرها.

نَودّ الإشارة إلى أن التّوسّع في إقامة المحميات الطبيعية ضرورة حتمية، من أجل سياحة بيئية في الصحاري العربية، ومن هُنا تمّ عقد المؤتمرات والندوات العلمية والمهرجانات البيئية في العديد من الدول العربية، التي تشير إلى ضرورة الاهتمام بشؤون البيئة الصحراوية والمناطق شبه الجافة، وبخاصة بعد اتساع ظاهرة التصحر في العالم، ومن هذه المؤتمرات على سبيل المثال «المؤتمر العربي لتنمية السياحة البيئية الصحراوية» الذي أقيم في الوادي الجديد في جمهورية مصر العربية بين ١٨ و١٣ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٣، برعاية الجمعية العمومية للاتحاد العربي للشباب والبيئة، حيث قدّم في المؤتمر العديد من أوراق العمل التي تصب كلها في تنمية السياحة الصحراوية، وبدأت الجلسة الأولى من المؤتمر بعنوان «التنوع البيولوجي في الصحاري العربية».

تطرّق المتحدّثون في الجلسة(١٢) إلى علاقة التنوّع البيولوجي بالسياحة البيئية الصحراوية، وإلى التنوع البيولوجي في الصحراء الشرقية بمصر، التي تبلغ مساحتها ٢٢٥ ألف كلم² (٢٨ في المئة من مساحة مصر)، وبخاصّة في منطقة جبل عملة كمثالٍ للتنوع البيولوجي، حيث يوجد ٢٣١ نوعًا من النباتات الطبية، و٥٧ ألف نوع من الحيوانات، و٩٩ نوعًا من الحشرات، ويُعتبر هذا الجبل مثلًا للتنوع البيولوجي في الصحراء الشرقية.

هُنا نريد أن نُؤكّد ضرورة محافظة الدول العربية على التنوع والتوسع في إنشاء المحميات الطبيعية، والاهتمام بالدراسات البيئية.

٢ ـ أشكال الرياضات الصحراوية

في الصحاري يمكن أن تُمارس أنواع وأشكال متعددة من الرياضات القديمة والحديثة، حيث شهدت الصحاري العربية بعض هذه الأنواع منذ

---

(١٢) كان المتحدثون في الجلسة الدكتور سامي وكيل أول وزارة الزراعة، والدكتور عماد عدلي رئيس المكتب العربي للشباب والبيئة عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، وتحدث سيد خليفة من مركز بحوث الصحراء، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.eef.org.bh>.

القِدَم مثل: سباقات الخيل والهجن وغيرها، وأهم أشكال الرياضات التي يمكن أن تمارس في الصحاري العربية:

ـ **الصيد بأنواعه المختلفة**: يُعدّ الصيد أو «المِقْناص»، كما يُعرَف عند سكان الصحراء من الهوايات التي كانت وما زالت تحظى بإقبال متزايد، وبخاصة في دول الخليج العربي، ويتحيّن الصقارون مواسم الصيد لمزاولة هوايتهم، إذ يُعتبر الصقر وكلاب «السّلوقي» أبرز اللاعبين فيها، حيث يتسابقان في مطاردة الحباري والغزلان والأرانب، وهناك أنواع عدة من الصقور، منها «الشاهين والحر»، وهي من أكثر أنواع الصقور انتشارًا في الصحاري العربية، ويجد الصيادون مُتعةً لا تُضاهَى في رحلات الصيد (السفاري)، حيث يخرجون جماعات إلى الصحاري، مثل الرُّبع الخالي والصحراء الكبرى، للتخيُيْم وتدريب الصّقور التي تُقدّر أسعارها بمئات آلاف من الريالات في دول الخليج.

يقوم بعض مُحترفي الصيد في هذه الدول بالسّفر على شكل جماعات إلى دول عربية مجاورة أو بعيدة، وذلك لمُمارسة هذه الرياضة المُمتعة، حيث تشهد بعض أجزاء من الصحراء الكبرى في ليبيا وجنوب تونس وجنوب الجزائر وموريتانيا والمغرب، مناطق جَذْبٍ سياحِيٍّ، وبخاصّة في أواخر فصل الشتاء، وخلال فصل الربيع، كما تشهَدُ بادية الشام، وبخاصّة مناطق غرب الفرات رحلات صيد، ويمكن للدول العربية أن تُصْدِر برامج مُشتركة يُشار فيها إلى أماكن الصيد، وأنواع الطيور أو الحيوانات الموجودة، والأوقات المسموح فيها بالصيد.

ـ **السّفاري والرّاليات (سيارات ودراجات) والتّطْعِيْس والتّفْحِيْط**: لبعض الدول العربية تجارب مُتقدمة في هذا المجال سنعرضها بالتفصيل (الفصل الرابع)، لكنْ يُمكن الإشارة إلى بعضها بإيجاز، حيث يُمكن القول إنّ لدول الخليج العربي تجاربَ جيّدةٍ في ذلك، وبخاصة السعودية، ويشهد على ذلك رالي حائل الذي يُقام سنويًا[١٣]، وهناك رالي الفراعنة في مصر، ويُمكن إقامة راليات في أماكن مُتفرقة من الصحاري العربية، وذلك بعد

(١٣) للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.alwatan.com.sa>.

إجراء دراسات مشتركة بين الدول العربية المتجاورة، إذ على سبيل المثال يُمكن إقامة رالي في بادية الشام بين الأردن وسورية، كما يمكن إقامة رالي يخترق دول الصحراء الكبرى شرقًا وغربًا من مصر إلى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

ـ **سباق الخيل والهجن:** كانت الخيول والإبل من أقدم الحيوانات التي تعامل معها العربي في الصحراء، وبَقِيَتْ حتى فترة قريبة هي وسيلة المواصلات والتنقل والترحال لدى سكان الصحاري العربية، لذا تُعتبر رياضة سباق الخيل والهجن من أقدم الرياضات التي عرفها العربي بشكل عام، وسكان الصحاري بشكلٍ خاصٍّ، وكان ولا يزال لهذا النوع من الرياضة أدبياته ومُسمّياته المختلفة.

كان لاستعمال الخيول العربية ومنذ فجر الإسلام دورٌ كبيرٌ في اتساع رقعة الدولة الإسلامية، واشتهرت الخيول العربية بِتَعدّدِ صفاتها وأسمائها، ومن أشهر هذه الخيول: الكُحَيْلات والهَدَبْ والحَمَدانيات والصَّقْلاويّات والعُبيّات والطُويْسَة والمَلَوْلَش والشّويْمة والكُرُوش والكَري والشّوافة والدّهمة، وتمتاز الخيول العربية بسرعة عَدْوِها ورشاقتها[١٤].

أما الإبل فهي سُفن الصحاري، والمرتبطة بها ارتباطًا وثيقًا، استأنسها الإنسان في جنوب الجزيرة العربية منذ ما يزيد على أربعة آلاف عام، وعُثِر

---

(١٤) الخيل الكحيلات: سميت بذلك لجمال عينيها التي تبدو وكأنها مكحلة، وتسمى الفرس كحيلة والحصان كحيلان، ويقال للبنت الأصيلة «كحيلة»، وللرجل الأصيل «كحيلان»، وكما قال الشيخ الفارس الشهير عبيد بن علي الرشيد مادحًا نفسه:

أنـا ولـد عـلـي سـلايـل كـحـيـلان ربـي خـلـقـنـي لـلـسـبـايـا وداعـة

ـ الخيل الهدب: أي طويلة شعر الناصية.

ـ الخيل الحمدانيات: سميت بذلك نسبة إلى صاحبها الأول حمدان السمري القاسمي الظفيري.

ـ الخيل الصقلاويات: أي الخيل الضامرة قليلة اللحم أو الرشيقة.

ـ الخيل العبيّات: ترجع بأصلها إلى فرس قديمة تسمى «العبية»، نسبة إلى عباءة فارسها التي نزعتها الرياح عن ظهره لسرعة عدوها، ومع ذلك ولأصالة الفرس حافظت عليها بأن رفعت ذيلها وتعلقت العباءة بالذيل وبقيت الفرس رافعة ذيلها طول الغارة ولم تسمح للعباءة بالسقوط على الأرض.

هناك العديد من الأسماء للخيول العربية الأصيلة، وعن أسباب تسميتها بذلك، وصفاتها الجسمية، انظر: منتديات المهباش الأردنية، على الموقع الإلكتروني: <forum.almihbash.com/index.php>.

على نقوشٍ صخريّةٍ عدة تُشير إلى رسوم الإبل، كما في نقوش منطقة الطُبَيْق في السعودية.

نظرًا إلى ذلك، اشتهرت الإبل العربية بأسماء متعدّدة بحسب قوّتها وألوانها ومنها: العَرْمَسْ والفِيْح والوَجْناء والسّناد والجَلْس والمُكنِّسة والنّضا والعَوَصْ والغوْج والقَوْداء والصّعب والمِشْعاف والشُّخْرافي والعِيط والخَامِر والشّناج والجَدْعيّة والرّدوم والكُوم والجِيل والعَيْدهيَة والرّابخ والرّكائِب والرّجّادات والجِيش والزّمالة والرّاحلة والذّلول والمَعاويْد والمَطيّة والمَغاتِير والفَواوِيْر والمَدْحيّة والشُّقْح والمَجاهِيم والصُّفْر والمَلَح والعَطْرا والشّعْلا . . . وغيرها[١٥].

اهتمّت بعض الدول العربية بتربية الخيل والإبل، وإقامة العديد من مهرجانات الفروسية والسباق والمبارزة والصّولجان، وسنعرض بعض تجارب الدول العربية في هذا النوع من الرياضات في الفصل الرابع من هذا الكتاب[١٦].

ـ مشاهدة تضاريس الصحراء بالسّير على الأقدام، أو على ظهور الجمال، أو بالسيارات ذات الدفع الرباعي، أو الطيران الشراعي، أو بالبالونات والمناطيد: تَسْتَهوِي الصحراء السيّاح في ميادينها الفسيحة وأشكال سطحها المتنوّعة،

---

(١٥) ـ العرمس: الناقة القوية الشديدة.
ـ الجلس: الناقة الوثيقة الجسم الشديدة.
ـ النضا: التي خف شحمها ولحمها.
ـ العوص: جمع عوصاء، وهي الناقة الطويلة القوية.
ـ القوداء: الناقة التي تتصف بطول الظهر والعنق.
ـ الصعب: القوي من الجمال.
ـ الشخراف: هو السريع القوي.
ـ الجدعية: هي النجيبة الشديدة من الإبل السريعة في السير.
ـ الكوم: الضخام العظام.

للمزيد عن معرفة أنواع الإبل وأعمارها وأهميتها وأمراضها، انظر: سليمان الأفنس الشراري، معد، **الإبل عند الشرارات** (الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٩١).

(١٦) تونس من الدول العربية التي لها باع طويل في السياحة الصحراوية، حيث المهرجانات التي تعمّ معظم مُدن الجنوب التونسي في دوز وقبلي وتوزر، حيث يوجد ملعب الصولجان، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.alsaqr.com>.

من مسالكٍ ودروبٍ وجبال حادّة وعالية، حيث تتخلل المناطق الصخريّة السّطح، وتُسمّى بالحَمَاد، بعض الدّروب والمسالك التي يُمكن أن تعبرها السّيارات لمشاهدة معالم الصحراء من رمالٍ وأوديةٍ جافةٍ وهضابٍ وحافّاتٍ صخريّةٍ وموائدَ مستديرةٍ وحَزّاتٍ، أو قد يُستخدم الطيران الصغير للتنزّه، بخاصة أنّ مِثل هذه المناطق (الحماد) تحوي قواعد لإقلاع مثل هذه الطائرات وهبوطها، أو قد تُستخدم عروض للبالونات والمناطيد بألوانها الزاهية في سماء الصحراء، كما هو الحال في منطقة وادي رَمْ بالأردن.

ـ **تَسَلُّق الجبال والقفز المظلّي**: تجذب المناطق الصخرية المُرتفعة السياح الذين يحترفون رياضة تسلّق الجبال، كما هو الحال في جبال تِبِسْتي والأحجار والعوينات في الصحراء الكبرى، وجبل كاترينا وجبل الشايب في سيناء والصحراء الشرقية من مصر، أو جبال أجا وسلمى في حائل، أو جبال الأبَانات والنير والقهر في نجد بالسعودية[17]، أو جبال عُمان في الخليج العربي، أو جبال رَمْ في الأردن[18]، وهناك نوع آخر من الرياضة الصحراوية وهو القفز المظلي لِعُشّاق هذا النوع من السياحة، وذلك في مناطق آمنة من الصحراء، ويمكن إقامتها إلى جانب المُخيّم الصحراوي، أو في مناطق الفاعليات السياحية الصحراوية.

ـ **إقامة المُخيّمات**: ومن أشكال السّياحةِ الصّحراويةِ التي تستهوي وتجذب السياح، إقامة المخيمات (التّخْييم (Camping Sites)) المُزودة بكل ما يلزم للمبيت المُريح في بيئة هادئة مُريحة، بعيدة من الضوضاء والتلوّث، إنّ

---

(١٧) تتألف جبال شمر التي تقع بين النفوذ شمالاً، وبين وادي الرمّة جنوبًا، من سلسلتين هما جبال أجا وسلمى، ويمتدان بشكلٍ متوازٍ من الجنوب الغربي، إلى الشمال الشرقي، ويحصران بينهما سهلًا منخفضًا يتراوح عرضه حوال ٧٠ كلم، تقع شماله مدينة حائل، ويبلغ طول جبال أجا ٦٥ كلم، وعرضها ١٠ - ٢٠ كلم، ومتوسط ارتفاعها ١٤٠٠ م، أما جبال سلمى فيبلغ طولها ٥٥ كلم، وعرضها ٧ كلم، وارتفاعها ١١٠٠ م، أما جبال الأبانات فتقع شمال وجنوب وادي الرمة، ويقع جبل القهر شرق وادي تثليث، وتقع جبال النير جنوب طريق درب الحجاز الممتد بين عفيف والدوادمي، ويبلغ ارتفاعه ١٩٠٠ م. انظر: محمود محمد سيف، **جغرافية المملكة العربية السعودية** (الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨)، ص ٥٣ ـ ٥٤.

(١٨) تبعد منطقة رَمْ قرابة ٧٢ كلم عن مدينة العقبة، وفيها أعلى القمم الجبلية في بلاد الشام، وتعتبر جبال رَمْ تحديًا مُمتعًا لهواة التسلّق. انظر: هيئة تنشيط السياحة الأردنية، **الأردن: دليل الزائر** (عمان: الهيئة، ٢٠٠٥)، ص ١٤.

ظاهرة المخيمات من الظواهر القديمة التي تعامل معها الإنسان العربي، ولا شك في أن المخيمات التي كانت تُنقل بمعرفة الجيوش في أثناء غزواتها، كان لها الفضْل الأكبر في نَشْر هذه الوسيلة من وسائل الإقامة بين الأمم التي غَلَبَتْ على أمرها، ولعلّ أكبر تجمّعٍ للمُخيّمات في العالم هو التجمّع الذي يحدث في موسم الحج في عرفة، ومنى من كلّ عام.

من هذه الظاهرة بدأ الإنسان يبحث عن وسائل أخرى لإقامةٍ تتوافر فيها وسائل الراحةِ والمُتعةِ، وانتشرت ظاهرة الحركة الكشفية بعد عام ١٩٠٨ التي اعتمدت على التخييم وسيلةً مهمّةً لتربية الكشّافة، تربيةً استقلاليةً تُعوّدهم الاعتماد على النفس وتهذيبها واتباع النُظم الصحية والتعاون والعمل للمجموع، وتوثيق عُرى المحبة بين الشباب، ومن الجدير بالذكر أنّ لهذه المخيمات دورًا كبيرًا في الحياة الاجتماعية تتمثل في التفاعل بين الأفراد والتعاون في ما بينهم، والترويح عن النفس، واكتشاف المعرفة عن طريق المشاهدة والتثقيف الذاتي، والإحساس الجمالي، وإشباع الهوايات الخاصة، والاستزادة العلمية.

مع مرور الزّمن تعدّدت أنواع المُخيّمات، من أهمها: المُخيّمات الترويحية، وبخاصة في المناطق الصحراوية في فصل الربيع، وانتشر هذا النوع من المُخيّمات في دول الخليج العربي، وكان للباحث تجربته واطّلاعه الخاص على مثل هذا النوع من التخييم في كل من السعودية وقطر، حيث يتجمع الشباب في ليالي الربيع المُقْمِرة في نهاية كل أسبوع، أو شهر، أو العطل الرسمية.

كما انتشر هذا النّوع من التخييم في دول المغرب العربي بحكم التطور الطبيعي والتقدم السياحي، وعادةً ما تحوي مثل هذه المُخيّمات مُقوّمات الحياة كلها، ووسائل الرفاهية من مياه عذبة ومرافق صحية وكهرباء وصالات للطعام وأماكن للإيواء وصالة اجتماعات ومبنى للعيادة (أحيانًا)، ومساكن للمشرفين، وورش حرفية تخدم المخيم[١٩].

---

(١٩) للاطلاع على سياحة المخيمات (تاريخها، ودورها في الحياة الاجتماعية)، وأنواع المخيمات وطاقتها، والعوامل المؤثرة في تصميم المخيم، انظر: رعد العاني، **الوجيز في الجغرافيا السياحية وسياحة المخيمات** (عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥).

يُمكن للعديد من الدول العربية أن تستفيد من تجارب بعضها في إقامة مخيماتٍ صحراويةٍ، كما هو الحال مثلًا في وادي رَمْ بالأردن، حيث يوجد مخيّمٌ خاصٌ مُزوَّدٌ بكلِّ ما يلزم للمَبيت المُريح[٢٠].

٣ ـ أشكال السّياحة الدينيّة والثقافيّة والاجتماعية

ـ السياحة الدينيّة في الصحاري العربيّة: تُمثل الصحراء بالنسبة إلى الإنسان العربي مَعاني وحقائقَ أو مُعتقداتٍ، تُشكّل بعض أهم مقوّمات أو مواردَ وجودهِ المعنوي، ومن تلك المعاني والمُعتقدات المُرتبطة بالصحراء أو المُسْتلْهَمة منها ـ كما ذكرنا سابقًا ـ أنّ الصحراء في شبه الجزيرة العربية هي اختيارٌ إلهي، وموطنٌ للعرب المُنْحدرين من إسماعيل (ﷺ)، وأنّ الكَعبة ـ قبلة المسلمين ـ هي جوار الله، وأجمعوا على تقديسه وتعظيمه من حيث تفرّقوا، أو ارتحلوا وهاجروا، ولذا فإن هذه الصحراء هي مَهد الإسلام، ومُنطلق الحضارة العربية، منها انطلقت جيوش الفتح الإسلامي باتجاه الصحاري العربية في العراق وبلاد الشام ودول أفريقيا العربية.

لذلك شهدت بعض بقاع الصحاري العربية، منذ بدايات الفتح الإسلامي، إنشاء العديد من المساجد الإسلامية، ومقامات الصحابة وأضرحتهم، كما شهدت العديد من وجود أضرحة الأولياء الصالحين، ويوجد فيها العديد من المزارات والشواهد والزّوايا والتّكايا، وشهدت الصحاري العربية وجود العديد من الأديرةِ والكنائسِ وأماكن العبادة المسيحية، ومعظم هذه الأماكن الدينية بحاجة إلى إعادة ترميمٍ أو صيانةٍ وتجديدٍ لأنّها تُشكل عناصرَ جَذْبٍ سياحيٍّ لأتْباع الديانتَيْن المسيحية والإسلامية من مُختلف بقاع العالم.

إذن تستطيع الدول العربية أن تَستقطِب السّياح من مُختلف دول العالمَيْن المسيحي والإسلامي، وغَني عن القوْل ما يترتّب على ذلك من دَخْلٍ يتمثل في العُمْلات الصّعبة، ومن تفاعلٍ اجتماعيٍّ إنسانيٍّ يتمثل في التّسامح بين أبناء الديانتَيْن المسيحية والإسلامية، ومن أكثر المناطق شُهرة

(٢٠) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ٨، ص ٢٧٢ من هذا الكتاب.

على ذلك هي منطقة سيناء في مصر التي تزْخر بالمعالم الدينية، مثل سانت كاترين، وقبر النبي هارون عند مدخل مدينة سانت كاترين، ودير البنات[٢١].

- **السياحة الثقافية في الصحاري العربية:** نظرًا إلى اتساع مساحة الصحراء في الوطن العربي، وعَرَاقة سُكّانها، وأصالة عاداتهم وتقاليدهم، لفَتَت الصحراء المُخطّطِين في المجال السياحي إلى ضرورة استثمار عناصر الجَذْب السياحي الثقافية وإبرازها وتفعيلها على الصعيدَيْن المحلّي العربي والعالمي، وذلك بهدف إبراز الأنشطة الثقافية في هذه الصحاري، التي من أهمها: الرّسم والفنون التشكيلية، وإقامة المهرجانات الشعبية التي تعرض ثقافات شعوب الصحراء، وإقامة المؤتمرات والندوات الثقافية، والمُساجَلات الشعريّة، وإقامة العُروض المسرحيّة التي تعكس ثقافة أبناء الصحاري.

مِنْ أهم المهرجانات التي أبرزت حياة سُكان الصحراء والاهتمام بعاداتهم وتقاليدهم هو: «مهرجان حضارات وثقافات شعوب صحاري العالم»، الذي يهدف إلى إبراز ثقافات الشعوب الصحراوية، وجرى تنظيم ثلاثة مهرجانات في هذا المجال ركّزت على[٢٢]:

- الثّقة في قُدُراتِ شعوب الصحراء، وبجماليات كُثبانها وجبالها الشاهقات الشّامخات، ولذلك لا بدّ من التوجّه إلى اكتشاف كنوز الصحراء واستثمارها بشكل أفضل.

- لكُلّ صحراء خصوصيتها التي تضبطها الجيولوجيا وتصنعها الشعوب التي تَسكنها، والتي طوّرت على امتداد آلاف السنين الثقافات والتكنولوجيات التي مكّنتها من التفتّح في كَنَفِ منظومات إيْكُولُوجيّة، وكلّ صحراء بذاتها غنية بتعدّد جوانبها التي تُزاوج بين التّباين، وبين الاختلاف الطفيف، مُشكِّلةً مواطنَ ذات خصوصية.

---

(٢١) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ٩، ص ٢٧٣ من هذا الكتاب.

(٢٢) للمزيد حول المهرجان الثقافي لثقافات الشعوب الصحراوية انظر الموقع الإلكتروني: <www.el-monradia.dz/arabe>.

● ألهَمتْ الفضاءات الصحراوية أبدع روائع الأدباء، وفيها نزلت الرسالات السماوية، وأخذت بِلُبّ سائر المُستكْشفين الذين غامروا واقتحموا مجاهلها ومهالكها فأسَرَتْهم بسحرها.

● إنّ أهل الصحاري في مُغالَبَتِهم ما يُحيطهم فيها من ظروفٍ قاسيةٍ صعبةٍ، استطاعوا إيجاد حضاراتٍ وثقافاتٍ تَحظَى بالإعجاب والتقدير، لأنّها عَرَفتْ كيف تُرهِفُ السّمع وتُصغي للصحراء.

● وُفّق كُتّاب عظماء في وصْف جمال الصحراء، منهم ابن بطوطة الذي عاش في القرن الرابع عشر، حيث إليه يعود الفضلُ، بصفته أوّل رحّالةٍ يُدوّن ما تكوّن عنده من انطباعات في أثناء رحلتة عبر الصحراء.

● ظُهور العديد من الحضارات على أطراف المحيط الصحراوي، الّتي استفادت من اتّساعه ومَنَعَتِهِ مثل الحضارة الفرعونيّة والنبطيّة والإسلاميّة.

● الصّحراء تُخاطب من يُحسِن الإصغاء إليها، وتأخّر الاهتمام الدولي بالصّحراءِ والتّصحّر، وكان ذلك عام ١٩٧٧ في نيروبي، حيث جرى تنظيم المؤتمر الأول حول التصحّر، وما تلاه من مُؤتمرات مثل: قِمّة الأرض في ريودي جانيرو ١٩٩٢، وقِمّةِ الأرض في جوهانسبورغ ٢٠٠٢.

● في الصحراء عناصر جَذْبٍ سياحيّةٍ متعدّدةٌ ومتنوّعةٌ، إذا استطاع الإنسان اكتشافها واستثمارها.

● أصبح عام ٢٠٠٦ سَنَة للصّحاري والتصحّر، بِناءً على ما توصّلت إليه مُنظمة الأمم المتحدة، والتوصّل إلى أن الصحراء ليست ذلك الفضاء الذي يُنظر إليه عامّة الناس باعتباره فضاءً تَنْعدم فيه الحياة، بَلْ إنّ الواقع عَكَس ذلك، فالصحراء هي الوِجْهة الطبيعية للتنمية المستقبلية.

● التصحّر هو العَجْز، بينما الصحراء هي مَصْدر القوّة، والأماكن المُثلى للإبداع الثقافي والحضاري، وفي تاريخ شعوب المغرب العربي ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ العريق، قائمةً طويلةً من السّلالات التي نَهضَت من أعماق الصحراء، وأسسّت مَمالك وامبراطوريات ودُوَلًا ذاتُ شأنٍ، منها دولة المُرابطين.

● الصحاري هي الإبداع المُتجدّد دَوْمًا، وهي الحركة ضِمن الفضاءات

الواسعة، فكان الأمس على ظهر النّاقة والجمل، واليوم على مَتْن الشاحنةِ والسيارة الرباعية الدّفع والطائرة.

من أهم المهرجانات الثقافية التي تُبرِز ثقافات شعوب الصحراء أيضًا: «مهرجان صحاري العالم» الذي أُقيم أوّل مرة في عام ٢٠٠٤، والمرة الثانية في عام ٢٠٠٥، وجرى فيه عرض الماضي والحاضر في المناطق الصحراوية، واستشراف النظرة المستقبلية لسكان تلك المناطق[٢٣].

- **السياحة الاجتماعية في الصحاري العربية:** شهدت الصحاري العربية قيام مُجتمعاتٍ قِبَليّةٍ مُتماسكةٍ، لها عادات وتقاليد صارمة وواضحة، واستهوت هذه المجتمعات العديد من الرحّالة والسيّاح الأجانب الذين زاروها وأقاموا معهم، وعايشوهم لفترة زمنية طويلة، ومن أوضح الأمثلة على ذلك هو معايشة الويس موزل (Mosil) لِلرْوَلَة في شمال شبه الجزيرة العربية، حيث حجّ معهم ثماني حِجّات، دَرَسَ خلالها كل ما يمتّ إليهم، وإلى حياتهم بصلةٍ، ضمّنها كتابه **أخلاق الرْوَلَة وعاداتهم** (*The Manners and Customs of Rwala Bedouins*) الذي نُشر في نيويورك في عام ١٩٢٨، وقام بترجمته والتّعليق عليه محمد سليمان السديس.

حوى كتاب موزل عَشْرة فُصُولٍ، عن: الأجرام السماوية، والمُناخ، والحيوانات، وبنية المجتمع، وبيت الشّعر وأثاثه، والطعام واللباس والسّلاح، وعادات الزواج والأطفال، الشّعر[٢٤].

---

(٢٣) أقيم مهرجان صحاري العالم في دبي للفترة بين ١٦ و٢٢ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥، تحت رعاية الفريق أول سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم وزير الدفاع، الذي أقيم في إطار فاعليات المهرجان الثاني لحضارات وثقافات شعوب صحاري العالم، هذا المؤتمر المتميّز الثاني نظّمته جائزة زايد الدولية للبيئة وشريكتها منظمة صحاري العالم (الرئيس عبد العزيز بو تفليقة هو راعي هذه المنظمة)، بدعم من وزارتي الخارجية والصحة في دولة الإمارات العربية المتحدة ووزارتي الخارجية والبيئة بالجزائر والدوائر الحكومية لحكومة دبي تتقدمها دائرة السياحة والتسويق التجاري، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.4eco.com/2005/04>.

(٢٤) مُوزل هو أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة براغ خلال النصف الأول من القرن العشرين، أما محمد سليمان السديس المترجم والمعلّق على الكتاب فهو أستاذ في قسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة الملك سعود في الرياض، ويقع الكتاب في حوالى ٥٠٠ صفحة، ويكشف من معايشة دقيقة بين موزل وعشيرة الرولة، للمزيد انظر: ألويس موزل، **أخلاق الرولة وعاداتهم**، ترجمة وتعليق محمد بن سليمان السديس، ط ٢ مزيدة ومنقحة (الرياض: مكتبة التوبة، ١٩٩٧).

شهدت الصحاري العربية عُبورَ وإقامةِ العديد من الرحّالة الأجانب الذين كتبوا عن تضاريسها وشعوبها الشيء الكثير، ومن هؤلاء: سانت جون فلبي، صاحب كُتُب **المُرتفعات العربية** (*Arabian High Land*)، **والعربية السعودية** (*Saudi Arabia*)، **وأرض مدين** (*The Land of Median*)، ومن الرحالة الأجانب الذين عايشوا القبائل الصحراوية العربية: تشارلز داوتي، صاحب كتاب **رحلات في الصحراء العربية** (*Travels in Arabia Desert*).

هناك لونٌ آخر من السياحة الاجتماعية، الذي يُمْكنُ تنميته لدى سكّان الصحاري العربية هو: الألعاب الشعبية والصناعات التقليدية، سواء أكانت جلدية حيوانيّة، أم قَشيّة نباتية، أم خزفية تُرابيّة، سنعرض لبعضها في أمثلةٍ وتجاربِ بعض الدول في السياحة الصحراوية (الفصل القادم).

٤ ـ أشكال السياحة الصحراوية التاريخية والأثرية

شَهدت الصحاري العربية وأطرافها قيام حضارات عديدة عبر التاريخ، خَلّفت وراءَها موروثًا عمرانيًّا متنوّعًا، تمثّل بالآثار التي ترجع بداياتها إلى العصور الحجرية والوسطى والحديثة، وتتجسّد معالم الحضارات السالفة في: القصور التاريخية والقلاع والأبراج والحمامات القديمة وخانات القوافل.

تُشكّل هذه المعالم التاريخية والأثرية عناصر جذبٍ سياحي، ومن أكثر الظواهر الأثرية انتشارًا في الصحاري العربية هي القُصور الصحراوية، وانتشرت ظاهرة القُصور في صحاري شبه الجزيرة العربية وبادية الشام والصحراء الكبرى.

في هذا المجال يُمكن الإشارة إلى أبرز منطقتين في الصحاري العربية شُهرة في ظاهرة القُصور الصحراوية: الصحراء الكبرى (في الجنوب التونسي تحديدًا)، وفي بادية الشام (في الأردن تحديدًا)، وسيجري التركيز على هاتيْن المنطقتيْن باعتبار أن الجنوب التونسي يقع في منطقة الوسط الشمالي من الصحراء الكبرى، وتقع بادية الأردن في الوسط الغربي لبادية الشام، ووظائف القصور في المنطقة الأولى (تونس)، تختلف عن وظائفها في المنطقة الثانية (الأردن)، لذلك لا بُدّ من تفصيل هذه الظاهرة بعض

الشيء، ومع اختلاف وظائف القصور في كِلْتا المنطقتيْن، إلا أنهما يتشابهان في كون هذه القصور تُشكل حاليًا عناصر مهمّةٍ جدًا من عناصر الجذب السياحي في المنطقتيْن.

ـ القصور الصحراوية في الجنوب التونسي[٢٥] القصور ظاهرة معمارية يتميّز بها أقصى الجنوب التونسي، وهي رَمْز ومَعْلَم حضاري يدلّ على عمق تاريخ المنطقة، هذه المعالم هي امتداد لتقاليد معمارية انتشرت في منطقة المغرب العربي، من الأراضي الليبية المتاخمة عبر مسالك جبال نفوسه، وصولًا إلى المنطقة الجنوبية من سلسلة الأطلس المغربية، مرورًا بجبال مطماطة التونسية، ومنطقة المراب الجزائرية.

تتركز القصور الصحراوية في الجنوب التونسي بولايتي مدنين وتطاوين، ويتجاوز عددها ١٥٠ قصرًا، يحوي الواحد أكثر من ٣٠٠ غرفة، تشمل طوابق عدة تصل إلى الخمسة، أدّت هذه القصور دورًا مركزيًا في حياة سكان المنطقة باعتبارها مظهرًا من مظاهر الاستقرار، مِثلما مثّلت الخيْمة مظهرًا من مظاهر الترحال والانتجاع، إن التعمّق في وظائف القصر المتعددة كفيلٌ بإبراز هذا التداخل الذي كان قائمًا بين أصناف المعيشة، والقُدرة على التأقلم مع مناخ صحراوي، ولعل هذا التعامل بين الخيمة والقصر مَثّل خُصوصية الحياة البدوية في المنطقة الجنوبية، بما يجعلها تتميز في بعض خصائصها عن أنماط البداوة في مجتمعات أخرى[٢٦].

يقوم القصر بوظيفة تخزين المنتجات الزراعية المحلية (شعير وقمح وزيت وتين مجفف وتمر وصوف. . . وغيرها)، وهذا يدل على الماضي الزراعي التقليدي، ومعاصر الزيت وبقايا مطاحن الحبوب، وروايات الشيوخ عنها تدل على ذلك، فالوظيفة الأساسية ليست السكن كما يتبادر إلى الذهن (وفي عموم بلاد المغرب تقريبًا)، بل إن القصر يمثل مَخْزنًا جماعيًا تملكه القبيلة والعشيرة، أما الغرفة فتملكها العائلات والأفراد، بينما يقوم السكن

---

(٢٥) للمزيد عن القصور الصحراوية التونسية انظر: محمد نجيب بوطالب، «القصور الصحراوية،» على موقع الإلكتروني: <www.festivaldesksows.com>.

(٢٦) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ١٠، ص ٢٧٣ من هذا الكتاب.

زمن الاستقرار حول القصر، وللقصر وظائف ثانوية تقوى وتضعف بحسب المواسم والظروف الأمنيّة، مثل تأمين النشاطات التربوية والدينية والتجارية، ويتألف القصر من أجزاء أهمها:

ـ **السقيفة**: مدخل القصر وهي المجلس القبَلي.

ـ **الصحن**: الساحة الداخلية للقصر، ويستخدم لحماية الحيوانات في حالات الإغارة.

ـ **الغُرَف**: تمثل الوحدة الأساسية للقصر، وتستعمل للخزن، ولها هندسة خاصة تُراعي شروط حفظ المحاصيل الزراعية والحيوانية لمدة طويلة، تُفْضي الغرف إلى بعضها بعضًا بواسطة مدارج، أو سلسلة من الأعمدة الخشبية المغروسة في الحائط الذي يمثل الجبس المحلّي أحد أهم موارده.

ـ **المَسْجِد**: يقوم بوظيفة التعبّد والتعليم.

ـ هناك مُكوّنات أخرى للقصر مثل: معصرة الزيتون، وبرج المراقبة، والآبار، ومن الجدير بالذكر أن قصور التخزين هذه أقيمت على قممَ الجبال في بلاد المغرب العربي، أغلبها أصابه التعرية والخراب، ثم انتشرت على الهضاب والسهول، وبخاصة مع فِترة الاحتلال، ومنذ الاستقلال، وفي زمن انحلال الروابط التقليدية، وتَشَكُّل البُنى الاجتماعية الجديدة، وتحقيق الاندماج الوطني، بتوطين البدو، وتحقيق الأمن، ونشر التعليم، لذا أصبحت هذه القصور الصحراوية مُجرد معالم أثرية وسياحية تشهد على التاريخ والحضارة في الجنوب التونسي.

سنعرض في الفصل اللاحق التجربة التونسية في استثمار هذا المُقوّم السياحي، وتفعيله باعتباره عنصرَ جَذْبٍ سياحيٍّ، وذلك من خلال إقامة «المهرجان الدولي للقصور الصحراوية بتطاوين».

ـ **القُصور الصحراوية في البادية الأردنية**[٢٧]: هي قصور حصينة يُطلَق عليها قصور البادية، تختلف في وظائفها عن القصور الصحراوية في بلاد

(٢٧) هيئة تنشيط السياحة الأردنية، ص ١٥.

المغرب العربي (تونس مثلًا)، وتوجد هذه القصور في البادية الشرقية والمناطق الجبلية الوسطى من الأردن، وتنقسم إلى نوعين:

أ ـ قُصور كانت تُستخدم للإقامة والمنامة للمشاركين في الرّحلات التي كان يقوم بها الخلفاء الأمويون.

ب ـ قُصور كانت تُستخدم لخدمة قوافل التجارة وحمايتها في أثناء استراحتها على الطريق الطويلة، وتضم قصور البادية معالم يتمثل فيها التاريخ بكل تفاصيله، ومن أهم هذه القصور:

ـ **قُصَيْر عَمْرَه**: الذي يُعتبر تحفةً فنيةً معماريةً أسلاميةً نادرةً في قلب الصحراء، ويشتهر بقُبّته الرّائعة وزخارفه الجميلة والرسوم المشغولة بطريقة «الفريسكو» التي تُمثل مَشاهدَ من رحلات الصيد والحيوانات التي وُجدت في المنطقة في تلك الحقبة، ومنها الأُسُود والنُّمور والغُزلان والنّعام، ويبدو سقف قُبّة القصير التي تُغطّي حمّام الماء الساخن وكأنه منطقة من السماء، تَظهر فيها الأبراج السماوية المرسومة بمهارة فائقة، وفي ساحة القصير هناك بئر ماء كان يُرفع الماء فيها بواسطة ساقية قديمة، وكان الماء ينساب في الممرّات الفُخّارية تحت أرضيةٍ لتدفئة البناء وفق نظام يشبه نظام التدفئة المركزية المعمول به حاليًا[٢٨].

ـ **قَصْر الْخَرّانة**: يقع على بعد ٦٥ كلم شرق العاصمة عمّان، وهو من أهمم الآثار الأموية المُصانة حتى الآن، يتكوّن من ٦١ غرفة في طابقين من البناء الذي يتميّز بهندسته المعمارية التي تجعله شبيهًا بالقلعة، يقوم في كل زاوية من زواياه بُرج دائري وآخر نصف دائري يقع بين كل زاويتين.

ـ **قَصْر الحلّابات**: يقع على بعد ٢٥ كلم من مدينة الزرقاء، تدل الشواهد الأثرية على أن أصل بنائه كان نبطيًا، أما آثاره الظاهرة فتعود إلى العصر الروماني، حيث بُنيت مع قلاع أخرى لضمان حماية الطرق الشرقية.

ـ هناك **قصور صحراوية أخرى** منها: قصر المشتّى القريب من مطار الملكة علياء الدولي جنوب عمّان، وهو قصر فسيح يتميز بالعقود والقناطر،

---

(٢٨) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ١١، ص ٢٧٤ من هذا الكتاب.

وعلى بعد ٩٥ كلم من عمّان، وقصر الطُّوبة وهو قصر فخم أنشئ من الآجر المشْوي بالنار.

كما يوجد في البادية الأردنية والعديد من الصحاري العربية في شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى العديد من المدن الأثرية والقلاع الصحراوية، ومحطات الطرق التجارية (مثل محطات طريق اللّبان التجاري في اليمن)، ومن المدن الأثرية (الصحراوية) على سبيل المثال مدن: زويلة (ليبيا)، وتدمر (سورية)، والبتراء وجرش (الأردن)، وتشتهر عُمان بوجود أكثر من ٥٠٠ قلعة وحصن فيها، من أهمّها: قلعة الرّستاق، وقلعة بهلاء، وحصون الحزم، وحبرين، وفي البحرين توجد قلعتا الرفاع وعراد، ويوجد في الدول العربية العديد من المتاحف التي تشير إلى عراقة المنطقة تاريخيًا.

هناك تجارب طيّبة لبعض الدول العربية سيُشار إليها في الفصل اللاحق، ويمكن الإشارة بإيجاز إلى تجربة دولة الكويت ـ على سبيل المثال ـ حيث تحوي العديد من الآثار التاريخية (بحكم موقعها المهم)، ويضمّ متحف الكويت الوطني قسمًا كبيرًا منها، وهو يُصوّر عادات وتقاليد الشعب الكويتي، ويُعتبر المتحف مفخرةً بحق، ويُمكن اعتباره مؤسسة ثقافية تضم معرضًا للآثار القديمة، والفنون التشكيلية، ومن الآثار البارزة في الكويت «بيت البدر» الذي شُيد من الطين والصخر الحجري، وزُيّن بالجص وسعف النخيل المجدول، وهو يُمثل بحق البيت البيئي (Landscape Architecture)، الذي يُشير إلى أهمية السياحة البيئية (Eco Tourism) التي بدأت كثير من الدول الاهتمام بها في السنوات الأخيرة[٢٩].

٥ ـ أشكال السياحة العلاجية

ينقسم هذا النوع من السياحة إلى أنواع عدة، تعتمد على الهواء والحمّامات المعدنية والرملية، ويمكن تمييز الأنواع التالية في الصحاري العربية:

---

(٢٩) للمزيد عن السياحة البيئية وأهميتها انظر: خليف غرايبة، **السياحة البيئية مع التركيز على الوطن العربي بشكل عام والأردن بشكل خاص** (عمان: دار يافا؛ دار الجنادرية، ٢٠٠٨).

ـ السياحة الاستشفائية بالمصحّات المناخية أو الهوائية: من المعروف أن في الصحاري والبوادي صِحّة الأبْدان والأجسام، وذلك لنقاء هوائها، ومن هُنا فقد كان عرب الحجاز يُرسلون أبناءهم بعد ولادتهم مباشرة إلى البادية للرضاعة، واعتياد هواء البادية الصحي، وتعلّم اللغة، ولذلك كانت السيدة حليمة السعدية من بادية بني سعد هي مُرضعة سيدنا محمد (ﷺ)، حيث نشأ في بداية عُمرهِ في بادية بني سعد لهذه الغاية، وهواء البادية النقي الجاف يشفي من كثير من الأمراض الناتجة من تراكم الرطوبة في الجسم، فالبوادي (الصحاري) بما تمتاز به من جفاف وحرارة تُشكل عنصر جَذْبٍ سياحيٍّ لجميع سكان المناطق الباردة.

يُمكن للدول العربية الاستفادة من هذه الخاصية، وإقامة المنتجعات السياحية الاستشفائية للمرضى الذين يُعانون الأمراض الناتجة من الرطوبة، مثل أمراض الجهاز التنفسي، وآلام الروماتيزم، والبرودة، وذلك بإقامة المصحات المناخية بالقرب من المدن الصحراوية، وتخلو الدول العربية من مثل هذه المصحات التي توجد بكثرة في الدول الغربية[٣٠].

ـ السياحة العلاجية بالحمّامات المعدنية الصحراوية: والسياحة العلاجية بشكلٍ عام هي سياحة لإمتاع النفس والجسد معًا بالعلاج، أو هي سياحة العلاج من إمراض الجسد، مع الترويح عن النفس.

قليلةٌ هي الأمكنة التي يتحقّق فيها علاج الجسد والنفس معًا، ولعل أجزاء كثيرة من الصحاري العربية يختلط فيها الاستشفاء من أمراض الجسد مع الترويح عن النفس، وذلك بفضل الطبيعة التي جادت بكل مُقوّمات العلاج الطبيعي من حياه حارّة غنية بالأملاح، إلى طِينٍ بركانيٍّ ـ أحيانًا ـ إلى طقسٍ معتدلٍ (وبخاصة في الشتاء والربيع)، ولعلنا نستطيع أن نُشير إلى أماكن كثيرة في الصحاري العربية تتمتّع بمثل هذه المواصفات، منها: العلاج من أمراض معيّنة في البحر الميّت، وحمّامات ماعين وعَفْراء ووادي

---

(٣٠) كما هو الحال في ألمانيا وسويسرا، للمزيد انظر: كلاوس كولينات والبرت شتاينكة، **جغرافية السياحة ووقت الفراغ**، ترجمة نسيم فارس برهم (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩١)، ص ٦٦.

رَمْ في الأردن، وواحة سيوه وسَفاجا وجزيرة الفنتين بأسوان، وعيون موسى في أقصى شمال شرق خليج السويس في مصر، أما استخدام المياه الساخنة فيقسم إلى قسمين: مياه ساخنة عادية، ومياه ساخنة كبريتية، حيث تقوم معالجة نوع خاص من الطين بهذه المياه، ويعالج كثير من الأمراض الجلدية، ومشاكل البشرة، كما هو موجود في مصحّات العلاج الموجودة في حمامات ماعين، والبحر الميّت في الأردن، كما توجد هذه الحمامات في العديد من الدول العربية التي تعرّضت أجزاء من أراضيها إلى اضطرابات تكتونية أو انكسارات[٣١].

غالبًا ما تشهد حمامات الاستشفاء حركة نشطة على مدار السنة، ولهذا السبب فإن نسبة الإشغال في منشآت العلاج ووقت الفراغ جيدة جدًا، وهي بشكل عام أعلى من نسبة الإشغال في أنواع السياحة الأخرى، من هنا تأتي أهميتها بالنسبة إلى الدول العربية التي يوجد فيها مثل هذه الحمامات، وسنعرض تجارب بعض الدول العربية في هذا النوع من السياحة في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

ـ **السياحة الاستشفائية بالرمال:** وهي من السياحات التي يمكن تطويرها في الصحاري العربية لأنّ ظاهرة الرمال هي أكثر الظواهر الطبيعية شيوعًا فيها، وهذا النوع من السياحة يجذب إليه سكان المناطق الباردة (مثل الدول الإسكندينافية)، ولذلك نجدهم ينتشرون على السواحل العربية الصحراوية، كما في سواحل مصر، وبعض الدول الخليجية، ويتّجهون إلى الدول التي تشهد تجمّعات رملية في صحاريها كما في وادي رَمْ بالأردن، أو في واحة سيوه في مصر، التي تتميز بمناخها الجاف طوال العام، والرمال الساخنة التي تساعد في علاج آلام المفاصل والعمود الفقري.

من الأهمية بمكان الإشارة في مثل هذا النوع من السياحة الاستشفائية إلى أنّه تبيّن أنّ في الرّمال الساخنة الموجودة في جبل الدكرور (مصر)

---

(٣١) يرتبط مواقع الحمامات المعدنية عادة بالمناطق المضطربة تكتونيًا، أو على خطوط الانكسارات الرئيسة، ولذلك فإن حمامات الاستشفاء تقع في الأغلب على طول مسار واحد. انظر: المصد نفسه، ص ٦٦.

إشعاعات تساعد في علاج الروماتيزم وشلل الأطفال والصدفية والجهاز الهضمي[٣٢].

مما سبق يتبيّن أنّ الصحاري العربية بما تختزنه من مقوّمات طبيعية وبشرية وبيولوجية، يُمكن أن تُشكّل عناصر جَذْبٍ سياحيٍّ تتنوّع فيها الأنشطة السياحية للسكان المحليين والوافدين، تتمثل ببعض الرياضات الصحراوية، وعناصر الجذب السياحي التي تستهوي السياح باختلاف أهدافهم الدينية، أو الثقافية، أو الاجتماعية، أو التاريخية، أو العلاجية.

ما نَودّ تأكيده هو أنْ تتنبّه الدول العربية إلى اكتشاف الكنوز الصحراوية في أراضيها، كما يمكن لهذه الدول أن تستفيد من تجارب بعضها في هذا المجال، ومِنْ الجدير بالذكر أن التجارب السياحية الصحراوية في معظم الدول العربية لا تزال مُهملة، أو مُتعثّرة، على الرغم من وجود المقوّمات السياحية الصحراوية في أراضيها، وهذا ما يبحثه الفصل الرابع.

---

(٣٢) انظر الموقع الإلكتروني: <www.jordan-explorer.com>.

الفصل الرابع

أمثلة وتجارب على السّياحة الصّحراويّة في الوطن العربي

يُركّز هذا الفصل على بعض الأمثلة والتجارب التي قامت بها بعض الدول العربية في تفعيل السياحة الصحراوية، والتوجّه إلى إعمار الصحراء من خلال استثمار مواردها بالشّكل الأمثل، وهي أمثلة لتجارب ناجحةٍ يمكن الاستفادة منها، والاسترشاد بها في مناطق أخرى من الوطن العربي.

يُمكن الإشارة إلى هذه التجارب من خلال التوزيع الجغرافي للصحاري العربية، التي شهدت وتشهد حاليًا تجارب ناجحة في السياحة الصحراوية، وذلك على النحو التالي:

أولًا: صحاري آسيا العربية

ذكرنا سابقًا أن مساحة الوطن العربي تبلغ ١٣ مليون كلم٢، يتوزّع ثُلْثها في آسيا العربية، والباقي في أفريقيا العربية، كما ذكرنا أنّ نسبة مساحة الصحاري العربية تصل إلى ٩٠ في المئة من المساحة الإجمالية للوطن العربي.

يُمكن القول إنّ معظم شبه الجزيرة العربية صحراوي، كما أنّ نسبة عالية من دُول الهلال الخصيب هي صحراوية، وتتمثل في بلاد الشام التي تُشكل أراضي واسعة مُمتدّة مُتّصلة على شكل دائرة ضخمة تشمل الجزء الشرقي من الأردن (٨٨ في المئة من مساحة الأردن)، والنصف الغربي من العراق (بادية الأنبار)، والجزء الجنوبي الشرقي من سورية (٧٥ في المئة من مساحة سورية)، لذا نستطيع القول إنّ مساحة الصحاري تصل إلى ٨٠ في المئة من المساحة الإجمالية لدول آسيا العربية، وهذه حقيقة ينبغي ألا نتجاوزها بسهولة، بل يجب التوقّف عندها ونُحلّل عناصرها لنوجّه دعوة إلى هذه الأقطار بضرورة اقتحام الصحراء، واستثمار مواردها الاستثمار الأمثل، بهدف الوصول إلى وضْعٍ سياحيٍّ أفضل.

سنعرض هنا التجارب الناجحة ـ نسبيًا ـ في التّعامل السياحي مع صحاري آسيا العربية.

١ ـ صحاري شبه الجزيرة العربية

أ ـ التجربة السعودية

كان للسعودية تجارب رائدة ناجحة في إعمار الصحراء من خلال استثمار المعادن (وفي مُقدّمها النّفط)، والاستثمار الزّراعي[1]، وفي هذه

---

(١) بالنظر إلى أوضاع العربية السعودية الجغرافية والمناخية، نرى أن الصحاري تشكل الجزء الأكبر من أراضيها، وتتواضع فيها الموارد المائية، وتتعرّض لقسوة المناخ الصحراوي الذي يجمع بين النقيضين، ومع ذلك كان أعظم إنجاز حققته المملكة في السنوات الثلاثين الأخيرة هو النجاح الباهر الذي أحرزته في مجال تنمية القطاع الزراعي في مناطق صحراوية بحتة هي:

ـ حوض النفوذ الرسوبي الكبير (القصيم وشرق حائل ومنطقة تبوك - العلا والمنطقة الشمالية)، وتبلغ مساحتها نحو ٣٧٥ ألف كم٢.

ـ الحوض الرسوبي الجنوبي (نجران وتثليث من جهة الربع الخالي)، وتبلغ مساحتها ١١٠ آلاف كم٢.

ـ المنطقة الشرقية (من الدهناء حتى ساحل الخليج العربي)، تشمل واحات الإحساء، والقطيف، ووادي المياه، ووادي الباطن، وهضبة الوديان، ورمال الجافورا، تمتد جنوبًا حتى واحة يبرين في الربع الخالي، تبلغ مساحتها ٣٦٢ ألف كم٢.

ـ الجزء الشرقي الرسوبي من هضبة نجد (سدير والمحمل والشعيب ووادي حنيفه في الرياض والخرج والوشم والحوطة والحريق والافلاج)، تبلغ مساحتها ١٠٨ آلاف كم٢.

ـ منطقة صحراء الربع الخالي.

ـ المنطقة الصماء (شرق جبال الحجاز والجزء الغربي من هضبة نجد).

رأينا أن نشير إلى هذه الظاهرة الزراعية المفخرة في السعودية، وذلك لإمكانية استثمار هذه الأراضي الزراعية سياحيًا، في ما أصبح يُسمّى سياحة المزارع، للمزيد عن الوضع الزراعي بالمملكة انظر: عبد الرحمن صادق الشريف، **جغرافية المملكة العربية السعودية**، ط ٦ (الرياض: دار المريخ للنشر، ٢٠٠٢)، ص ٢٣٩ ـ ٢٨٤؛ محمود محمد سيف، **جغرافية المملكة العربية السعودية** (الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨)، ص ٢٠٢ ـ ٢٨٠، وفؤاد عبد السلام الفارسي، **الأصالة والمعاصرة في المعادلة السعودية** (جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، [١٩٩١])، ص ٢٧٥ ـ ٢٨٤.

كما يمكن الاطلاع على المراجع السابقة عن التجربة السعودية في استثمار المعادن (وبخاصة النفط)، وانعكاس ذلك على إعمار الصحراء، حيث توجد فيها كبريات المدن السعودية، كما أن للسعودية تجربة رائدة في توطين البدو، للمزيد انظر: خليف غرايبة، «سياسات التنمية المكانية في المملكة العربية السعودية،» **مجلة بحوث كلية الآداب** (جامعة المنوفية)، العدد ٦٩ (نيسان/ أبريل ٢٠٠٧).

الدّراسة سنقتصر في حديثنا عن التجربة السعودية، وهي تجربة حديثة، لكنها تخطو خطوات سريعة وناجحة.

تتعدد الخيارات السياحية في السعودية بشكلٍ عام، لذلك أسست الهيئة العليا للسياحة[٢] قبل سنوات، بهدف تنمية السياحة الوطنية، والعناية بالسائح والإسهام في الحفاظ على التراث الوطني، والتّوعية بأهميّة الأنشطة السياحية، اقتصاديًا واجتماعيًا، وثقافيًا، وسنشير إلى التجربة السعودية في السياحة الصحراوية فقط، بعيدًا من سياحة الحج والعمرة، أو السياحة في عسير.

غَدَت السياحة الصحراوية في كثير من المدن والمحافظات السعودية (الصحراوية) الخيار الأول، خصوصًا في موسمي الشتاء والربيع، والسعوديون بشكل عام مغرمون بالتخييْم في أحضان التلال الرملية، والتّطْعِيْس، وإعداد القهوة والشاي على نيران السّمَر والغَضَا، ويجدُ هُواة الصيد «القنص» حينما يجوبُون الدهناء، والربع الخالي في مواسم الصيد، مُتعةً في اقتفاء آثار الحباري والأرانب، ومن مظاهر اهتمام السعودية بالسياحة الصحراوية:

ـ الاهتمام البارز بالحياة الفِطرية والبيئة الصحراوية، وذلك من خلال[٣]:

- مشروع إحياء عين زبيدة.
- إنشاء مُنتجع بيئي طبيعي في منطقة وادي قديد.

(٢) قامت الهيئة العليا للسياحة منذ تأسيسها بإجراء عشرات الدراسات والمسوحات التي أثبتت التنوع البيئي الكبير في مختلف مناطق البلاد في السعودية، التي تمثل عوامل جذب سياحية، كما وقعت مذكرات تعاون مع مناطق السعودية للعمل سويًا على استغلال المواقع السياحية وتطويرها والحفاظ عليها، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني لمجلة **الحياة**: <www.daralhyat.com>.

(٣) أظهر خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ـ شخصيًا ـ اهتمامًا لافتًا في هذه المشاريع وعلى نفقته الخاصة أحيانًا مثل: مشروع عين زبيدة. قامت كلية التخطيط والعمارة في جامعة الملك سعود بمسح شامل للمعالم البارزة في السعودية، وتمتلك أرشيفًا متكاملًا ومُبوّبًا لتلك المعالم في تهيئتها لأنْ تكون أحد أهم المصادر، للتعرف إلى تلك المعالم والحصول على معلومات وصور وخرائط عنها، وسيتم دعم هذا المشروع من خلال الهيئة العليا للسياحة، ولا سيما أنه من صميم عملها في حقل تطوير المنتجات السياحية الصحراوية، للمزيد انظر: **الوطن**، ٢٠٠٥/٨/١٠.

● إنشاء مُتنزّه وطني بمحافظة جدة يشهد على رعاية البيئة الصحراوية، والحياة الفِطرية.

● مشروع إعادة اكتشاف الملامح الجمالية في الصحراء.

- التّخطيط لرحلات ميدانية لاكتشاف المواقع الصحراوية.

- تطوير المنتجعات السياحية الصحراوية بالتعاون مع جامعة الملك سعود، ومع أعضاء هيئة التدريس في كلية التخطيط والعمارة، الذين لديهم بحوث قيّمة في مجال الدراسات البصرية في المناطق الصحراوية[٤].

- تحديد المواقع ذات الخصائص الجمالية العُليا، وتصنيف هذه المواقع بيئيًا، وسياحيًا، وثقافيًا باكتشاف المواقع والمدن التاريخية في الصحراء السعودية في أثناء لقاءات علمية ورحلات ميدانية للمناطق الصحراوية المختلفة للمملكة[٥].

- وضع خارطة للمملكة تحدّد المواقع السياحية ذات الخصائص الجمالية، والمقومات السياحية والبيئة التاريخية.

- إقامة المنتجعات والمناطق والمحميات الطبيعية للنباتات النادرة، والمتنزّهات الوطنية والسياحة البيئية وفرق السياحة البيئية الرياضية المتعلقة بالبيئة، مثل زراعة النباتات والرحلات الاستكشافية، وتصنيف البيئات الطبيعية من الناحية الجمالية والتاريخية والإنسانية والبيئية.

من أهم ملامح السياحة الصحراوية، سفينة الصحراء التي أصبح لها

---

(٤) قامت كلية التخطيط والعمارة في جامعة الملك سعود بمسح شامل للمعالم البارزة في السعودية، وتمتلك أرشيفًا متكاملًا ومُبوّبًا لتلك المعالم في تهيئتها لأنْ تكون أحد أهم المصادر للتعرف إلى تلك المعالم والحصول على معلومات وصور وخرائط عنها، وسيتم دعم هذا المشروع من خلال الهيئة العليا للسياحة، ولا سيما أنه من صميم عملها في حقل تطوير المنتجات السياحية الصحراوية، للمزيد انظر: المصدر نفسه.

(٥) يجري ذلك من خلال ورش عمل تدور حول محاور عدة لتمديد مسارات البحث العلمي، وتحديد نقاط البحث بالتفعيل، ومشاركة ذوي التخصصات العلمية المختلفة، من علماء الجيولوجيا والترميم وفنانين تشكيليين وإعلاميين ومختصين بعلم النفس والاجتماع والتراث والتاريخ والشعر والأدب، للمساعدة في تقبل المجتمع السعودي للبيئة الصحراوية بطرق حديثة ومعاصرة، وذلك للالتقاء ببيئات وشخصيات مختلفة لتنويع المعرفة ولتغطية أكبر قدر من المعلومات.

مسابقات سنوية مثل تلك التي تقام في مهرجان الجنادرية، ومسابقات أخرى مثل «مزاين الإبل» في «أم رقبية» في محافظة حفر الباطن، و«توفا» في محافظة المزاحمية، ومهرجان نجران حيث تزايدت شعبيتها بين المهتمين من أبناء الخليج العربي.

مع هذا الاهتمام الكبير بالسياحة الصحراوية(٦) إلا أن أبرز التجارب السعودية الصحراوية تظهر في ما يلي:

(١) **رالي حائل**: تقع مدينة حائل في منطقة «جبل شمر» غرب وادي الاديرع الذي يعرف أيضا باسم «وادي حائل»، وتمتد المدينة على شكل قوس حول جبل «سمراء»، يحدها جبل «أجا» من الغرب، وجبل «أم الرقاب» من الشمال، وجبل «شمره» من الشرق، ويبلغ ارتفاع حائل عن سطح البحر ٩٨٠ مترًا، وتبلغ مساحة إمارة حائل ١١٨٣٣٢ كلم^2.

تتميز منطقة حائل بكثرة تضاريسها وتباينها واختلافها ما بين سهول وجبال وتكوينات رملية وممّرات وتكوينات صخرية، وتقع حائل على أطراف صحراء النفوذ الجنوبية، ولذلك تمتاز بمناخها القاري، وتمتاز المنطقة بإرثها التاريخي والحضاري، حيث كان لها علاقة بالحضارات البابلية والأشورية، وبدولة المناذرة في الحيرة، وبحضارات بلاد الشام، وأُطلق عليها اسم «مفتاح الصحراء»، نظرًا إلى كونها المعبر الرئيس للمُتّجهين شمالًا، أو جنوبًا في شبه الجزيرة العربية، ومن أهم المعالم الأثرية في المدينة:

---

(٦) يتضح اهتمام السعودية بالسياحة الصحراوية من خلال ما كتبه بعض المختصين والمهتمين، إذ كتب بيتر هاريقان مقالة مطولة بعنوان: «صناعة السياحة آفاق جديدة نيّرة تنطلق في سماء المملكة»، عرض فيها أهم النشاط السياحي في المملكة قديمًا بالصور، ويشير فيها إلى جولة الشركة السياحية الأميركية (Distant Horizons) في ربوع المملكة، ويدعو فيها إلى فتح أبواب المملكة للسياح غير الحجاج، ويعرض في المقالة قصة فولكلورية من نجران، ويرى أن قطاع السياحة يتمتع بأعلى معدلات النمو بين مختلف قطاعات الاقتصاد الوطني، ويشير إلى أهمية السياحة الداخلية من خلال إقامة المهرجانات الجاذبة، كما أشار إلى مجموعة من الرياضات الصحراوية مثل الدراجات والطيران الشراعي وتسلق الجبال، للمزيد انظر: بيتر هاريقان، «صناعة السياحة آفاق جديدة تنطلق في سماء المملكة،» **القافلة** (شركة أرامكو السعودية)، السنة ٥٠، العدد ٧ (أيلول/ سبتمبر ـ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١)، ص ٢٥ ـ ٤٠.

• عدد من القلاع والقصور القديمة في مدينة حائل تعود إلى العهد العثماني.

• ياطب: وهي موقع أثري شرق حائل على مسافة ٣٨ كلم، وتوجد على صخوره كتابات ثمودية ورسوم.

• حانين: جبل شرق حائل على مسافة ٦٠ كلم، يضم كهوفًا طبيعية حُفرت على جدرانه كتابات ثمودية وأمهرية ورسوم لأشخاص وحيوانات.

• فيد: واحة قديمة كانت محطة للرّاحلين شمالًا وجنوبًا، كان يمر منها «درب زبيدة» الشهير، ويوجد فيها كثير من البِرَك والآبار القديمة وأقنية الري و«قصر خراش» الأثري.

• جبل حبشي: منطقة غنية بآثار مهمة من بقايا الدُّور والأبراج والمقابر.

• الثعيلبي: وفيه صفوف من الحجارة الممتدّة إلى مسافة تقارب ٧٥٠م.

• قلعة أعيرف في مدينة حائل.

• وهناك أماكن أثرية كثيرة في سميرا (فيها آثار منزل حاتم الطائي) وضايف والسفن وتوارن والشملي. . . وغيرها[٧].

اشتهرت مدينة حائل في مجال السياحة الصحراوية منذ عام ٢٠٠٦، حينما انطلقت منها فاعليات رالي حائل بأجا، تحت اسم «تَحَدِّي النفوذ الكبير»، ومنذ ذلك الوقت جرى إعلان «حائل عاصمة السياحة الصحراوية»، علاوة على لقبها «عروس الشمال»، وشمل الرالي الأوّل فاعليات متنوعة يمكن تلخيصها كما يلي[٨]:

ـ سباقات للتَّطْعِيْس وسباقات للتحدّي (Autocross)[٩].

ـ مهرجان لسوق الحرف اليدوية والمأكولات الشعبية.

---

(٧) لمعرفة المزيد عن مدينة حائل انظر: المملكة العربية السعودية، وزارة الإعلام، هذه بلادنا (الرياض: الوزارة، [١٩٩٦])، ص ٢٤٩ ـ ٢٦١.

(٨) انظر الموقع الإلكتروني: <www.hailvb.com/vb/showthread.php>.

(٩) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ١٢، ص ٢٧٤ من هذا الكتاب.

- أمسيات ترويحيّة.

- معرض للحرف اليدوية والمنتجات الزراعية.

- عرض سيارات قديمة ومُبتكرة.

- مسيرة المِحضار على ظهور الركائب.

- مهرجان جُبّة (بلدة تقع وسط صحراء النفوذ) للحِرَف والتُراث.

- معرض تشكيل وتصوير فوتوغرافي.

- فاعليات طائرات التحكّم عن بُعد.

- مسيرة الدراجات النارية.

أما رالي حائل الأول «تَحَدِّي النفوذ الكبير»[١٠] فانطلق بمرحلة استعراضية للسائقين من منتزه المِغواه، وانتقال المشاركين برحلة لمدة ٩٠ كلم باتجاه الشمال لمدينة جُبّة الأثرية، وبوابة حائل الشمالية على صحراء النفوذ الكبير للانطلاق الفعلي في غِمار تحدي الرالي، وتُقدّر المسافة الإجمالية للرالي ٥٠٠ كلم، وسط بِحار رمليّة متحركة[١١].

تكررت تجربة رالي حائل الثانية في عام ٢٠٠٦، والثالثة في عام ٢٠٠٨ تحت العنوان نفسه «تَحَدِّي النفوذ الكبير»، وأخذ هذا الرالي موقعه على خريطة السياحة الصحراوية العربية، في استقطاب أكبر عددٍ من المشاركين والزوار، وبدأت فاعليات هذا الرالي بالوُضُوح والاستقرار، كما يلي:

---

(١٠) جرى تنظيم رالي حائل الأول من قبل النادي السعودي للسيارات، بإشراف الهيئة العليا لتطوير منطقة حائل، والرئاسة العامة لرعاية الشباب، والهيئة العليا للسياحة، وبرعاية الاقتصادية وسابك والخطوط السعودية، ومصنع أبو الجدايل «باين» وعبد اللطيف جميل المحدودة. يبرز مفهوم السياحة الصحراوية التي تخوض تجربتها حائل أنّها ستكون منطقة نشاط استثماري ترفيهي يُمكّن البرامج الرئيسة لقطاع السياحة من المحافظة على التوازن البيئي في البلاد، أمير حائل أول من تبنّى طرح مفهوم السياحة الصحراوية فيها، ويتطلّع إلى نجاحها في المنطقة بما تمتلكه من إمكانات هائلة سوف تسهم في نجاح التجربة التي تخوضها المدينة، وأن تجربة السياحة الصحراوية محك حقيقي لبرامج الهيئة العليا للسياحة في حائل الحالمة على سفوح جبلي أجا وسلمى، للمزيد انظر: عكاظ، ٧/ ٢/ ٢٠٠٧، على الموقع الإلكتروني: <www.alwatan.com.sa>.

(١١) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ١٣، ص ٢٧٥ من هذا الكتاب.

ـ عرض السائقين في مركز الأمير سلطان الحضاري.

ـ انتقال المشاركين برحلة مسافتها ٩٠ كلم باتجاه الشمال لمدينة جُبّه الأثرية، بوابة حائل الشمالية.

ـ مدة الرالي ٨ ساعات على مرحلتين، ولمسافة ٥٠٠ كلم، تنطلق المرحلة الثانية عادة من بلدة قنا شمال حائل، مرورًا بقرية المحفر، وانتهاء ببلدة الفرحانية.

ـ إعلان أسماء الفائزين.

عادةً ما يصاحب الرالي فاعليات حركة للجمهور المشاهد، حيث يصل عدد الخيام التي تستقبل هذا الجمهور إلى ما يزيد على ٥٠٠ خيمة، وسكن عائلات، وسكن عُزّاب ومطاعم، ومحلات تموينية، ومراكز صحية علاجية، ومراكز إسعاف مدني، وتعزيز للوجود الأمني، وبدأ هذا الرالي في لفت رجال الأعمال لإيجاد بيئة سياحية مُناسِبة بدأت تشهدها هذه المنطقة بعد الإقبال الكبير الذي شهده الرالي الذي تحتضنه مدينة حائل التي أصبحت عامل جَذْبٍ لكثير من السياح من داخل المملكة وخارجها، وجرى اعتماد رالي حائل وإدخاله ضمن رزنامة الاتحاد الدولي للسيارات.

(٢) **مخيمات النعيرية السياحية**: تقع مدينة النعيرية على الحافّة الوسطى الشرقية لصحراء الدهناء، على بُعد ٢١٥ كلم شمال مدينة الدمام(١٢)، في مركز متوسّط من هضبة الصُمّان (Assumman) التي تمتدّ بين هضبة الدبدبة شمالًا، وحتى واحة يبرين جنوبًا، لمسافة تقدر بنحو ٥٠٠ كلم، وتتكّون من مساحات منبسطة أو تِلاليّة واسعة من الصخور الجيرية، تجري بها بعض الأودية التي تحمل المياه، وتساعد في النشاط الزراعي مثل: وادي المياه والصرار(١٣).

تُعتبر النعيريّة مقصدًا لهُواة السياحة الصحراوية من هُواة التخييم والتنزّه، حيث تستقبل ٦٠ ألف زائر خلال شهر واحد شباط/ فبراير، وذلك

---

(١٢) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ٩، ص ٢٥٧ من هذا الكتاب.

(١٣) سيف، ص ٥٦.

لاعتدال جوّها في هذا الشهر، حيث ينطلق السياح للعيش في حياة برية بعيدة من صخب المدينة وضوضائها، وتُعتبر النعيريّة في نظر العديد من الأُسر من أمتع الهوايات والأماكن، حيث تُكرّر تجربتها سنويًّا في التخييْم في هذه المنطقة، وعند مدخل مدينة النعيرية يُوجد سُوق لبيع الخيام والحطب ولوازم الإقامة في البرّ، وذلك مع بواكير الفَجْر الأول من شهر شباط/ فبراير، ومع نهاية الشهر تُطوى هذه الخيام لاستقبال صيفٍ لا يُغري، في هذه الصحراء الواسعة الشاسعة بالرمال.

تَسْتَقْطِب النعيرية السياح من الداخل ومن دول الخليج، وبخاصة من دول الكويت والإمارات وقطر، من هواة الصيد والرحلات البرية، حيث تكتسي رمالها باللون الأخضر، وأصبحت مُخيمات النعيرية تأخذ الطابع التنظيمي منذ عام ٢٠٠١، حيث تقوم إدارة هذه المخيمات الطبيعية الربيعية بتقديم الخدمات للسياح من مياه وإرشادات وخدمات إسعاف، وتقديم بعض الفاعليات من أمسيات شعرية ومُحاضرات وندوات أدبية ومُسابقات في رياضة الصيد (الهَدَدْ)، إضافة إلى الخيمة الرياضية وسباق اختراق الضاحية، وتُشرف على هذه الفاعليات بلدية النعيرية وهيئة السياحة، وذلك بهدف تعميق مفهوم السياحة الصحراوية للنعيرية باعتبارها منتجعًا شتويًّا يمتلك كل مقوّمات الجَذْب السياحي[١٤].

(٣) **فاعليات المِذْنَبْ الصحراوية[١٥]**: تقع مدينة المِذْنَب إلى الجنوب الشرقي من مدينة عنيزة بمسافة ٨٠ كلم تقريبًا، وأصبحت محافظة المذنب ظاهرة سياحية بارزة منذ عام ٢٠٠٦، جذبت العديد من عُشّاق السياحة الصحراوية من داخل المملكة وخارجها، وتتمثل فاعليات المذنب في سباق السيارات في بلدتي المانعيّة وأم دباب، وبلغ عدد الحضور في هذه المنافسات حوالى ١٠٠ ألف مُتفرج، حظيت برعاية البيئة العليا للسياحة، بالتعاون مع بعض الدوائر الحكومية في محافظة المذنب، وشهدت المانعية دخول ١٠ آلاف سيارة وقت الاحتفال، وشكّلت المانعية نقطة جذب سياحي

(١٤) انظر الموقع الإلكتروني: <www.asharqalawsat.com>.

(١٥) انظر الموقع الإلكتروني: <www.methnb.com/forums/index>.

لمتسابقين من سدير والوشم والزلفي ودول الخليج، ويعود ذلك إلى موقعها المهم على أطراف منطقة القصيم، جوار منطقة الرياض التي تبعد من المانعية بمقدار ساعتين ونصف، ما جعلها مصدر جذبٍ للعديد من عشاق الرمال الذهبية.

تشير سباقات السيارات الصحراوية التي تجري في المانعيّة وأم دباب بالمذنب إلى مستقبلٍ واعدٍ للسياحةِ في منطقة القصيم، فمحافظة المذنب مؤهّلة لأنْ تكون ضمن الخارطة السياحية في المنطقة الوسطى نظرًا إلى وجود مقوّمات السياحة فيها من سياحة بيئية وطبيعة ورياضة.

(٤) هناك رياضات صحراوية أخرى تُقام في مناطق أخرى من المملكة، مثل: سباق سيارات الدّفع الرباعي والدراجات النارية في «شيبة» في صحراء الربع الخالي[١٦]، وفي منطقة تبوك تجري مثل هذه المُسابقات ذات الصفة المحلية، علاوة على رحلات الرالي البرية والمغامرات مع هواة البرّ والصقّارين المصاحبة لرالي حائل، وذلك داخل صحراء النفوذ.

ب ـ التجربة اليمنية

تُعدّ اليمن بلدًا سياحيًا مرموقًا، نظرًا إلى ما تمتاز به من عناصر ومُقومات سياحية ثرية، فهي تنفرد بموقع جغرافي مُمتاز، وتضاريس طبيعية، وظروف مناخية مُتنوّعة، تُشكل لوحةً جميلةً تمتزج فيها مفاتن السحر الطبيعي والفنّي بكنوز التاريخ والحضارة الضّاربة في القِدَم، ويتوافر في اليمن مَوارد مُقوّماتٍ سِياحيّةٍ مُتنوّعةٍ، تُشكل في مُجملها عناصر جذب سياحية مثل العناصر الثقافية، والتاريخية المُتمثلة في

---

(١٦) بدأ السعوديون يجوبون أطراف صحراء الربع الخالي من خلال سباقات محلية، واستطاعت رحلة علمية يشارك فيها خبراء من دول عدة من العالم، القيام برحلة علمية استكشافية لصحراء الربع الخالي، وضمت فرقًا علمية متخصصة في مجال الجيولوجيا والمناخ والنباتات والسياحة وعلم الآثار والمياه. انطلقت الرحلة من الرياض يوم ٢٠٠٦/٢/٢٥، وكان عدد الفريق ٣٢ شخصًا، يمثلون ٦ جنسيات، وخرج العلماء من خلال هذه الرحلة بالعديد من المشاهدات، وأشار الفريق إلى المواقع السياحية التي يمكن استثمارها في صحراء الربع الخالي وكيفية تطويرها مستقبلًا، وبخاصة مسارات طرق القوافل التجارية القديمة، للمزيد انظر: «كتاب الأسبوع رحلة إلى الربع الخالي،» في: الرأي، على الموقع الإلكتروني: <http://69.59.133.85/pages.php>.

المعالم الأثرية والتاريخية للحضارات والدول اليمنية القديمة.

كما تُمثل المدن اليمنية بفنّها المعماري وأسواقها التقليدية المُتعدّدة المُتميزة والصّناعات التقليديّة رافدًا ثقافيًا للمُنتج السياحي اليمني، هذا بالإضافة إلى العادات والتقاليد والمَورُوثات الثقافية والفنون الشعبية المختلفة، ما ساعد التنوع الجغرافي والبيئي في إثرائها وتنوّعها[١٧].

لذا يُعتبر اليمن واحدًا من أحد أفضل المقاصد السياحية على خريطة السياحة الدولية، تقول عنه منظمة السياحة العالمية: «اليمن مقصد سياحي مضياف وجذّاب ومُتفرّد في ثقافته وحضارته وتنوّع تضاريسه وامتلاكه مقوّمات سياحة الاصطياف والرياضة البحرية والجبلية»، هذا الرّصيد المتنوّع الوفير بما تمتلكه الأرض من موارد طبيعية وكُنوز ثقافية، يمثل مصدرًا رئيسًا للجذب السياحي.

على صعيد السياحة الصحراوية في اليمن، فإنّها تتميّز بملامح إيجابيّةٍ ومقوّماتٍ مُتعدّدةٍ، حيث هناك صحارٍ واسعة في المناطق الشرقية والغربية من اليمن، بالإضافة إلى قُرب هذه الصحاري من المدن والمراكز التاريخية الحضارية والأثرية، وتَواجُد المواصلات البرية فيها، لكن تظلّ المواصلات الحيوانية (الإبل) التي تنتشر في أغلب هذه المناطق، هي ما يُميّز السياحة الصحراوية هنا، وهذا النوع من السياحة يستهوي عددًا من السياح الأجانب، حيث تتواجد طلبات هذا النوع من السياحة عبر الدّروب الصحراوية المُمتدة من محافظة مأرب وحتى حضرموت[١٨].

(١) مُقوّمات السياحة الصحراوية في اليمن: بدأت السياحة الصحراوية

---

(١٧) هذا المُنتج المشهود عبر عصور الحضارة اليمنية يتكامل مع بنية تحتية من الخدمات السياحية الفندقية، وبنية أساسية من طرق واتصالات ومرافق عامة، وكلها ترتبط بالتنوع السياحي الغني بالحمامات الطبيعة والسياحة التاريخية والتعرف إلى محطات طريق اللبان التجاري، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <http://www.lakii.com/vb/showthread.php>.

(١٨) كان موقع اليمن هو العنصر الدائم في مجتمع التاريخ، حيث أدّى دورًا تاريخيًا وحضاريًا مهمًا، فكان همزة الوصل بين الحضارات القديمة التي سادت الهند والصين، وحوض دجلة والفرات، وحوض النيل وسائر الحضارات الأخرى في شرق البحر المتوسط، ولذلك حبا الله اليمن مختلف أنواع السياحة الثقافية والتاريخية والجبلية والعلاجية والصحراوية والدينية والبيئية، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <http://www.incirag.com/al-mufamar/archive/911/050905>.

في اليمن منذ عام ١٩٩١ في الجوف ومأرب وشبْوه وحضرموت، وأفضل المواسم السياحية للصحراء في موسم الشتاء، حيث يكون الجو لطيفًا وباردًا، ويستطيع السائح أن يتجوّل بحريّته من دون أن يشعر بمللٍ أو كللٍ، ومن أهم مقوّمات السياحة الصحراوية في اليمن:

- جماليات الأكوام الرملية في: صحاري مأرب والجوف ورملة السبعتين.

- نقاء الهواء وجودته.

- الحياة البدوية البسيطة والكرم العربي الأصيل بمفرداته ومعانيه، بأصالته وعراقته، تستهوي السياح الأجانب الذين يسعدهم معايشة هؤلاء السكان.

- الشريط الصحراوي الطويل الممتد من مأرب إلى أقصى الطرف الشرقي من حضرموت.

(٢) مناطق السياحة الصحراوية والأنشطة السياحية المرتبطة بها: تتعدّد مناطق السياحة الصحراوية، كما تتعدد الأنشطة المُرتبطة بها، وتشكل هذه المناطق بما فيها من مقوّمات عناصر جَذْبٍ سياحي، ويُمكن إيجاز هذه المناطق بما يلي[١٩]:

- **طرق التجارة اليمنية القديمة:** مثل طريق البخّور واللبان المُرتبطة بالحضارة اليمنية القديمة، ما يجعل سياحة المغامرة في هذه الطرق مشوّقة وممتعة للغاية، ومن أهم هذه الطرق:

  - طريق مأرب ـ رملة السبعتين ـ شبوة القديمة.
  - طريق مأرب ـ شبوة القديمة ـ سيئون.

- **حضرموت:** ويتنوّع المُنتج السياحي فيها، حيث تُوجد مناطق السياحة الثقافية التالية: وادي حضرموت (البحري ـ المشهد ـ شبام) ـ حريقة ـ تريم.

كما تُوجد فيها مناطق السياحة العلاجية في حمامات تبالة والديس

---

(١٩) انظر: الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ١٠، ص ٢٥٨ من هذا الكتاب، و«ويكيبيديا» (الموسوعة الحرة)، على الموقع الإلكتروني: <http://ar.wikipedia.org/wiki>.

الشرقية ومناطق الحامي وصوير والجارشيات، أمّا مناطق السياحة الصحراوية في حضرموت، فتوجد في مناطق شبوة القديمة وسيئون.

ـ **مأرب**: وهي من المناطق الصحراوية، حيث يتنوّع فيها المنتج السياحي، مثل السياحة الثقافية، حيث تُعتبر المدينة نفسها (مأرب) أشهر مدن اليمن وحاضرة ملوك سبأ، وأشهر ما فيها: سد مأرب الشهير وعرش بلقيس ومعبد أوام ومعبد الشمس ومدينة صرواح الأثرية وبراقش وسد الجوفينات، وأهم مناطق السياحة توجد في رملة السبعتين.

ـ **المهرة**: تتعدّد أنواع السياحة فيها، كما تتنوع الأنشطة المُرتبطةِ بها، وأهم المناطق السياحة الصحراوية: مديريتي حات وشَحَن في الأجزاء الجنوبية منها، ومديرية مَنْعَر، ومديرية الغِيْظة، ومديرية المسيلة، أمّا مناطق السياحة البيئية فتوجد في منطقة حوف وشاطئ قَشَنْ.

تمتاز المهرة بوجود سياحة تسلق الجبال الموجودة فيها وهي: جبال مَرارَة ومُكيْرِمْ ورِيَام وحَطُوب وثَوْر وحَيْطُوم وشَحْرُوت في مديرية حَوَف ودُعَبْشِيْش وبِسْيُوت وسَاوْن في مديرية حَوَف.

ـ **شبْوة**: تُعتبر من أهم مناطق اليمن في تعدّد مُنتجها السياحي، وأبرز مناطقها الثقافية: شبوة القديمة وعَزّان وحَبّان ومِيْفَع وبَيْحان وحِصْن الغُراب. كما يوجد فيها حمامات الرّخَم ورُضُوم في مجال السياحة العلاجية، وتعتبر شبوة القديمة (عِتْق) من أهم المناطق التي تُشبع دوافع السائح في مجال السياحة الصحراوية، ويعتبر «بئر علي» مثالاً طيبًا للسياحة البيئية، كما تنتشر في منطقة جبال عقله سياحة تسلق الجبال.

ـ **جُعلان**: تتعدّد السياحة فيها، وبخاصة السياحة الصحراوية، حيث تُعتبر منطقة جُعلان امتدادًا لرمال آل وهيبة ذات الشهرة العالمية، التي تتميز بارتفاع تلالها إلى ما يزيد على ثلاثين مترًا عن السطح المستوي للأرض، وتزخر بالعديد من الكثبان الرملية التي يعيش في وسطها تجمعات سكانية من البدو، والمئات من آبار المياه العذبة الصالحة للشرب التي تقوم عليها حياة السكان، ومواشيهم من إبل وغنم.

تعتبر منطقة جعلان من أفضل الأماكن وأنسبها للتخييم، حيث تحفّ

بها الرمال الذهبية من كل جانب، وتُوفر هذه الكثبان لمُحبّي الرياضة مُمارسة التزحلق على الرمال والسباق بالسيارات، كما يوفر أهل البادية للزوّار والسياح الإبل العربية الأصيلة، لارتياد الأماكن الجميلة ومساكن البدو وشَمّ النّسيمِ وعبور الصحراء.

يوجد في المناطق الصحراوية ـ السابقة ـ العديد من المتاحف أهمها: المتحف الوطني في مدينة المُكلا بحضرموت، ومتحف سيئون، ومتحف الفنون الشعبية بحضرموت، والمتحف الوطني في عتق (شبوة)، والمتحف الوطني في بيحان.

ـ مهرجان قَرْناو (التجربة اليمنية المنظمة في السياحة الصحراوية)[٢٠]: تقع مدينة قَرْناو في محافظة الجوف، وفي شمال شرق العاصمة صنعاء بمسافة ١٧٠ كلم، يحدّها من الشمال صحراء الربع الخالي، ومن الجنوب أجزاء من محافظتي مأرب وصنعاء، ومن الغرب خمر وريدة وعمران.

يبلغ عدد سكان محافظة الجوف ٤٤٣٧٩٧ نسمة، مناخها معتدل صيفًا وبارد شتاءً، تتوزع تضاريسها بين مرتفعات جبلية وهضاب وسهول واسعة، تضم أراضي صحراوية وشبه صحراوية، وفيها العديد من الصناعات الحرفية، وبخاصة صناعة غزل الصوف، وعلى ضفتي وادي الجوف قامت حضارة الدولة المعينية، الذين برعوا في فنون العمارة، وشيّدوا المدن الجميلة، والمحطات التجارية في أثناء ازدهار نشاط طريق اللبان التجارية.

يُعتبر مهرجان قرناو دعوة مفتوحة إلى الاستمتاع بحياة البادية، أقيم أول مرة في ٢٠٠٦/١٢/١٤ في صحراء الجوف، ورافق إقامة المشروع مشاركة العديد من الشركات السياحية التي ساهمت في نقل المشاركين والمتنزهين إلى منطقة إقامة فاعليات المهرجان للتعرّف إلى خصائص السياحة الصحراوية في المنطقة، والاستمتاع من ناحية أخرى بمُفردات طبيعية وأنماط حياة البادية ومميزاتها الفريدة[٢١].

---

(٢٠) وزارة السياحة، مجلس الترويج السياحي، على موقع الإلكتروني: <www.yementourism.com>, and <www.newsyemen.net>.

(٢١) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ١٤، ص ٢٧٥ من هذا الكتاب.

يُقام المهرجان عادة في منطقة الأشرع ـ الخِنْجر المتاخم لمدينة قرناو، حيث يتسع لـ ١٥٠ خيمة وتجهيزاتها لإنجاز فاعليات المهرجان المتنوّعة.

من الجدير بالذكر الإشارة إلى أنّ الهدف الأساس من إقامة مهرجان قرناو، جاء من استراتيجية الدولة في إيقاف ومنع الصراعات والثارات القبلية، والترويج للسياحة اليمنية، وتحديدًا الصحراوية، وكَسْر حاجز الخوف لدى السياح من قبائل تلك المناطق، ويشهد المثلّث القِبْلِي ـ الجوف، ومأرب، وشبوه، توتّرات قبلية، لوجود ثارات قديمة بين بعض قبائل تلك المحافظات، حيث أودت بحياة ٣٠ شخصًا في غضون ثلاث ساعات من المواجهة في أحد أسوأ احتراب قبلي بصحراء الجوف في عام ٢٠٠٤.

تتنوع الفاعليات السياحية في المهرجان على النحو التالي:

- سباق السيارات.
- سباق الهجن والخيول.
- الألعاب الشعبية المتميزة في المنطقة.
- الصيد عبر القنص والصقور المدربة وكلاب الصيد.
- ممارسة رياضة المشي على الرمال.
- شرب القهوة العربية الأصيلة والتمر.
- المُساجلة الشعرية (المنادمة).

ينعقد المهرجان عادةً لمدة ثلاثة أيام، تتوزع فاعلياته كما يلي:

اليوم الأول: يتحرك المشاركون عصرًا من اليمن، وحينما يصلون قرناو يتوزعون على الخيام، ثم يتوجّهون لتناول العشاء وحضور الحفل الساهر.

اليوم الثاني: منذ الساعة السادسة: تناول قهوة الصباح، ومشاهدة شروق الشمس، وبعدها تناول الإفطار، ثم إلقاء كلمات وقصائد لمناسبة المهرجان، لتنطلق بعد ذلك الفاعليات التالية:

ـ سباق الخيل: يُعتبر هذا السباق من الرياضات القديمة المفضّلة لدى

العرب، وسباق الخيل التقليدي أحد أهم فاعليات المهرجان، ويُعدّ الأول من نوعه، تمهيدًا لعمل ماراثون الصحراء للخيول والفرسان في اليمن مستقبلًا، ويقام السباق في هذا المهرجان لمسافة ٨٠ كلم، يتم تكريم الفائزين الحاصلين على المراتب الثلاثة الأولى.

ـ عرض خيول مع الزّامل الشعبي.

ـ سباق الهجن السديس: تعتبر هذه الرياضة مثيرة، وتحتل مكانة مرموقة ورفيعة، فهي رياضة الأصالة والتراث والمنافسة الشريفة والإثارة والسرعة، وتقسم الهجن المشاركة في سباق مهرجان قرناو التقليدي إلى ثلاث مجموعات هي: السديس والثنايا والجزعة.

ـ سباق السيارات على الكثبان الرملية (المجموعة الأولى)، ويكون عند منتصف النهار، يتبعها استراحة غداء وقيلولة، يشارك في السباق سيارات الدفع الرباعي عادة.

ـ الألعاب الشعبية بعد العصر، يعقبها شرب القهوة، ومشاهدة غروب الشمس.

ـ حفل سمر يقام في الليل عند الساعة الثامنة مساءً.

اليوم الثالث: تبدأ الحركة عند الساعة السادسة صباحًا بقهوة الصباح، ومشاهدة شروق الشمس، يتبعها الإفطار، وتُستكمَل الفاعليات السياحية التالية في هذا اليوم:

ـ تسلّق الكثبان الرملية والعودة إلى الموقع.

ـ سباق الهجن (الثّني).

ـ سباق الهجن (الجَزْعَة).

ـ سباق السيارات (المجموعة الثانية). ويتطلب هذا السباق الخبرة الكبيرة والقيادة وتحدي الرمال، ولكل مشارك محاولتان، ثم يُحدّد الثلاثة الأُوَل للتكريم، بعد ذلك يتم العودة إلى المخيم عند صلاة الظهر لتناول الغداء، وبعد الظهر يعود المشاركون إلى صنعاء.

ج ـ تجارب أخرى

أدركت دول الخليج العربي عقب انتهاء حرب الخليج الثانية، أهمية تفعيل دور السياحة باعتبارها رافدًا من روافد الاقتصاد الخليجي، الذي يعتمد على عائدات النفط باعتبارها موردًا رئيسًا، وبدأت الأصوات في المنطقة تتعالى من أجل تفعيل هذا الاهتمام في صورة إجراءاتٍ تنفيذية، كما بدأت بعض دول الخليج بتجارب في هذا المجال، وأصبحت الآن تجارب رائدة.

من الجدير بالذكر التأكيد على أن دول الخليج تمتلك مقوّمات سياحية عديدة تؤهّلها إلى أن تكون واحدةً من مناطق الجذب السياحي، ومع ذلك قَدّر خبراء السياحة حجم إنفاق دول مجلس التعاون الخليجي مُجْتَمِعةً على السياحة في الخارج بنحو ٢٧ مليار دولار أميركي سنويًا، كما يرى خبراء في مجال تنشيط السياحة أن دول الخليج تعمل جاهدةً على استقطاب معظم هذه الأموال، من خلال إيجاد حوافز تشجيعية للسياح الخليجيين لتحويل السياحة إلى الداخل بدلًا من الخارج.

(١) تجربة الإمارات العربية المتحدة: أعلنت الإمارات إنشائها هيئة أبو ظبي للسياحة، كما استمرت دائرة السياحة والتسويق التجاري في دبي بتنويع الأنشطة السياحية، وابتكار أنواع جديدة من أجل زيادة وتفعيل قطاع السياحة، وتتعزّز جهود دبي في استضافتها مهرجان «ثقافات شعوب صحاري العالم» في الفترة ١٦ ـ ٢٢/٤/٢٠٠٥[٢٢]، الذي عُقد في قرية

---

(٢٢) برعاية الفريق أول سموّ الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، ولي عهد دبي وزير الدفاع، انطلقت في إمارة دبي فاعليات مهرجان «حضارات وثقافات شعوب صحاري العالم» في الفترة بين ١٦ و٢٢/٤/٢٠٠٥، حضر الافتتاح الرئيس الجزائري، ورئيس «منظمة صحاري العالم» عبد العزيز بوتفليقه، ورئيس جنوب أفريقيا ثابومبيكي، وممثل الأمم المتحدة الأخضر الإبراهيمي راعي جائزة زايد، وعدد من الوزراء وكبار الشخصيات، وعدد من وزراء البيئة العرب والأجانب والفاعليات الاقتصادية والإعلامية في دولة الإمارات، وحشد من ممثلي وسائل الإعلام والصحافة العربية والأجنبية. دعا المؤتمر إلى الاهتمام بسياحة الصحراء وأنماطها، وعرْض ثقافات الشعوب من خلال معارض الأدب والفنون الصحراوية، والأدوية الشعبية لسكان الصحاري، بالإضافة إلى العروض الفلكلورية، ومن أبرز البلاد المشاركة: الجزائر والسعودية واليمن والأردن وفلسطين ومصر وجنوب أفريقيا والمغرب وعُمان ونيجيريا وإيران والهند وليبيا والصين وغيرها، للمزيد عن هذا المؤتمر انظر: وكالة الأنباء السعودية، على الموقع الإلكتروني: <www.spa.gov.sa>؛ أخبار البيئة، على الموقع الإلكتروني <www.4eco.com/1005>، والرياض، العدد ١٣٤٤٨، على الموقع الإلكتروني: <www.alriyadh.com>

القَدْرِة، ومن أهم الفاعليات التي كانت على هامش المهرجان:

- معرض لأنماط الهندسة المعمارية للبناء الصحراوي والمناطق الحارة.
- معرض للأدوية الشعبية المستخدمة من سكان الصحاري.
- معرض للّوحات والصور الفوتوغرافية.
- معرض الصناعات المعمارية والجلدية والعسفية.
- مسابقات للرسّامين الهواة.
- عروض فلكلورية.
- أمسيات شعرية للشعر النبطي.
- ماراثون رالي الصحراء.
- رياضات الصحراء مثل سباق الهجن والخيول.
- ورشات عمل حول السياحة الصحراوية وأمن الصحاري والتداوي بالأعشاب.

تتنوّع الأماكن السياحية في دولة الإمارات، ومن أهم هذه الأماكن على صعيد السياحة الصحراوية: جبل حفيت بالعين، وهو جبل كثير التعرّج، يرتفع بشكلٍ حادٍّ عن الصحراء المحيطة به، اشتهر بأنه منطقة تقليدية للصيد، وباعتباره واحدًا من آخر المستوطنات المعروفة للماعز البري، وجرى مؤخّرًا إدخاله في خارطة العصر الحضارية، وذلك بتشييد طريق بالغة الروعة تصل حتى قمّته، فيشاهد السائح الشقوق الصخرية، والأزهار الصحراوية والسّحالي، كما يوجد في الإمارات واحة القطارة الصحراوية، وتقع في طرف مدينة العين حيث تنتشر بساتين النخيل لتعكس مدى التباين الشديد مع الصحراء المحيطة.

(٢) **تجربة الكويت**: يتنوّع فيها المُنتَج السياحي، وسحرها يغري الزائرين والمُقيمين على حدٍّ سواء لقضاء ساعات من الوقت من أجل اكتشاف المواقع المهمة في تاريخها وثقافتها، وتقع هذه الأماكن كلها ضمن مسافات قصيرة على مقربة من بعضها، وباعتبارها واحةً في الصحراء تُظهر

الكويت مزيجًا رائعًا بين العالم العربي القديم، ومعلمًا بارزًا لدولة خليجية حديثة، وتُعتبر مدينة الكويت هي مدينة السياحة الترفيهية بحق، حيث تدير الأنشطة السياحة فيها شركة المشروعات السياحية بالتعاون مع الشركات المحلية، ومن فاعليات الكويت السياحية: مدينة الألعاب المائية (الأكوابارك)، والنافورة الموسيقية، ونادي اليخوت، والجزيرة الخضراء، وسوق المباركة، وأبراج الكويت، ومن أهم عناصر الجذب السياحي الصحراوي في الكويت: محمية الشيخ صباح الأحمد، وهي متنوّعة من حيواناتٍ وأراضٍ شاسعة، وجَمَال الطبيعة الصحراوية[٢٣].

يوجد في الكويت العديد من الآثار التاريخية، يضم قسمًا منها «متحف الكويت الوطني» الذي يُصور عادات وتقاليد الشعب الكويتي، كما يوجد «المتحف العلمي» لتحنيط الطيور والحيوانات المختلفة، وفيها «متحف الفن الحديث»، ومتحف «كي لا ننسى»، ومن آثار الكويت المهمّة، القصر الأحمر في منطقة الجهراء، وسُمّي بهذا الاسم لأنه بُني من الطين واللِّبن الأحمر، ومركز الفنون الشعبية الذي يعتبر مهمًا للحفاظ على الفنون الشعبية الكويتية التراثية، وبيت السّدو الذي يهتم بالحفاظ على التراث، ويُعتبر السّدُو (حياكة الصوف) أحد أقدم الفنون والحِرَف التقليدية لدى أهل البادية في الكويت، ولأنه صناعة يدوية تستفيد منه نساء البدو في صنع «بيت الشعر»، والسجاجيد وأنواع أخرى من المفروشات[٢٤].

يُعتبر الكويتيون من الشعوب التي تحب السفر، وهم ميّالون إلى السفرات البرية في بادية الكويت والبوادي المجاورة خلال فصل الربيع، وخلال رحلات الصيد والقنص والراليات.

(٣) تجربة قطر: يُعتبر قطاع السياحة فيها في مرحلة التطوّر، باعتباره واحدًا من القطاعات التي يُمكن أن تُقدِّم مساهمة مهمة في تنويع مصادر الدخل القومي، ولذلك أُنشئت الهيئة العامة القَطرية للسياحة في عام ٢٠٠٠، وذلك بهدف تنمية السياحة في قطر وتنظيمها.

---

(٢٣) انظر الموقع الإلكتروني: <www.alfnnon.cc/vb/archive/index.php>.

(٢٤) عبد الولي الشميري، منتدى المثقف العربي، على الموقع الإلكتروني: <www.shimery.com>.

بدأت الهيئة القيام بأنشطة عدة، تضمّنت إقامة المهرجانات الدّورية، وشملت الأنشطة إقامة معرض للسيارات القديمة، وآخر للصور الفوتوغرافية، وعروض غنائية ورياضية متنوّعة، علاوة على ذلك يُشكل حيوان المَها أول اهتمامات الهيئات البيئية، ويجري ذلك عن طريق التوعية والتنظيم وردّ الاعتبار إلى الحياة في المناطق الجافة والصحراء[٢٥].

(٤) تجربة عُمان: تملك سلطنة عُمان تُراثًا حضاريًا متعدّد الجوانب، يتمثل بالمواقع السياحية ذات الجذب السياحي، التي توجد في محافظات ومناطق السلطنة كلها، وهي متنوعة تشمل: الافلاج والوديان والينابيع والجبال الشامخة، علاوةً على اتّساع الرّمال الشاسعة والكهوف الجبلية، ومن أشهرها: رمال الشرقية، وهي واحدةٌ من أروع الصحاري الرملية التي تجذب الزوار، عبارة عن كُثبان متنوّعة الألوان من الأحمر إلى البني، تُشكل الموطن الأصلي للبدو. أما واحة الحَويّة فهي من أكبر الواحات في عُمان، تبعد ٧ كلم من المنترب في المنطقة الشرقية، يكثر فيها النخيل، مُحاطة بكثبان رملية قريبة، كما أنّ الحوية يخترقها فَلَج اكتسبت منه شريان الحياة وتتوافر بها أمكنة ظليلة ورائعة للرحلات[٢٦].

تكثر في عُمان القلاع والحصون التي تزيد عددها على خمسمئة قلعة وحصن، ومن الحصون الشهيرة: حصن حبرين الذي شُيد في أواخر القرن السابع عشر، ويبعد عن مسقط ١٥٠ كلم، يحمل اليوم اسم بلدة تكثر فيها أشجار النخيل، ويُعتبر من أجمل المواقع التاريخية في عُمان، كما تُعدّ قلعة نَخْل أحد المواقع التاريخية الشهيرة في السلطنة، تتميز ببنائها الواقع فوق ربوةٍ صخريّةٍ تتوسط بساتين النخيل[٢٧]، ولسلطنة عُمان تجارب سياحية جيدة تتمثل بإقامة مهرجان صحار الواقعة جنوب البلاد.

(٥) تجربة البحرين: يتنوّع المُنتج السياحي فيها، حيث تكثر الحدائق والمتنزّهات (متنزّه عين عذاري، ومتنزّه عين قصاري)، وفيها «محميّة

---

(٢٥) الأخبار في ١٩/١/٢٠٠٦، على الموقع الإلكتروني: <www.aljazeera.net/news>.

(٢٦) الدليل السياحي العربي، على الموقع الإلكتروني: <http://www.patdq.com/8-10.html>.

(٢٧) الشميري، منتدى المثقف العربي، على الموقع الإلكتروني: <www.shimery.com>.

العرين» التي توجد على مساحة ٨ كلم٢، وتُعتبر أوّل حديقة حيوان مفتوحة في الخليج العربي، وهناك قلعة البحرين، ومعبر باربار، وتلال المدائن، وقلعة عراد، ومركز التراث.

تتركّز مقوّمات السياحة البيئية على الأنشطة والرّياضات البحرية، وسباق السيارات والأسواق الشعبية، وتحافظ البحرين على شجرة أطلق عليها شجرة الحياة في وسط الصحراء، على مسافة نحو ميل من جبل الدّخان، توفر الشجرة الخضراء ظلًا وارفًا من حرارة شمس النهار، على الرغم من أن مصدر ريّها بالماء لا يزال لغزًا غامضًا، والفروسية من الأنشطة السياحية المهمّة في البحرين، وذلك في ميدان سباق الخيل الذي يضمّ مدرّجًا يكفي لعشرة آلاف متفرج، ويجري سباق الخيل كل يوم جمعة من شهر تشرين الأول/ أكتوبر، حتى آذار/ مارس من كل عام[٢٨].

٢ ـ بادية الشّام

أ ـ التجربة الأردنية

يتمتّع الأردن بمزايا ومقوّمات جغرافية وتاريخية وطبيعية، تجعل منه بلدًا سياحيًا على مدار فصول العام، وتُلبّي معظم الأهداف التي ينشدها السائح، حيث تتوافر الأماكن الدينية والمواقع الأثرية والمشاتي والمصايف والينابيع الطبيعية والغابات والصحاري والشواطئ، علاوةً على ما يتمتع به من موقعٍ جغرافيٍ متوسّط ساعده في اجتذاب السيّاح من مختلف أنحاء العالم.

بدأ الاهتمام بالسياحة مُبكرًا في الأردن، منذ تأسيس الإمارة الأردنية (في عام ١٩٢١)، واستمر الاهتمام الحكومي بالنشاطات السياحية في الازدياد خصوصًا على الصعيد الاقتصادي ولأسباب عديدة، منها: وجود مخزون هائل من المواقع الأثرية والتاريخية، ومن المُعطيات الطبيعية المتنوّعة المُتمثّلة بالمناخ المعتدل المتنوّع، وأدّت ندرة الموارد الطبيعية (المواد المعدنية والنفط) دورًا كبيرًا في دفع الحكومة إلى البحث عن بدائل اقتصادية أخرى لدعم إيراداتها واقتصادها، فكانت السياحة أهم هذه البدائل.

---

(٢٨) الدليل السياحي العربي، على الموقع الإلكتروني: <http://www.patdq.com/8-10.html>.

زادت السياحة في الأردن بعد توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل (١٩٩٤)، وتُمثل حاليًا ثالث أهمّ مصدر للدخل والعملات الأجنبية بعد تحويلات المغتربين والصادرات، وتساهم بحوالى ٧٥٠ مليون دولار في الاقتصاد الوطني، وما لا يقل عن ١٠ في المئة من الناتج الإجمالي، بالإضافة إلى ما توافره من فرص عمل مباشرة وغير مباشرة لحوالى ٥٠ ألف يد عاملة.

في ما يتعلق بإدارة ومؤسسية قطاع السياحة، فإن وزارة السياحة والآثار هي الجهة التي تمارس مسؤوليتها بموجب قانون السياحة رقم ٤ لعام ١٩٩٧، ومهمّة هذه الوزارة تقوم على تنظيم دور السياحة في تطوير القطاع السياحي، بخاصة في مجالات الفنادق والمُجمّعات السياحية والنقل السياحي والمطاعم ومكاتب السياحة والسفر ومتاجر التحف الشرقية وخدمات الأدلاء السياحيين[٢٩]، كما توجد هيئات ومؤسسات من المجتمع المدني تساعد في إدارة وتنظيم قطاع السياحة، من أهمها هيئة تنشيط السياحة التي تسعى إلى تنويع المُنتج السياحي الأردني وتطوير أنماط سياحية جديدة، وفي مقدمها السياحة الصحراوية، وتحقيق التوازن في توزيع الخدمات والمنشآت السياحية جغرافيًا، وزيادة الفرص الاستثمارية من خلال تقديم التسهيلات كافة إلى المستثمرين في مختلف المجالات السياحية[٣٠].

بالنسبة إلى السياحة الصحراوية الأردنية، تحتل الصحراء مساحة هائلة من مساحة الأردن تزيد على ٨٠ في المئة، وهي جزء من بادية الشام التي كانت طرقًا للقوافل التجارية القديمة، وكانت بوابة للفتح الإسلامي لبلاد الشام، وفيها تقوم القلاع التاريخية وتتناثر القصور الصحراوية التي بناها الخلفاء الأمويون، وفيها مدينة البتراء العجيبة، جوهرة المدن، والتحفة

---

(٢٩) عثمان محمد غنيم وبنيتا نبيل سعد، **التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل** (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٩)، ص ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٣٠) أوضح السيد مازن الحسن، رئيس هيئة تنشيط السياحة الأردنية، أن الهيئة قدمت ورقة عمل في الملتقى التاسع لمجتمع رجال الأعمال المنعقد في قطر، بيّنت فيها صفات القدوم السياحي إلى الأردن من دول الجوار، وأبرزت الورقة الآفاق المتاحة للانتقال إلى مستوى يحقق ما تستحقه المقومات السياحية الأردنية، ومنها تسويق الأردن في الدول الإسكندينافية والصين وتركيا، وتنويع المنتج السياحي الأردني وتطوير أنماط سياحة جديدة، وفي مقدمها السياحة الصحراوية، للمزيد انظر: **الشرق الأوسط**، على الموقع الإلكتروني: <www.aawsat.com/details.asp>.

المعمارية المحاطة بقلادة من مدن حلف الديكابولس[٣١]، كما تنتشر فيها العديد من الواحات والمحميات مثل: الرويشد والصفاوي والجفر والأزرق ومحمية الشومري.

(١) **مُقوّمات الأردن السياحية**: تتنوّع هذه المقوّمات وتتعدّد وتُشكل في مُجملها عناصر جذب سياحي، وإنْ تفاوتتْ في مقدار جذبها من عنصرٍ إلى آخر ويمكن إيجاز هذه المقوّمات بما يلي:

(أ) مُقوّمات مُستمدة من **البيئة الطبيعية**، وتتمثل بـ:

ـ الموقع الجغرافي المتوسط للأردن جَعَلَهُ حلقة اتصال بين أقاليم متباينة في غِناها وأجوائها.

ـ الجيولوجيا والتراكيب الجيولوجية المتنوعة، وانعكاس ذلك على الصخور والمكاشف الصخرية التي بدأت تستهوي العديد من السياح والمغامرين وهُواة استكشاف جماليات الطبيعة.

ـ أشكال سطح الأرض (الجيومورفولوجيا)، بما يملكه الأردن من جبالٍ وسهولٍ وأوديةٍ وصحارٍ وبيئاتٍ مُتعدّدةٍ (غوريةٍ وجبليةٍ وصحراوية)، وما فيها من أشكال تستهوي السياح.

ـ عناصر المناخ، حيث تمتاز أجواء الأردن بالاعتدال وعدم التطرف.

ـ المياه المعدنية والعلاجية، حيث تكثر الانكسارات الأرضية في حمامات ماعين وعفرا وبربيطة والشونة ودير علا.

(ب) مُقوّمات مستمدة من **البيئة الاجتماعية** (البشرية)، وأبرزها:

ـ خصائص اجتماعية جيدة في الشعب الأردني، فهو شعب مسالمٍ ومُحبٌّ للغير ودودٍ وكريمٍ ومضياف.

---

(٣١) مدن حلف الديكابوليس (Decapolis) هو تحالف بين المدن اليونانية القديمة في بلاد الشام بهدف صد هجمات البدو من المناطق الصحراوية المجاورة، وشهد شرق الأردن قيام سبعة مدن من هذا الحلف، هي: إربد (Abila) وأم قيس (Gadara) وبيت راس (Capitolias) وطبقة فحل (Pella) والحصن (Dion) وجرش (Garasa) وعمّان (Phladelphia)، للمزيد انظر: خليف غرايبة، **الجغرافية التاريخية للمنطقة الغربية من جبل عجلون** (إربد: مطبعة الروزنا، ١٩٩٨)، ص ٢٥٤.

- عوامل الأمن والاستقرار، إذ يتميّز الأردن في أنّه يمتلك تجربة ينفرد بها في أمن الصحاري، وذلك من خلال إيجاد «قوّة الهجّانة» التابعة لقوات البادية الملكية، حيث دمجت الحكومة الأردنية من خلالها المعارف والثقافات المجتمعية في منطقة البادية، لتحقيق الركن الأساس الذي تتطلّبه عملية التنمية المستدامة والبناء الحضاري، المتمثل بالأمن، حيث تقوم الهجانة بمهام إنسانية عديدة[٣٢]، وتجب الإشارة هنا إلى أنّ الأردن هو من أقدم الدول العربية في إنشاء الشرطة السياحية، والشرطة البيئية لتوطيد الأمن.

- النظام الاقتصادي الحر الذي يتيح للزائر حرية إدخال الأموال، ومختلف السلع وإخراجها، وإقامة الاستثمارات وما يلقاه من تسهيلات مادية ومعنوية، لتشجيع الإقامة والاستثمارات في المجالات الاقتصادية والسياحية كافة.

- التسهيلات السياحية لخدمة السياحة، وتتمثل بالخدمات السياحية، مثل الأدلّاء السياحيين والفنادق والمطاعم ومكاتب السياحة والسفر ومتاجر التحف والأنظمة السهلة في إجراءات الدخول والخروج.

(ج) مُقومات مستمدة من **البيئة البيولوجية** (التنوع الحيوي)، وتتمثّل بتنوّع النباتات والحيوانات والطيور في البيئات الأردنية المختلفة.

(٢) مميّزات السياحة الأردنية وخصائصها[٣٣]:

- إنها سياحة متنوّعة (ترفيهية، مؤتمرات، علاجية، صحراوية، دينية. . . إلخ).

- تتوزّع الآثار في أرجاء الأردن كافة، وهي نِتاج تراكم حضارات عديدة تعاقبت على حُكمه، وآثار هذه الحضارات لا تزال ماثلة للعيان، ويمكن مشاهدتها من خلال الموقع الواحد.

---

(٣٢) انظر الموقع الإلكتروني: <Ioenv.jov.jo/pages.php>.

(٣٣) نعيم الظاهر والياس سراب، **مبادئ السياحة** (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠١)، ص ١٩٧-١٩٨.

ـ هناك مواقع أثرية فريدة من نوعها تستهوي السياح مثل: البتراء «إحدى عجائب الدنيا السبع».

ـ تستهوي الصحراء الأردنية، وبخاصة وادي رم السياح الأوروبيين.

ـ يُعتبر البحر الميت أخفض بقعة على سطح الأرض، بمنزلة منطقة علاجية حيوية.

ـ تقدم الدولة تسهيلات كبيرة إلى السيّاح.

ـ الأمن والاستقرار الذي يتمتع به الأردن يجعل السياح يطمئنون على سلامتهم.

ـ تَوافر مراكز الخدمات السياحية.

ـ يوفّر قطاع السياحة دخلًا مناسبًا وأرباحًا اقتصادية للمستثمرين في قطاع السياحة.

ـ سهولة الوصول إلى الأردن برًّا وبحرًا وجوًّا.

على الرغم من هذا التنوّع في عناصر الجذب السياحي في الأردن، وعلى الرغم من هذه المُميزات السياحية، إلّا أن حجم الإنفاق على السياحة الخارجية لا يزال مرتفعًا، حيث بلغ هذا الحجم لغايات السياحة والعلاج والدراسة في عام ٢٠٠٥ ما قيمته ٤١٤٨ مليون دينار، مقابل ٣٧١٤ مليون في عام ٢٠٠٤، الأمر الذي يستدعي إعادة النظر في تنشيط السياحة الداخلية[٣٤].

(٣) مناطق السياحة الصحراوية في الأردن والأنشطة المُرتبطة بها:

تتعدّد المناطق السياحية في الأردن، لكننا سنقتصر في حديثنا هنا على المناطق السياحية الصحراوية وهي[٣٥]:

---

(٣٤) للمزيد انظر: نشوى الخالدي، «تأثير برامج الجذب الداخلي ما يزال باهتًا ٤١٥ مليون دينار إنفاق الأردنيين على السياح والعلاج في الخارج،» **الرأي**، ٢٨/٥/٢٠٠٦، ص ٤٣.

(٣٥) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ١١، ص ٢٥٩ من هذا الكتاب.

ـ **البتراء**[٣٦]: تقع البتراء في وادٍ عميقٍ في قلب الصحراء الأردنية على بعد ٢٦٢ كلم جنوب عمّان، وهي مدينة محفورة في الصخور، أقامها الأنباط العرب قبل أكثر من ألفي عام، وتُسمّى «المدينة الوردية» نسبة إلى لون الصخور التي شكلت بناءها الفريد، وهي مدينة أشبه ما تكون بالقلعة، كانت عاصمة لدولة الأنباط، وهي واحدة من أهم مواقع الجذب السياحي في الأردن، حيث تؤمّها أفواج السياح من كل بقاع الأرض، وبخاصة بعد أن أصبحت من عجائب الدنيا السبع[٣٧].

لا تزال البتراء حتى يومنا هذا تحمل طابع البداوة، حيث يمتطي زائروها ظهور الخيول والجمال ليدخلوا المدينة عبر (السِّيق)، ذلك الشق الصخري الرهيب الذي يبلغ طوله ١٢٠٠م، ترتفع حوافّه الصخرية إلى ٨٠م، وعرضه يتراوح بين ثلاثة أمتار واثني عشر مترًا، وعلى جانبيه توجد بقايا قنوات قديمة حُفرت بالصخور لتوصيل المياه من وادي موسى إلى البتراء، كما توجد أيضًا سدود أنشئت لمنع جرف المياه للتربة.

في وسط المدينة يُشاهد الزائر مئات المعالم التي حفرها وأنشأها الإنسان من هياكل شامخة، وأضرحة ملكية باذخة، إلى المدرج الكبير الذي يتسع لسبعة آلاف متفرج، والبيوت الصغيرة والكبيرة، والردهات وقاعات الاحتفالات، وقنوات الماء والصهاريج والحمامات، إضافة إلى صفوف الدرج المزخرفة والأسواق والبوابات المقوسة، ومن أهم المعالم الأثرية داخل البتراء[٣٨]:

- الخَزْنة.
- قصر بنت فرعون.

---

(٣٦) الظاهر وسراب، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥؛ محمد أبو الهوى، «القطاع السياحي ومعطيات نمو الصناعة السياحية في الأردن،» الرأي، العدد ١٣٧٢٤ (٢٠٠٨)، ص ٧٤، والدليل السياحي العربي (١٠/ ١/ ٢٠٠٧)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.patdq.com/8-10.html>.

(٣٧) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ١٥، ص ٢٧٦ من هذا الكتاب.

(٣٨) لمعرفة المزيد عن الموقع الجغرافي للبتراء وأصل الأنباط وحضارتهم وآثارهم انظر: محمد فاضل الخاطبة، **عمارة الأنباط السكنية** (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٦).

● الدّير.

● المَذْبَح.

● الأضرحة.

أهم الأنشطة السياحية التي يمارسها السياح في البتراء هي: السير على الأقدام لمشاهدة معالم المدينة الوردية، وتسلّق الجبال، وركوب الخيل والإبل، والتصوير الفوتوغرافي والرسم، ومشاهدة شروق الشمس وغروبها.

ـ **القصور الصحراوية**: سبقت الإشارة إليها في الفصل الثالث.

ـ **قلعة الأزرق**(٣٩): تقع في البادية الشرقية في بلدة الأزرق حاليًا، على بعد ٩٩ كلم شرق عمان، تعود إلى عهد الرومان، مبنيّة بالكامل بالحجر البازلتي الأسود على شكل مربع يُحيط بها وتدعمه الأبراج في زواياه الأربعة، ويوجد أربعة أبراج في وسط كل جانب من جوانبه الأربعة، وتُطلّ أسوراها على واحة الأزرق التي كانت في ما مضى محطة رئيسة للقوافل.

تدلّ أعمال الحفر التي أُجريَت في القلعة على أن الرومان أقاموا فيها حصنًا لحمايتهم من قبائل البادية، كما أقام فيها الأمويون منشآت زراعية، وقام بتجديدها الناصر داوود ابن الملك الأيوبي لتوسطها من الجزيرة العربية وسورية.

برزت الأزرق في الحرب العالمية الأولى، عندما اتّخذها الملك فيصل بن الحسين ولورنس العرب مقرًا لقيادة الجيوش العربية التي كانت تهاجم الأتراك، كما اتّجهت من الأزرق قيادة الثورة لتحرير سورية من الأتراك.

ـ **المفرق**(٤٠): تقع في شمال البادية الأردنية، وهي بوابة الأردن إلى البادية الشمالية، ذات موقع استراتيجي مهم عبر المراحل وتطور العصور

---

(٣٩) دائرة الآثار العامة، **الآثار الإسلامية** (عمان: الدائرة، ١٩٧٩)، ص ٧.

(٤٠) لمعرفة المزيد عن محافظة المفرق والآثار التي تحتويها، انظر: عبد القادر محمود الحصان، **محافظة المفرق ومحيطها عبر رحلة العصور: دراسات ومسوحات أثرية ميدانية** (عمان: مطابع الأرز، ١٩٩٩)، ومنى أحمد الطائي، **المعالم الأثرية في المملكة الأردنية الهاشمية** (عمان: وزارة السياحة والآثار، ٢٠٠٤).

التاريخية، حيث كانت ولا تزال حلقة وصلٍ مهمّةٍ وحيويّةٍ في التقاء وتفاعل مناطق شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام (سورية الطبيعية) وبلاد الرافدين، وذلك عبر تتابع الهجرات البشرية العربية المتتالية، وكذلك مرور الطرق التجارية المهمة، مثل طريق الحج الشامي، وطريق الحج الداخلي التي تسمّى «طريق البخور»، أو «طريق الملح» الواصلة حتى وادي السرحان مرورًا بالأزرق.

أهم المعالم الأثرية الموجودة في المفرق:

أم الْجِمَال، أم القُطَيْن، صبحا، جَاوا، رِحَاب، أم السّرب، ديْر كَهْف، قصر العُوَينِد، قصر بُرقع، الكَوم، الشّبيكة، المِدْوَر، منيفة، حيّان المِشرف، أيدون بني حسن، صَعَد، وادي العاقِب، وسنتكلم بإيجاز عن أبرز هذه الآثار:

● قصر بُرقُع: يوجد على الجهة الشمالية الشرقية من البادية الأردنية، قُرب الحدود العراقية السورية، وقُرب محطة الأجفور (الرويشد)، وهو بناء من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، أشرف على بنائه الوليد بن عبد الملك عندما كان أميرًا. فيه حمّام ومسجد وبعض البيوت، استُعمل محطة على درب الحج حتى القرن الثامن الهجري، وما يُؤسف له أن معظم حجارته أخذت لتبنى بها محطات خط أنابيب النفط.

● قصر العويند: وهو على مسافة ١٢ كلم جنوب شرق قصير عمره، صغير لم يبقَ منه غير الأساسات، ويعود إلى الفترة الأموية، وربما كان لسكن حاشية الخليفة الذي كان ينزل في قصير عمره.

على الرغم من هذه الآثار في محافظة المفرق، إلا أنّ الأنشطة السياحية فيها مُتعثّرة، وتقتصر على سفرات ترفيهية عائلية في فصل الربيع، وعلى الصيد والقنص، وشهدت المحافظة مؤخرًا نشاطًا ثقافيًا بإقامة «مهرجان السرحان للشعر النبطي».

ـ **الزرقاء**[٤١]: تقع شرق مدينة عمان بحوالى ٤٠ كلم، وهي بوابة

---

(٤١) الطائي، ص ٦٦ ـ ٧٦؛ عايده الصلال، **الآثار والمواقع السياحية في الأردن** (عمان: مكتبة الإمام علي، ٢٠٠٣)، وحمودة محمد عبد الله زلوم، **الزرقاء: المدينة والمحافظة، ماضيها وحاضرها** (عمان: مطابع الأرز، ١٩٩٤).

الأردن للبادية الوسطى، ورد اسمها في رسائل تل العمارنة في عام ١٤٤٧ ق. م، في عهد تحتمس الثالث، باسم «سارقي»، وهي الزرقاء غالبًا، استعادت الزرقاء مكانتها وهويتها العربية الإسلامية في عهد الأمويين، لأنّها تقع على طريق قوافل الحج المُتجهة إلى الحجاز، وظلت مدينة معروفة حتى العهد العثماني باعتبارها مركزًا مهمًا، وبخاصّة في موسم الحج، وأهم المواقع التاريخية الأثرية التي تحويها محافظة الزرقاء:

قلعة الزرقاء، الخربة السمراء، العالوق، قصر الحلابات، مسجد حمّام الصّرْح، قصير عمره، وتخلو المحافظة مع ذلك من الأنشطة السياحية التي تتناسب وتنوّع مُنتجها السياحي.

ـ معان[٤٢]: من أهمّ مُدن الجنوب الأردني، تبعد من عمّان حوالى ٢٥٠ كلم، كانت مركزًا للتجارة ولسلطة المعينيين في أرض مدين، نظرًا إلى وقوعها على الطريق الرئيسة المهمة بين جنوب الجزيرة العربية وبلاد الشام، ولمّا قامت دولة سبأ التي خلفت المعينيين، انتقلت معان وجوارها إلى حوزتهم، ثم تبعت حكم الأنباط والغساسنة، واستولى عليها المسلمون بعد معركة اليرموك في عام ٦٣٦م، وكان أكثر العهود استقرارًا في حياة المدينة هو عهد الدولة الأموية، ثم تبعت للدولة العباسية، حيث تراجعت مكانتها، وتعاقب على حكمها السلاجقة والصليبيون والأيوبيون والمماليك، ومن أهم المواقع التاريخية والأثرية فيها:

● البتراء (المدينة الوردية): وهي أكبر عناصر الجذب السياحي في المحافظة بشكل خاص والأردن بشكل عام؛ وسيق البيضاء، والحميمة، واذرح، كما يوجد فيها سلسلة من القلاع الشهيرة: الوعيرة والحبيس والشوبك والمدورة ومعان وباير والعنيزة. ويُمكن تطوير السياحة الصحراوية فيها بشكلٍ كبيرٍ، وبخاصّة في مناطق الجفر وما يجاورها.

● الحُمَيْمَة: بلدة صغيرة تتبع معان، تقع في سهل القويرة، تَكْمن

---

(٤٢) الطائي، ص ١٣٤ ـ ١٥٠؛ رزق هارون الديخ قباعة، **معان: المدينة والمحافظة، ماضيها وحاضرها** (عمان: مطابع دار الأرز، ١٩٨١)، وهيئة تنشيط السياحة الأردنية، **الأردن: دليل الزائر** (عمان: الهيئة، ٢٠٠٥)، ص ١٤.

أهميّتها في أنها شهدت التجمّع الأول لنواة الدعوة العباسية التي انطلقت منها.

ـ تشهد مناطق مُتفرّقة من الصحراء الأردنية (البادية) وما يجاورها، قيام **مهرجانات شعبية وثقافية**، تُقام في كل عام، هي مهرجانات: جرش والفحيص برقش والأزرق وأم قيس، ومهرجانات الخالدية والسّرحان للشعر النبطي، وأكبر هذه المهرجانات وأكثرها جذبًا، هو المهرجان الذي يقام في صيف كل عام في مدينة جَرَشْ في الفترة الممتدة بين ٢٦ تموز/يوليو و١١ آب/أغسطس.

(٤) وادي رَمْ (التّجربة الأردنية المنظمة في السياحة الصحراوية)[٤٣]

أدّى تزايد الطلب على المنتج السياحي الأردني، بخاصة منذ عام ١٩٩٤، إلى تحوّلٍ جذريٍّ وإيجابيٍّ في التعامل مع القطاع السياحي الذي أخذ تدريجيًا يحتل المكانة الأولى في التوجّهات الوطنية، وجاء هذا التحوّل نتيجة الانفراجات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط بعامة، والوطن العربي بخاصّة.

تفاعلت الدولة الأردنية بمؤسّساتها المختلفة لتهيئة البُنية الاستثمارية وتوفيرها لتنشيط الاستثمار، وجذب رؤوس الأموال إلى المشاريع والخدمات السياحية، وسارعت إلى إصدار التشريعات والقوانين والأنظمة المُعزِّزة لفرص الاستثمار السياحي، كما جرى تكثيف الجهود الوطنية لتوفير مرافق البنية التحتية في المناطق والمواقع السياحية كلها في البتراء ووادي رَمْ، وضِمن ما أطلق عليه خبراء السياحة الدوليّيْن «المُثلّث الذّهبي (Golden Triangle)» للسياحة الأردنية، ولم تأت الرعاية والاهتمام بصناعة السياحة في المملكة من فراغ، بل استندت إلى دراساتٍ ومسوحاتٍ سياحيةٍ تفصيليةٍ، وخططٍ واستراتيجياتٍ شموليةٍ بعيدة المدى، قامت بها مؤسسات وبيوت خبرة عالمية[٤٤]، وفي أثر ذلك بدأ المؤشّر السياحي بالنمو على

---

(٤٣) الظاهر وسراب، ص ١٧٧؛ الطائي، ص ١٥٤، وحسن علاء الدين، دليل الرحلات المدرسية (عمان: وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٧).

(٤٤) للاطلاع على التخطيط السياحي والتجربة الأردنية ودراسة واقع السياحة الأردنية، ١٩٩٣ ـ ١٩٩٤ واستراتيجية السياحة في الأردن، ١٩٩٦ ـ ١٩٩٧ وخطة قطاع السياحة والآثار، ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٣، انظر: غنيم وسعد، ص ٢١٧ ـ ٢٢٩.

نحو ما يوضّحه الجدول الرقم (٣)[٤٥]، ومن الجدول يُلاحظ تزايد واضح في أعداد السياح الذين بلغوا ١٧٧ مليون سائح في عام ٢٠٠٥، بحوالى ٥٨٥٤ ليلة سياحية، وبلغت المقبوضات ٩١٠ مليون دينار، أي بنسبة نمو زادت على ٦ في المئة.

في عودةٍ إلى الحديث عن وادي رَمْ الذي يُعتبر التجربة الأردنية الناجحة في السياحة الصحراوية، نقول: يبعد وادي رَمْ[٤٦] من العقبة ٧٢ كلم فقط، بالاتجاه الشمالي الشرقي، ويرتفع جبل رم السياحي ١٧٥٤م عن مستوى سطح البحر[٤٧]، ويبلغ طوله ٤٥ كلم، يمتد من قلعة القويرة إلى قلعة المُدوّرة، ويتراوح عرضه بين ٥ و١٥ كلم.

بَيْنَ الحُلم والحقيقة يقضي السائح أوقاته في وادي رَمْ الذي يسمى أيضًا وادي القمر (نظرًا إلى تشابه تضاريسه مع تضاريس القمر)، ومن الجبال الشّاهقة التي تنتصب في المنطقة يستطيع الزائر أنْ يلمس صفاء الطبيعة في الصحراء العربية، وبخاصة في فصل الربيع، ومن هذا الوادي يرى الزائر سفوح الأودية ذات الرّمال الحمراء وهي تعانق الجبال في ارتفاعاتها الشامخة.

أهم الأنشطة السياحية التي يُمارسها السائح هنا:

- تسلّق الجبال التي تعتبر تحديًا مُمتعًا لهُواة التسلق في جبال غرانيتية جرداء.
- السّيْر في دُروب الوادي والتّوغّل بعيدًا في مساربه الفسيحة.
- القيام برحلاتٍ جماعيّةٍ على ظهور الجمال.
- التخييْم في الوادي في مُخيّمٍ خاصٍّ مُزوَّدٍ بكلّ ما يلزم للمبيت المريح.
- الرّحلات بسيارات الدفع الرباعي.

---

(٤٥) انظر الملحق الرقم ١، الجدول الرقم ٣، ص ٢٤٤ من هذا الكتاب.

(٤٦) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ١٥، ص ٢٦٣ من هذا الكتاب.

(٤٧) خليف غرايبة، **التربية الوطنية في الأردن** (إربد: دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٥)، ص ٣١.

ـ مشاهدة عروض البالونات والمناطيد التي تزخر السماء بألوانها الزاهية.

ـ مراقبة غروب الشمس وهي تغطس في الوادي بلونها الأحمر المُبهر.

ـ رؤية النجوم التي تطلّ على الوادي من سماء بعيدة من قمة الجبال، لكنها قريبة من القلوب.

ـ مشاهدة المواقع الأثرية في الوادي، وهي معبد اللات (معبد نبطي)، وعين الشلّالة حيث توجد أنصاب آلهة نبطية، ونقوشٍ ثموديّة، ووادي رابغ، وهو وادٍ مليء بالصخور المنقوش عليها كتابات ثموديّة، وقرية إسلامية، ومسجد وجبل عامود الذي يرجع إلى العصر البرونزي المُبكّر، كما يوجد جبل الخزعلي، وهو شقّ بالجبل فيه كتابات ثمودية ونبطية وكوفيه إسلامية.

في وادي رَمْ استراحة حديثة مزوّدة بكلّ وسائلِ الراحةِ، وفيها مطعمٌ يُقدّمُ إلى الزائرين مُختلف الوجبات والأطباق، كما يُمكن استئجار الخيام من هذه الاستراحات للمبيت بين الجبال النابتة في وسط الصحراء.

ب ـ التجربة السورية[٤٨]

تتبنّى الحكومة السورية السياحةَ باعتبارها صناعة استراتيجيةً، حيث هي أحد أعمدة الاقتصاد الوطني، وتعتَبرُ السياحة حوارًا إنسانيًّا بين الناس والحضارات، يُبرز الصورة الحقيقية للدولة، ويُساهم في حفظ التراث التاريخي، والميراث الفني فيها، ويمكن القول إنّ سورية مُجهّزة بكلّ مُتطلّبات السياحة، وفيها أكثر من ٤٠٠ فندق بمستويات وتكاليف مختلفة، كما تكثر فيها سياحة التخييم.

أهم ما يلفت السائح في سورية هو: التسوّق، حيث تنقسم الأسواق فيها إلى قسمين رئيسين: قديمة وحديثة، وما زالت القديمة منها محافظة

---

(٤٨) الدليل السياحي العربي (٣٠/ ٤/ ٢٠٠٨)، على الموقع الإلكتروني: <http//www.patdg. com/8-8.html>, and <www.elwaha-dz.com/siaha-gh-tour-forrum2006>.

على طابعها التراثي، وتنتشر فيها الصناعات اليدوية المتوارثة، والحرير البلدي، والعباءات المُطرّزة بخيوط الذهب والفضة، والسجاد والبسط ذات الخصائص المميزة بألوانها وتشكيلاتها العربية الهندسية، وهناك الأواني الفضية والنحاسية المَطليّة بالذهب بِتَزيِيْناتها الدقيقة، وكذلك حفر الخشب وتطعيمه بالصدف وتَزْيينه بالموزاييك وتخريمه وخراطته، والخط العربي وزخارف العجمي، إلى جانب الصناعات الجلدية والدباغة، والصناعات اليدوية الخزفية، والفخارية، والزجاجية، وتشتهر سورية بحرفة صباغة الحُلي الذهبية والفضية.

يتمتع زائر هذه الأسواق بتناول الأطعمة المحلية الشهية وغيرها، والمرطبات المحلية المشهورة من الليمون، إلى عِرْق السُّوس والتمر الهندي، والخَرّوب، والفُستق الحلبي، علاوةً على ما سبق، فإنّ في سورية مُقوّماتِ جَذْبٍ سياحيٍّ كثيرة بسبب المناخ المعتدل السائد، والتنوّع الطبيعي فيها من جبالٍ وهضابٍ وسهولٍ وامتدادِ صحراويٍّ متنوّعٍ، بالإضافة إلى تسهيل الدخول في المعابر، وضمان جودة المُنتج السياحيّ، وتنويع أشْكالِ الأنشطة في الأماكن السياحية.

تُشير الخطّة الخمسية العاشرة في سورية إلى انتشار السّياحةِ في مقاصدٍ جديدةٍ، منها: الاهتمام بالسياحةٍ البيئيةِ والرّيفيةِ، وسياحةِ الأنشطةِ، والسياحةِ الصحراويةِ مُقارنَةٍ بسياحة المنتجعات التقليدية، ومن أهم أشكال السياحة في سورية: سياحة الطبيعة (الحيوانات والنباتات)، والسياحة الثقافية والدينية، والصحيّة، والعلاجية، والرياضة، والمُغامرات والسياحة البيئية، وسياحة الشمس والشواطئ، وسياحة العمل، والاجتماعات والمؤتمرات.

بالنسبة إلى السياحة الصحراوية فهي مُتقدّمة، وتتّسع الصحراء السورية بشكلٍ لافتٍ، وتُعتبر مدينة تَدْمر بوابة الصّحراء السورية، وهي أهم مناطق السياحة الصحراوية فيها، وهناك العديد من أماكن السياحة الصحراوية[٤٩]: الرّقة ومَسْكنة ودير الزّور والميادين والحمّام والصّالحية والسّبخة وحلبيّة (على نهر الفرات) والقامشلي ومرقده وفدغمي ورأس العين والحسكة (على

(٤٩) انظر الموقع الإلكتروني: <www.damascus.online.com>.

نهر الخابور) وتل أبيض (على نهر بليخ)، علاوة على أماكن أخرى مثل القريتين وعين البيضاء والرّصافة ومنبج وعين العرب والباب وخناصر والسّخنة وسبع بيار وقصر الحيرة (شمال الطريق الواصلة بين دير الزور وتدمر)[٥٠].

- مهرجان تدمر (التجربة السياحية الصحراوية المنظمة في سورية):
تدمر (بالميرا (Palmyra))، عاصمة مملكة تدمر، اسمها باللغة الآرامية «تدمرتا»، أي المعجزة، وهي مدينة أثرية تقع في وسط سورية، وواحة في شمال غرب بادية الشام، وتُلقّب بعروس الصحراء، وهي البوابة الصحراوية[٥١]، تقع على بعد ٢٤٠ كلم شمال شرق مدينة دمشق، كانت تدمر تقع بين مملكتين قديمتين متنازعتين هما الرومان والفرس، أُنْشِئَت في البادية باعتبارها محطّةً للقوافلِ في القرن الأول الميلادي، وعلى الطريق الواصلة بين آسيا ونهر الفرات، وموانئ البحر المتوسط، وتُشير التنقيبات إلى أنّ منطقة تدمر كانت مأهولة بالسكان في العصور الحجرية القديمة في حوض جرف العجلة، وكهف الدوارة وثنية البيضاء.

استوطنت تدمر قبائل عربية، وأنشأت فيها دولة ازدهرت في عهد الملك أذينة الذي كان مواليًا للرومان، وبعد اغتياله تولّت زوجته زنوبيا الحكم، وكانت تطمح إلى توسيع مملكة تدمر إلى آسيا الصغرى ومصر، إلا أن طموحها انتهى في حربها مع الامبراطور الروماني أورليان الذي احتلّ تدمر في عام ٢٧٢م، ودمّرها وساق ملكتها أسيرة إلى روما، استعادها العرب المسلمون على يد خالد بن الوليد في عام ٦٣٣م، وحضارتها كانت مزيجًا من العوامل اليونانية والرومانية والشرقية.

تتوزّع الآثار في تدمر على مساحة تتجاوز ١٠ كلم٢، يحيط بها سور دفاعي من الحجر المنحوت، ومن آثارها:

---

(٥٠) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ١٢، ص ٢٦٠ من هذا الكتاب.

(٥١) تقع تدمر بين سلسلتي تدمر الشمالية والجنوبية، وتمتد السلسلة التدمرية الشمالية من جبل بشري حتى أطراف حمص بطول ٢٢٠ كلم، والسلسلة التدمرية الجنوبية جنوب غرب تدمر وتتجه إلى شمال شرق دمشق بطول ١٧٥ كلم، يفصل بين المجموعتين حوض الدو، حيث تقع تدمر بمساحة ٤ آلاف كلم٢، وهذه الجبال تحوي الحديد والكبريت والفوسفات والنفط.

ـ النيكروبولس، أو مدينة الموتى.

ـ الأكوار، أو السوق والشارع الرئيس، ويبلغ طوله ١,٦ كلم.

ـ معبد بعل (معبد الشمس).

ـ الفورم، وهو مكان عقد الاجتماعات والمبادلات التجارية، محاط بأروقة داخلية لها أعمدة على الطراز الأيوني.

ـ المسرح وهو نصف دائري أبعاد منصته ٨ + ١٠,٥ م.

ـ المدافن والقبور العديدة.

ـ معابد بنو واللات، وأرصو، ومناه بعل (الرب أو السيد)، والعديد من الحمامات.

تُعْزى نشأة الحضارات في هذه المنطقة إلى وجود واحة تدمر التي وفّرت الماء، وجعلت منها محطّة تجارية، لذا تمتاز تدمر بوجود تنوع حيوي متميز (Bio Diversity)، الأمر الذي استدعى إقامة «محمية التليلة» فيها باعتبارها مكانًا لحماية هذا التنوع[٥٢].

تمتاز تدمر بوجود نبع يُسمّى نبع «أفقا» وهو مياه معدنية للاستشفاء من الأمراض الجلدية والمعدنية والمفصلية[٥٣].

اشتهرت تدمر حاليًا من خلال مهرجانها الصحراوي، الفني، الثقافي، السياحي، الذي يَعرِضُ فنون تدمر في أجواء البادية، ويُعقد عادةً في شهر أيار/مايو من كل عام، لمدّة ١٥ يومًا، تُشارك في فاعلياته فِرَق سوريّة وعربية وعالمية، في ليالي معبد بعل، وتزدحم سوق تدمر التي تُزيِّن محلّاتها الصناعات التراثية مِنْ: نحاسيات وهدايا وسجاد وبُسُط وأدوات

---

(٥٢) تحوي محمية التليلة العديد من الحيوانات، منها الغزال الصحراوي وكان تعداده ٣٠ رأسًا في نهاية عام ١٩٩٦ عندما أدخل إليها من الأردن أول مرة، ثم أصبح عددها ٤٥٠ رأسًا في عام ٢٠٠٥، وتشتهر كذلك بوجود المها العربي الذي تكاثر من ثمانية رؤوس في عام ١٩٩٦ إلى ٨٠ رأسًا عام ٢٠٠٥، كما يوجد في المحمية العديد من الفصائل النباتية مثل السنا الكاذب والشيح، وفيها ٢٢ نوعًا من الثدييات، و٢١ نوعًا من الزواحف، وحوالى ٢٧ نوعًا من الطيور المقيمة المهاجرة، والعديد من أشجار البطم الأطلسي التي يزيد عمرها على ١٤٠٠ عام.

(٥٣) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ١٦، ص ٢٧٦ من هذا الكتاب.

الحليّ والزّينة مِنْ: الفضة والأحجار الكريمة والأزياء التقليدية، افتتح المهرجان في ٦ أيار/ مايو ٢٠٠٧، برعاية رئيس الجمهورية، ومِنْ أهمّ الفاعليّات والأنشطة السياحية فيه:

- سفاري الخيل والهجن والحناتير وموتورات الفورْوِيل، وسفاري الدراجات النارية والشراعية.
- التمتّع بحمّامات المياه المعدنية الكبريتية في نبع أفقا.
- عُروض المناطيد والطيران الحر، والطيران الورقي، وعروض مسرحية وندوات إعلامية.
- حفلات فنية ساهرة.
- معارض للكتب والطيور الجارحة والمهن اليدوية.
- الفوتوغرافيا من سماء تدمر.
- زيارة لمحمية التليلة (سياحة بيئية (Ecotourism)).
- ألعاب ترفيهية للأطفال.

يحضر هذا المهرجان جُمُوعٌ غَفيرةٌ من سورية والدول العربية والأجنبية، ويهدف إلى تنشيط السياحة الصحراوية فيها.

ج ـ تجارب أخرى(٥٤)

من الدول العربية التي تحتلّ الصحاري جزءًا كبيرًا منها: العراق وفلسطين.

ـ **العراق**: جناح المَشرق العربي الذي تَضْرِبُ جُذُورَ حضارته في بطن التاريخ منذ نحو سبعة آلاف عام أو يزيد، وأرض التنوّع الثّري في ثقافاته وأعراقه، وفي تضاريسه الطبيعية وأهواره وصحرائه الشاسعة،

---

(٥٤) الشميري، منتدى المثقف العربي، على الموقع الإلكتروني: <www.shimery.com>، والدليل السياحي العربي (١٠/ ١/ ٢٠٠٧)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.patdq.com/8-9.html>.

فالعراق كنزٌ سياحيٌّ هائل، تتوافر فيه ركائز السياحة ومقوّماتها، إلا أنّ الفترة الحرجة التي يمرّ بها حاليًا لا تسمح بظروف قيام السياحة، وبخاصة في الصحراء، بسبب عدم استتباب الأمن والاستقرار، مع أنّ النصف الغربي من العراق صحراء تُسمى بادية الأنبار، وصحراء السماوه، وهناك سياحة صحراوية يمكن أن تُنشّط في هاتيْن المنطقتيْن إلّا أنّ الظروف الأمنية تحول دون ذلك.

قبل هذه الفترة، وقبل سقوط بغداد، كان العراق محطّ أنظار سياح البيئة بشكلٍ خاص، الذين كانوا يأتون من مختلف دول العالم، وبخاصة الدول المجاورة، لممارسة هواياتهم في صيد الطيور، وتحديدًا صيد الصقور، هذه الهواية التي بدأت في العراق منذ أوائل القرن العشرين على أيدي الصيادين العراقيين في المناطق الغربية والجنوبية من البلاد، وكان الصيد في ذلك الحين يُعتبر هوايةً لبعض الصيادين، ومصدرِ رِزْقٍ لبعض العوائل العراقية التي كانت تقوم بتزويد الصقّارين العرب بجزءٍ مما يحتاجونه من الصّقور اللازمة لممارسة رياضتهم المفضلة، وأصبح للصقور أسواقها وتجّارها المعروفون، ومن أهم مناطق السياحة الصحراوية في العراق: بحيرة الحبانية، وخزان الثرثار، وبادية الأنبار، وصحراء السماوة.

ـ فلسطين: مهد الديانات والحضارات، يتنوّع مُنتجها السياحي كذلك من: سهولٍ وجبالٍ وأغوارٍ وصحارٍ (صحراء النقب في الجنوب)، لكنّ ظروف الاحتلال أعاقت تنمية السياحة الصحراوية بالذات، مع أن صحراء النقب تسكنها قبائل عربية عريقة.

ثانيًا: صحاري أفريقيا العربية

تشمل صحاري مصر والسودان (صحراء سيناء، الصحراء الشرقية، الصحراء الغربية، صحراء النوبة) والصحراء الكبرى، وتشمل مساحاتٍ واسعةً في كُلٍّ مِنْ ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا، كما صحراء الصومال، وتتنوّع السياحة الصحراوية في هذه الأقطار، وسنعرض هنا أهم هذه التجارب:

١ ـ التجربة المصرية(٥٥)

يتنوّع المُنتَج السياحي في مصر نظرًا إلى تنوّع الأماكن السياحية فيها، كما أنّ لموقع مصر في مركز الاتّصال الأقرب إلى أوروبا وآسيا وأفريقيا، وفي قلب العالم العربي الذي يُعدّ مُلتقى لدول الشمال مع أفريقيا، أهميّة في مجال النقل البحري والاتّصالات، وفيها مُخلّفات هائلة للحضارة الفرعونية تتمثل بالأهرامات والمعابد العديدة (الكرنك وأبو سمبل)، كما توجد فيها سياحة بيئية مُتقدمة، وسياحة صحراوية متنوعة، فمنذ القِدَم وصحاري مصر يكتنفها كثير من الأسرار والغموض، ما جعلها مواقع جَذْبٍ لرحلاتِ المُستكشفين والباحثين في أعماق التاريخ.

لصحاري مصر الشاسعة جاذبيّة خاصة للأجانب من هواة المغامرات والسفر الطويل، وتُعدّ واحات الوادي الجديد من الأماكن الفريدة للسياحة الصحراوية التي تحلو الإقامة فيها بالمعسكرات والمخيّمات، وتتنوّع المناظر الطبيعية في الوادي الجديد من كثبان رملية مُتحرّكة على أشكال هلالية جميلة، وصخور مختلفة على جوانب الطرق تأخذ أشكالًا متعددة مثل: الأهرامات الطبيعية وأشكال أبو الهول وغيرها، كما تتنوّع السياحة، وتشتهر مصر بسياحة السفاري والمغامرات، وسياحة الراليات، حيث الاستمتاع بمشاهدة الواحات الجميلة في رحلة طويلة مُمْتعة، ونظرًا إلى أهمية السياحة في مصر بلغت الإيرادات السياحية لعام ١٩٩٩/ ٢٠٠٠ حوالى ٤٣١٤ مليون دولار، قفزت إلى ٤٣١٧ مليون دولار في عام ٢٠٠٠/ ٢٠٠١، واستقبلت مصر ٨,٦ مليون سائح في عام ٢٠٠٥، ارتفع إلى ٩,٤ مليون سائح في عام ٢٠٠٦(٥٦).

أ ـ أماكن السياحة المصرية: يُمكن الإشارة إلى هذه الأماكن كما

---

(٥٥) انظر الموقعين الإلكترونيين: <www.kenanaonline.com/page4836>, and <www.klamaraby.com/vb/showthread>.

(٥٦) نظرًا إلى أهمية التأثيرات الاقتصادية للسياحة في مصر، وتجاوبًا مع النمو المتزايد في الحركة السياحية الوافدة كان لا بُدّ من زيادة المشروعات السياحية لمواجهة متطلبات هذا التدفق السياحي، حيث تزايدت الطاقة الفندقية من ٥٨٧٥٥ غرفة في عام ١٩٩٣، إلى ٩٣٨٢٣ غرفة في عام ١٩٩٩، وإلى ١٠٥ آلاف غرفة في عام ٢٠٠٥. للمزيد انظر استراتيجية السياحة في مصر حتى عام ٢٠١٧ على الموقع الإلكتروني: <www.kenanaonline.com/page483>.

حدّدتها استراتيجية السياحة حتى عام ٢٠١٧، التي أشارت إلى عناصر الجذب التالية[٥٧]:

ـ **محور المحافظات** (الفيوم وبني سويف والْمِنْيا): يحوي هذا المحور مجموعات ذات طبيعة متنوّعة، تضم الآثار والمواقع التاريخية من العصور الفرعونية واليونانية والرومانية والقبطية والإسلامية والحديثة والبحيرات الطبيعية المتميزة، ويعمل هذا التنوع على إتاحة المجال لجذب نوعيات متباينة من السياحة تشمل ـ بصورة أساسية ـ سياحة الآثار، والسياحة الترفيهية، والسياحة النيلية، ومن أهم هذه المشروعات: إقامة ١٤٥٠ غرفة فندقية حول بحيرة قارون، وإقامة ٦٥٠ غرفة فندقية في بني سويف والمنيا.

ـ **محور صحراء سيناء**: يتمتّع بالعديد من المقوّمات السياحية، حيث تتميز بالكثير من المعالم ذات القيمة التاريخية والدينية والمقومات البيئية الطبيعية التي تجعلها تصلح للأنماط السياحية المختلفة، وبخاصّة الترفيهية الشاطئية والعلاجية والثقافية والدينية والعلمية وسياحة الجبال والصحاري، كما تبلغ الطاقات الإيوائية الجديدة المستهدفة نحو ٢٠٠ ألف غرفة على امتداد سواحل خليج العقبة والسويس والبحر المتوسط، وفي مناطق الآثار الفرعونية وقلعة صلاح الدين ووادي الرّاحة وسانت كاترين وجبل موسى ومزارات الأنبياء والطرق التاريخية.

تشتهر سيناء بسباقات الهجن، حيث تعتبر هذه السباقات رياضة بدويّة خالصة، تشهد إقبالًا هائلًا من الـمُشاركين والسياح، كما يرتبط بها كرنفالات واسعة للأزياء والفنون الشعبية، ومن أشهر هذه السّباقات:

السباق العالمي للهجن في شمال سيناء وجنوبها، بخاصة في فصل الربيع[٥٨].

ـ **محور مُدن القناة**: تعتمد على مجموعة من عوامل الجذب السياحي، حيث تضم المجرى الملاحي والبحيرات الواقعة على مساره، والمواقع

(٥٧) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ١٣، ص ٢٦١ من هذا الكتاب.

(٥٨) انظر الموقع الإلكتروني: <www.feedo.net/lifestyle/travel trips relaxation>.

التاريخية التي واكبت حفر القناة، والمعارك العسكرية التي جرت على ضفافها، بالإضافة إلى مواقع المحميات الطبيعية.

- تهذيب جوانب **بحيرة قارون**، والعمل على إضفاء الطابع البيئي، واللمسة الجمالية للمنشآت الواقعة على البحيرة، وتنفيذ مشروعات الاستثمار السياحي للبحيرة.

- **الواحات المصرية** الواقعة في الصحراء الغربية وهي، واحة سيوه والفرافرة والداخلة والخارجة. يعتبر مشروع واحة سيوه التي تقع في قلب الصحراء الغربية مثالًا حيويًا للتنمية المستدامة، وتتميز الواحة بمناخها الجاف طوال العام، والرمال الساخنة التي تساعد في علاج المفاصل والعمود الفقري وشلل الأطفال والصدفية والجهاز الهضمي، وتمتاز الواحة بكثرة عيون المياه التي تندفع من باطن الأرض.

- **المحميات الطبيعية** (كنوز الصحراء المصرية)[٥٩]: ينتشر معظمها في مناطق صحراوية (٧٠ في المئة)، وتضم شبكة المحميات هذه حاليًا ٢٤ محمية (١٠ في المئة من أرض مصر)، كما أنه من المخطط إعلان ١٦ محمية جديدة، ليبلغ عدد المحميات ٤٠ محمية في عام ٢٠١٧، بما يوازي ١٧ في المئة من مساحة مصر، وتجدر الإشارة إلى أن المحميات الصحراوية تعتبر مقاصد متميزة للسياحة الصحراوية، حيث وصل عدد زوّار المحميات إلى حوالى ١,٥ مليون زائر، وهي تمثل ٢٥ في المئة من السياحة المصرية[٦٠].

---

(٥٩) أكد المهندس ماجد جورج، وزير الدولة لشؤون البيئة، على أن التعامل مع الصحراء يجب أن ينبع من الواقع البيئي بسبب تداخل وتكامل الموارد الطبيعية الصحراوية الأرضية والمناخية والمائية والحياتية التي لا بد من استثمارها بحكمة، أشار إلى ذلك ضمن فاعليات الاحتفال بيوم البيئة العالمي ٢٠٠٦، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.eeaa.gov.eg/media/arabicmain/news>.

(٦٠) تتزايد الاتجاهات نحو تنمية السياحة البيئية، ومن بينها السياحة الصحراوية على مستوى العالم باعتبارها مصدرًا مهمًا من مصادر الدخل القومي، وتمثل المحميات العمود الفقري لكل برامج الصون والممارسات الجديدة لصون الطبيعة، وتحقيق المعارض التقليدية وحقوق الملكية الفكرية، وصون النباتات الطبية والعطرية، والأصول الوراثية للأنواع النادرة، وتحسين القدرات المؤسسية والبشرية، للمزيد انظر: المصدر نفسه، والملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ١٧، ص ٢٧٧ من هذا الكتاب.

- **منطقة العوينات والجلف الكبير في أقصى جنوب غرب مصر**، لما تحويه من كهوفٍ خاصةٍ بإنسان العصر الحجري، وبداية تاريخ الإنسان المصري منذ عشرة آلاف سنة.

ب - **رالي الفراعنة الدولي** (التجربة المصرية الناجحة في السياحة الصحراوية)[٦١]: يُعدّ سباق رالي الفراعنة للسيارات والدراجات النارية (يقام منذ عام ١٩٨٢) أحد السباقات الدولية المميزة، وكان قد وافق الاتحاد الدولي للسيارات على إدراج رالي الفراعنة ضمن ستّة سباقات أخرى تُقام في إطار بطولات كأس العالم للراليات، وغالبًا ما يُقام هذا الرالي في الأسبوع الأخير من شهر أيلول/سبتمبر، ويمتد حتى نهاية الأسبوع الأول من شهر تشرين الأول/أكتوبر، وتقدر مسافته بـ ٣٣٧٠ كلم في عمق الصحراء، يبدأ السباق من نقطة بجوار أبو الهول والهرم الثالث في مدينة الجيزة، ويمرّ بواحات سيوه، والفرافرة والبحرية والداخلة، مع التركيز على واحة سيوه، كما تُقام فيه مرحلة استعراضية بالقرب من بحر الرمال الأعظم، في محاولةٍ لإضفاء مزيد من الإثارة والمتعة للسباق، وتكون نقطة النهاية هي نفسها نقطة البداية.

غالبًا ما يكون السباق على سبع مراحل[٦٢]، وحدّد مسار الرالي وإحداثيات الطرق التي ستمرّ به ومراحله النهائية مجموعة من المصريين والإيطاليين وأصحاب الخبرة في تنظيم السباقات، وعلى رأسهم المنظم الإيطالي جاكي إكس، أحد مُتسابقي الرالي منذ عام ١٩٨٢، ويتركّز السباق في صحراء مصر الغربية، مرورًا بالواحة البحرية والفرافرة والداخلة والخارجة وشرق العوينات وتوشكي وأبو سمبل، يُشارك فيه عادة أكثر من ٥٠ دولة على مستوى العالم، ويتواجد فيه حوالى ٢٠ صحفيًا من مختلف

---

(٦١) انظر الموقعين الإلكترونيين: <www.catarvipcars.com/vb/showthread.php>, and <arabic.peopledaily.com.cn/20030g>.

(٦٢) انظر الملحق الرقم ١، الجدول الرقم ٤، ص ٢٤٤ من هذا الكتاب. جرى إحداث تغيير على مسار الرالي، بحيث لا تقترب سيارات المشاركين من المناطق الأثرية، وذلك لحمايتها واستخدام هذه الآثار خلفيةً، وليست ضمن المسار، خوفًا من تأثيرها في الأهرامات، وذلك بعد أن ظهر بأنها تَسببّت بظهور شروخ على هرم زوسر الموجود في منطقة الآثار بالجيزة، كما ظهرت هذه الشروخ في الهرم المدرّج بسقارة، وهو الذي يشكل بداية بناء الأهرامات بالأسرة الخامسة، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <http://5let.net/vb>.

الجنسيات، بالإضافة إلى إنشاء موقع يومي للبريد الإلكتروني مُصاحبٍ للسّباق، ومَرْوَحيّتان لتأمين السباق وأغراض الإخلاء الطبي، و٥ ـ ١٠ طائرات خفاشية تسير مع مضمار السباق.

إن إقامة سباق رالي الفراعنة يُعتبر دعاية سياحية مهمة لمصر التي تعمل على تنشيط السياحة الخارجية، ويُشكل نافذة إلى العالم، إذ ارتبط باسم مصر في أوروبا، ويُعتبر من الأحداث الرياضية المهمة في مصر، وجرى إدراجه في أجندة كأس العالم للراليات منذ عام ٢٠٠٠.

٢ ـ التجربة الليبية

تمتاز ليبيا بتنوّعِ تضاريسها مِنْ: جبال (الجبل الأخضر والهروج والحساونة ونفوسه وأكاكوس) وتلال وسهول، لكن أثمن ما تملك هو الصحراء الرائعة برمالها الذهبية، والصحراء هي موطن الغموض والنقاء، فالصحراء ليست فقط مصدرًا للنفط، لكن فيها أقدم الحضارات وأعرقها مِنْ: المازيغية، إلى اليونانية، والرومانية، والإغريقية، والإسلامية، وتقف مدنها شامخة شاهدة على عراقة أرض ليبيا[٦٣].

أ ـ مُقوّمات السياحة الصحراوية في ليبيا: تمتاز ليبيا بمقوّمات سياحية أخّاذة، حيث تنوّعت المقوّمات السياحية بها، وتعدّدت من بحارٍ، وشواطئ، وتضاريس جبليةٍ، وصحارٍ، وهي مقصد للسياح الذين يبحثون عن دلالات الثقافة القديمة والمختلفة عن ثقافتهم، وتمتاز ليبيا بتنوّع منتجها السياحي، وبتعدّد عناصر الجذب السياحي فيها، ويمكن إيجازها كما يلي[٦٤]:

ـ طبيعة البيئة الجغرافية: حيث تتميّز المناطق الصحراوية بمناخٍ معتدلٍ ودافئ خلال فصلي الشتاء والربيع، كما تتميّز بالتنوّع الهائل في المناظر الطبيعية الناتج من تعدّد المظاهر التضاريسية، حيث تضمّ الصحراء الليبية مواقع جبلية مثل: جبال أكاكوس وجبل العوينات الشرقية ومسلك ملّليت ومسلك ستافت ومناطق الكثبان الرملية ذات الأشكال والألوان المتعددة،

(٦٣) انظر الموقع الإلكتروني: <www.jeel-libya.com/follows/view.asp>.

(٦٤) سليمان ولد حامدن، «السياحة الصحراوية بشعبية وادي الحياة، مقوّماتها وسبل تنميتها،» **مجلة كلية الآداب والعلوم (أوباري)**، (٢٠٠٦).

مثل: أدهان أوباري، وأدهان مَرْزَق، وبحر الرمال العظيم، وأراضٍ حجريّة كالحمادة الحمراء، والبحيرات الصحراوية في منطقة رملة الزلّاق، والبراكين الخامدة في منطقة واو الناموس، والتكوينات الصخرية ذات المناظر المتعددة كالأعمدة والموائد الصخرية، كما يوجد فيها العديد من الكهوف: كهوف أفطيح، وكهوف الضبعانية.

ـ الموروث التاريخي في الصحراء مثل: مدينة جَرْمة في منطقة وادي الحياة، والمقابر الملكية التاريخية، وأهرامات الحطبة، ونقوش وادي متخندوش والقصور التاريخية

ـ التراث الثقافي المتنوع في الصحراء لتنوّع قبائلها وعاداتهم وتقاليدهم الصحراوية، والموسيقى والفنون الشعبية

ـ المرافق السياحية التي تُقدّم خدمات سياحية متنوعة، وتُسهم في توفير مصدر إضافي للدخل.

ب ـ **أماكن السياحة الصحراوية الليبية**[٦٥]: شهدت السياحة الصحراوية مؤخّرًا اهتمامًا لا بأس به نظرًا إلى ما تكتسبه من أهميةٍ كبيرةٍ في دفع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المناطق الصحراوية، ونظرًا إلى ما تتميّز به الصحراء الليبية من تنوع في عناصر جذبها السياحي، وتُعدّ الواحات الليبية عمومًا من أهم المعالم السياحية الصحراوية، وأبرز هذه الواحات[٦٦]:

ـ **جَغْبُوب**: واحةٌ تقع غرب سيوه المصرية، وجنوب غرب السلوم بحوالى ٢١٣ كلم، في منخفضٍ مساحته تُقدّر بـ ٥٦ كلم^{2}، تقع هضبة ليبيا شمال الواحة، وتُحيط التلال الرملية بها، وتُغطّي السّبخات ما يقارب ٨ كلم من مدخل المنخفض، وتبدأ الأرض بالارتفاع نحو بلدة جغبوب التي تبعد عن المدخل ٢٢ كلم، أرض الواحة رملية وسط الصخور، وارتفاعها يصل إلى ١٠٠ م فوق مستوى سطح البحر، جزءٌ صغيرٌ منه يصلح للزراعة،

---

(٦٥) «ظواهر الجذب السياحي الطبيعية بالصحراء الليبية،» (منتديات عيون البحرين)، على الموقع الإلكتروني: <http://bh30.com/vb3/showthread.php>, and <http://ar.wikipedia/wiki>.

(٦٦) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ١٨، والملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ١٤، ص ٢٧٧ و٢٦٢ على التوالي من هذا الكتاب.

والطرق كلها المؤدّية إلى الواحة تحمل اسم درب الإخوان، وذلك نسبة للإخوان السنوسيين، والواحةُ خليطٌ من القبائل مثل: المجابرة والفزازنة والشواعر والفواتير والزنتان. . . وغيرها، ومنطقة جغبوب من أجمل المناطق، فهي تتمتّع بأنواع عدّة من السياحة المائية والصحراوية، ومن أهم بحيراتها: بحيرة الملفا وبحيرة الفريدغة.

ـ **الكَفْرَة**: مدينة تقع في جنوب شرق ليبيا، تسكنها قبيلة (الزوية ـ الغزالات)، عبارة عن واحة صغيرة يبلغ عدد سكانها ٦٠ ألف نسمة، ساهم منها الإخوان السنوسيّة في نشر الإسلام إلى أفريقيا، وهي من أغنى الواحات وأشهرها من حيث إنتاجها التمر والمانغا والزيتون، وذلك لطقسها الحار جدًا، عاش فيها عمر المختار الذي عمل مُدرّسًا للقرآن.

ـ **زُوَيْلَة**: مدينة صحراوية، من أهم المواقع الإسلامية في ليبيا تقع في منطقة فزان إلى الجنوب الشرقي من سبها، في واحةٍ من النخيلِ كانت تقع قديمًا على طريق مدن القوافل التجارية، فيها معالم وآثار إسلامية تعود إلى أيام الفاطميين، وعندما فتح عمرو بن العاص بَرقة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة، وفيها صُكّت الدنانير الذهبية أيام ازدهارها خلال الحكم الفاطمي، وبَعد زوالِه ارتبطت بحكم المرابطين والمُوحّدين والحَفْصيّين، ولا تزال فيها قلعتها التاريخية، وجامعها العتيق، وبعض المقابر، ويُقال إنّها تضمّ رفات عدد من الصحابة أيام الفتح الإسلامي.

ـ **غَدامِس**: مدينةٌ تقع في الجزء الغربي من ليبيا، ترتفع ٣٥٧ م عن مستوى سطح البحر، وهي واحةٌ على الحدود التونسية والجزائرية، سكّانها ٢٥ ألف نسمة، يقال لها مدينة القوافل لمحطّتها الرئيسة منذ زمن بعيد، وتسمى «جوهرة الصحراء»، صنّفتها منظمة اليونسكو مدينة تاريخية، ومحمية من قبل المنظمة، تبعد من طرابلس مسافة ٦٠٠ كلم، ترتبط معها بطريق تمرّ تحت جبل نفوسه، وهي السلسلة الجميلة الممتدة من الخُمْس إلى نالوت، ويوجد بالقرب منها مطار مَحلّي، تقسم إلى ثلاثة أقسام: المدينة العتيقة حيث السور، والجامع، وغابة النخيل، والمدينة الحديثة حيث المباني المُسْتحدثة، وفي وسط المدينة عين الفرس.

ـ **غَات**: تقع في قلب الصحراء الليبيّة الغربيّة على مشارف الحدود

الليبية الجزائرية، يُقام فيها مهرجان سياحي دولي في شهر كانون الأول/ ديسمبر من كل عام في قلعة غات، سكان المدينة من العرب والطوارق، بعضهم أمازيغ يتكلّمون الأمازيغية نُطقًا وكتابةً بواسطة الحروف الليبية القديمة (التيفيناغ)، والباقي يتحدثون العربية، وقليل منهم يتحدث لغة الهُوسا، في المدينة مطار للرحلات الداخلية، فيها قلعة تركية قديمة، وهي محاطة بجبال أكاكوس من الناحية الشرقية، وفيها عدد من القرى التابعة لها، ومن الناحية الجنوبيّة على بُعد ١٠٠ كلم توجد سلسلة جبال طاسيلي التي تحوي أقدم النقوش الأثرية (٧٠٠٠ سنة ق. م)، وتُعتبر تلك المنطقة من أكبر المتاحف الطبيعية في هذا المجال، كانت المدينة قديمًا طريقًا للقوافل التجارية، ومرتبطة بمدينة تمبكتو في قلب الصحراء الكبرى ارتباطًا وثيقًا.

ـ سبها: «عروس الجنوب الليبي»، المدينة الثالثة في ليبيا، تقع في جزء البلاد الجنوبي الغربي، تبعد من مدينة طرابلس ٧٢٠ كلم، يحدّها من الشمال منطقة زلّاف الصحراوية، ومن ثم وادي الشاطي، وهي عاصمة منطقة فزان، سكانها من العرب، والقبائل الليبية التي تسكنها هي، الحساونة والقذاذفة وأولاد سليمان وأولاد سهل والمقارحة والحوامد وورفلّة والمواجر والحجايلة والزوايد، تعتبر قبيلة أولاد سهل من أقدم القبائل في سبها، يبلغ عدد سكانها ١٢٦ ألف، تكثر فيها الجاليات الأفريقية، ما جعلها سُوقًا كبيرة إلى حدٍّ ما، جزء كبير من سكانها قبائل بدوية، فيها ستّة فنادق، وعشرة مصارف، ومطار دولي، وهي عاصمة الجنوب، ومن أهم أنشطتها: الزراعة، والتجارة، وهي المموّل الرئيس لليبيا بالتمور والبرسيم.

ج ـ تجارب ليبيّة واعدة في السياحة الصحراوية (برامج سياحية صحراوية، ومهرجانات تقام على مدار السنة) اطّلع البّاحث على مجموعة من البرامج السياحية الصحراوية: الليبيّة، التي تمتاز بتجربة مُعايشة السائح بالطبيعة الصحراوية، وبالمجتمع البدوي الصحراوي، وإشباع رغبات السياح من هواة المغامرة الصحراوية، سواء كان السير على الأقدام، أم سباق الدراجات، أم السيارات، أم سباق الخيل، والهجن، بالإضافة إلى إشباع رغبات هواة الرسم والتصوير، ومن لديهم الرغبة في التأليف أو الدراسة والبحث، والتعّرف إلى عادات وتقاليد الآخرين وتراثهم، ويتخلّل هذه البرامج

حضور مهرجانات سياحية، تُقام في الأماكن السياحية الصحراوية على مدار السنة.

نعرض هنا أحد البرامج السياحية الصحراوية (الذي يُركّز على الجانب الغربي من الصحراء الليبية)، والذي ينقل السائح إلى مُشاهدةِ ومعايشةِ الصحراء بيئيًّا واجتماعيًّا وبيولوجيًّا[٦٧]، وهو برنامج عام ثابت تستغرق مُدّته نصف شهر تقريبًا، وأهم فاعلياته[٦٨]:

ـ استقبال السياح في مدينة طرابلس، وتوزيعهم على المُرشدين السياحيين والمبيت في طرابلس.

ـ السفر بين طرابلس وغدامس مسافة ٦٠٠ كلم، ومشاهدة قصر نالوت والمَبيت في غدامس.

ـ التجوّل في مدينة غدامس القديمة، «لؤلؤة الصحراء» والواحة، والمتحف، وتشتهر بعمرانها التقليدي البيئي الذي يحاكي الصحراء، وهي إحدى بوابات الصحراء المُهمّة، وزيارة بحيرة عين مجاز، ومشاهدة غُروب الشمس على الرمال حول نارِ المخيم مع الطوارق.

ـ التوجّه من غدامس إلى غات (٧٠٠ كلم)، وغالبًا ما يكون المرشد في هذه الرحلة من الطوارق، ويكون السفر على مركبات ذات دفع رباعي مُجهّزة للبيئة الصحراوية، ومن خلال الطريق القديمة التي تحاذي الحدود الجزائرية، والإبحار في الرمال بين الكثبان الرملية التي تبدو مثل الأمواج العاتية في سُكونٍ لا متناهٍ.

ـ قضاء ثلاثة أيام في واحة غات، وهي مدينة الطوارق، وتقع في منتصف منطقة أكاكوس، وتمثل هذه الواحة نقطة التوقّف للرّاحة بالنسبة إلى المركبات المسافرة إلى مالي والنيجر، وفيها تجري المُعايشة الفعلية بين السياح والطوارق (عشاء تقليدي شعبي حول نار المخيم مع الطوارق، ونصب المخيم على الرمال، والمبيت فيه).

(٦٧) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ١٨، ص ٢٦٦ من هذا الكتاب.

(٦٨) انظر الموقع الإلكتروني: <www.agwalibya.com>.

ـ التوجّه من غات إلى أكاكوس (٧٠ كلم)، وهذه الطريق تُعتبر من أجمل المناظر الطبيعية الصحراوية، حيث الحيوانات (السافانا)، ومعايشة ومشاهدة بعض العادات والتقاليد التي اختفت كليًا (إلّا في تلك المنطقة)، ومشاهدة تشكيلات الصخور المختلفة، ونصب المخيم في منطقة أكاكوس للمبيت.

ـ الاتّجاه إلى أدهان مرزق، حيث الرمال والنخيل والحياة البدوية الجميلة.

ـ زيارة مَتْخَنْدُوش، والمبيت في تَكَرْكِيْبه.

ـ التوجّه إلى مدينة سبها، وزيارة البحيرات، والعودة إلى طرابلس.

٣ ـ التجربة التونسية

تقع تونس في أقصى شمال القارة الأفريقية على مرمى البصر من جنوب القارة الأوروبية، كما تقع عند ملتقى الطرقات، وفي قلب البحر المتوسط، ولذلك كانت مهدًا لحضارات متوسطية عدة، عربية وأفريقية شهيرة، ولا تملك تونس ثروة طبيعية كبيرة، لكنّها تَعتبِر العنصر البشري أهم ثرواتها، لذلك ركّزت الدولة على نشر التعليم، وتحسين ظروف العيش، ونشر الثقافة الصحية.

تتنوّع الظروف الطبيعية في تونس مِنْ: شواطئ وجبال وصحراء، ما جعلها نقطةَ جَذْبٍ رئيسة، يؤمّها أكثر من ستّة ملايين سائح سنويًا، تبلغ نسبة الأوروبيين منهم نحو ٧٠ في المئة، ففي عام ٢٠٠٦ استقبلت تونس ٦,٥ مليون سائح، وارتفعت العائدات السياحية بواقع ٦,٣ في المئة، ليبلغ ٣,٧٥١ مليار دينار تونسي، وتفيد الأرقام الرسمية الصادرة عن وزارة السياحة التونسية أنّ متوسّط عدد الليالي التي قضاها السياح الأجانب في تونس كان ٢٦ ليلة، وحافظ السياح الوافدون من أوروبا على المركز الأول بنسبة ٦٠,٤ في المئة من مجموع السياح الكُلّي، يليهم من دول المغرب العربي بنسبة ٣٧,٥ في المئة[٦٩].

---

(٦٩) انظر: محيط (شبكة الأخبار العربية)، على الموقع الإلكتروني: <www.moheet.com>.

أ ـ مقوّمات السياحة الصحراوية التونسية[٧٠]: تُراهن تونس على الكنوز الطبيعية والبيئية العديدة والمخزون الحضاري والثقافي الثري والمتنوّع في الصحراء الكبرى، وتنويع المنتج السياحي التونسي وتدعيمه بما بات يعرف بالسياحة الصحراوية، وعلاوة على موقع تونس، وتنوع طبيعتها الجغرافية، فإن الإنسان التونسي يعتبر من أهم مقوّمات السياحة فيها ووجود قيم الانفتاح والتسامح لدى التونسيين، وخَلق هوية الشخصية التونسية التي هي ثمرة لقاح حضاراتٍ عدة، وثقافات عبر آلاف السنين.

من خلال جولات الباحث السياحية في تونس، وفي فتراتٍ زمنيّةٍ مُتفاوتة، يُمكن القول: إنّ السياحة الصحراوية التونسية حقّقت في خلال السنوات القليلة الماضية أداءً متميّزًا يُثير الإعجاب، ويُمكن القول إن تُونس من أنجح الدول في المنطقة في تسويق وتفعيل المنتج السياحي الصحراوي، الأمر الذي مكّن السياحة من أن تحتل اليوم مكانه استراتيجيه في الحياة الاقتصادية، والاجتماعية لتونس، ويتمثل ذلك بشكلٍ خاص في توفير فرص العمل، وإحداثِ حركة تجارية شاملة، حيث تحتلّ السياحة المرتبة الثانية في قائمة الصادرات التونسية بعد قطاع النسيج، وتتجاوز إيراداتها ٢٨ في المئة من إجمالي الصادرات التونسية.

ترتبط السياحة والصناعات التقليدية بعلاقة وثيقة جدًا، إلى درجةِ أن هذيْن القطاعيْن يبدوان وكأنّهما قطاع واحد، وبفضل السياحة تمكنت الصناعات التقليدية من استرجاع حيويتها، إذْ هي توفّر حاليًا فرص عمل لأكثر من ٢٦٥ ألف شخص (للسياحة بشكل عام)، أيْ ١١ في المئة من مجموع الأيدي العاملة في البلاد، وتُقدر مبيعات الصناعات التقليدية بحوالى ٢٥٠ مليون دينار تونسي، أي ٣,٤ في المئة من إجمالي الصادرات، ولذلك تنوّع المنتج السياحي التونسي بشكلٍ عامٍّ، فمن سياحة ثقافية، إلى سياحة الاصطياف على الشواطئ، إلى سياحة المؤتمرات، والسياحة العائلية، والسياحة البيئية، وسياحة الغولف، والغوص البحري، وسياحة الرفاه[٧١].

---

(٧٠) انظر: «الدليل السياحي العربي»، على الموقع الإلكترونية لمجلة **عالم الاقتصاد**: <www.ecoworld-mag.com/detail>, and <www.patdg.com/>.

(٧١) تتمثل سياحة الرّفاه بالمعالجة بالمياه التي تسمى «طالاسو»، باستعمال مياه البحر وأعشابه =

ب ـ **أماكن السياحة الصحراوية التونسية**: تكاد تكون تونس البلد الوحيد الذي بإمكانه أن يُقدّم إلى زائره المناظر الصحراوية بعظمتها وهدوئها واتساعها، وذلك من مسافة لا تبعد كثيرًا من الشواطئ الجميلة، ومن الجبال المكسوّة بالأشجار، والمراكز العمرانية النابضة بالحركة، كما نجد في تونس أيضًا القرى الجبلية والواحات وأنواعًا من النباتات والحيوانات البرية التي يحميها القانون، ونجد أيضًا مواقع طبيعية وثقافيّة عتيقة جدًا، وطرقًا زراعية بخاصة في الواحات، وتنظيمًا عجيبًا لتقسيم المياه وإدارتها والاستفادة منها.

هناك فنٌّ معماريٌّ خاصٌّ لقصور الجبال التي تُعتبر حصونًا وقلاعًا مُعلّقة في قِمَم الجبال الصخرية، وهناك الغرف أو مخازن المؤونة المُحصّنة، وهناك المراكز الحضرية مثل: توزر وقبلي والشبيكة بطابعها المعماري الخاص، وكهوفها ومغاراتها المكوّنة على شكل بيوت منحوتة في الأرض، وفي سفوح الجبال.

اتّخذت الحكومة تدابير خاصة عِدّة بهذا النشاط السياحي، منها: تقديم حوافز تشجيعية للاستثمار في المناطق الصحراوية، والقيام بأعمال كبيرة في مجال البنية الأساسية، في إطار تهيئة المناطق السياحية، وفتح مطار دولي في توزر، وبناء فنادق من درجات متعددة، وتعبيد الطرق، وتوصيل المياه والكهرباء، والصرف الصحي، وتجاوزت الفنادق في المناطق الصحراوية دَوْر المحطّات التي تستقبل السيّاح العابرين فقط، لتصبح فنادق ذات مستوى عالٍ، تُقدّم وسائل الراحة كلّها إلى زائريها للإقامة مدة طويلة، تجاوَز عدد السياح المهتمين بالسياحة الصحراوية في عام ٢٠٠٠ حوالى ٨٦٠ ألف سائح.

تتعدّد أماكن السياحة الصحراوية التونسية وتتنوّع، ويُمكن الإشارة إلى أبرزها مثل: مجموعةٌ من الواحات والمدن والأماكن الأثرية المهمة وهي[٧٢]:

= وطينه في درجة حرارة معيّنة، إمّا لغاية وقائية أو علاجية، واستأثر هذا المنتج السياحي الجديد باهتمام الحكومة التونسية، نظرًا إلى خواصه التي تتوافق وتوجهات السياحة التونسية، للمزيد انظر: **عالم الاقتصاد**، على الموقع الإلكتروني: <www.ecoworld-mag.com/detail>.

(٧٢) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ١٥، ص ٢٦٣ من هذا الكتاب، والواحات الصحراوية جوهرة السياحة التونسية على الموقعين الإلكترونيين: <www.pdpinfo.org/atriclear>، <www.travelsama.com/vb/archieve>.

- **قفصه (لؤلؤة الواحات)**: هي أكبر مدن الجنوب الغربي التونسي، تقع في الجزء الأوسط الغربي من تونس، تَجْمَعُ بين تضاريس الصحراء وخضرة الواحات، وروعة التلال، حيث عظمة الطبيعة القاحلة، وقال عنها أحد السيّاح: «قفصه تجمع بين تضاريس أودية الغرب الأمريكي، ومشاهد الصحاري القاحلة، وهي فُرصة عظيمة للمُخرجين السينمائيين والمُصوّرين»[(٧٣)]، وأشهر الأماكن السياحية فيها: المضيلة والمتلوي وأم العرائس وجبل عرباطة ومحمية عرباطة، تزخر واحة قفصه بشتى أنواع الأشجار المثمرة، تحوي حوالى ٣٠٠ ألف نخلة، كما اشتهرت بزرابيها وسجادها الزاهي الألوان، ويجد السائح فيها متعة امتطاء القطار الأحمر العتيق، وهو قطار الملوك الذي يذكرنا بأفلام رُعاة البقر.

- **واحات الشبيكة وتمغره وميداس في الشمال الغربي لتونس**: تبدو هذه الواحات مثل الجواهر المكنونة بين جبال شامخة، فواحة «الشبيكة» قابعةٌ بين الرمال، تشهد على تحوّلاتِ الزمن، بُنيَت من حجارةٍ وتُربةٍ تبدو من بُعْد وكأنّها عَلِقَتْ على حافة الجبل.

أما واحة «تمغرة» فتبدو كأنها كُتلًا من الصخر الصوان، يكتشف زوّارها النخيل الباسق، وشلّالاتها وبساتينها، وبيوتها البسيطة، ووجد علماء الآثار فيها بقايا أدواتِ عصور ما قبل التاريخ، من آلات صيدٍ ودفاعٍ، بينما تصمد واحة «ميداس» بين جبليْن مرتفعيْن عارييْن، على جانب وادٍ حُفِرَ بالصخر، وفيها يجدُ مُحبّي الآثار قِطعًا من الحيوانات البحرية التي يرجع تاريخها إلى ملايين السنين.

- **توزَرْ**: توجد في الجزء الأوسط الجنوبي الغربي من تونس، تتميّز بالعديد من المناظر الطبيعية، وبخاصة الصحراوية، ما جعلها قِبلةً مهمّةً للسياحة الصحراوية، وأهم ما يُميزها معالمها الإسلامية حيث تُعانق قبابها ومآذنها السماء، يَحْلُو لزوّارها التجوال الطويل بين ظلالها الوفيرة، ونخلها، ومياهها الغزيرة، والخُضْرةِ الدّاكنةِ، وجداولها الفضية، وأهم ما يميّزها أنّ مياهها تتدفق في منطقة رأس العين، عند سفح ربْوةٍ تُشكّل

---

(٧٣) انظر الموقع الإلكتروني: <http://ar.wikipedia/wiki>.

ينابيعها واديًا حقيقيًا ما زالت عليه آثار سدودٍ قديمةٍ، كما استطاعت أن تُحافظ على تقاليدها وأصالتها ولغتها العربية القريبة من الفصحى.

تضمّ المدينة أيضًا أطْرف حديقةِ حيوانات في العالم، حيث جُمعت في مكانٍ واحدٍ كلّ نماذج الحيوانات الصحراوية مِنْ الغزال الجميل، إلى العقرب الخطير، كما تمتاز المدينة بوجود ملعب الصولجان الذي يُعدّ انجازًا فريدًا وسمعة دولية في شمال أفريقيا.

- **دوز**: تبعد أكثر من ٤٠٠ كلم جنوب العاصمة التونسية، وهي معقل قبيلة المرازيق التي اشتهرت بشجاعتها وجديّتها، حيث تُعتبر متحفًا صحراويًا بسبب حفاظها على العادات والتقاليد الصحراوية الراسخة في القدم، وتشتهر باحتضانها «مهرجان الصحراء» الذي يُنظّم في شتاءِ كل عام، وأصبح معروفًا عالميًا، حيث يكتشف الزوّار عاداتِ وتقاليد الصحراء، مِنْ: صناعاتٍ وفلكلورٍ وغناءٍ وطقوس ضَرَبَتْ جُذورها في العهود القديمة، وتُعتبر دوز من أبرز الوجهات السياحية في ولاية قبلي، وتُعتبر أيضًا بوابة الصحراء.

- **قبلي**: تقع في الجنوب التونسي، من أقدم المدن والواحات في تونس وشمال أفريقيا، تمتاز بتنوّعها البيولوجي، تعود نشأتها إلى ما قبل التاريخ، يسكنها بعض الفلاحين من البربر الذين دأبوا على فلاحة الأرض، فتحها عقبة بن نافع عبر غدامس في عام ٤٧هـ، وبنى فيها جامعًا يحمل اسمه إلى الآن، وفيها أيضًا تنوّع عرقي من الأفارقة السود والبربر والعرب الذين جاءوا مع الفتح الإسلامي، ومن أهم قرى ولاية قبلي: القليعة وزعفران ونويل والبليدات وبشلي. . . وغيرها.

- **تطاوين**: تقع في أقصى الجنوب التونسي، فيها آثار وبقايا الديناصورات، عدد سكّانها ١٥٠ ألف نسمة، مدينة حديثةُ التّكوين بمساحات شاسعة من الكثبان الرمليّة التي تحوي مائدة مائية ثرية، بالإضافة إلى مواقع سياحيّة مهمة، مثل: الدويرات وغمراس وقصر أولاد ذياب، يُقام فيها كثير من المهرجانات الثقافية، مثل مهرجان القصور الصحراوية، ومن مناطقها الأثرية: محطة تيارات وعين دكوك ومنطقة جرجر، وفيها كهوف صخرية، على جدرانها وسقوفها رسومات جدارية، وفيها العديد من الحصون مثل: حصن تلالت وحصن رمادة، ومن أهم القبائل البربرية التي تسكنها: رفجوبة

ولوانة، ومطغرة، ورتاتة، وهوارة، ويوجد فيها العديد من القلاع مثل: شنتي وقرماسة والدويرات.

ـ **المِدنين**: توجد في أقصى الجنوب الشرقي من تونس، تشتهر بالصناعات التقليدية، تتنوّع تضاريسها الساحلية والسهلية والجبلية والصحراوية.

ج ـ التجربة التونسية في السياحة الصحراوية تجربة رائدة وناضجة: بعد الاطلاع على تجارب معظم الدول العربية، يُمكننا القول إن التجربة التونسية في استثمار الصحراء هي من أنجح التجارب على المستوى العربي، وعلى مستوى منطقة الشرق الأوسط، تتعدّد وتتنوّع أشكال التعامل السياحي مع الصحراء، ويمكن الإشارة إلى أبرزها:

ـ المهرجان الدولي للقصور الصحراوية في تطاوين: سبقت الإشارة إلى هذه القصور التي كانت تُستخدم مخازن تموينيةً بالدرجة الأولى للقبائل والعائلات على الرغم من ضخامتها وجمال بنائها ومتانتها، وبالرجوع إلى الدورة ٢٨ من المهرجان الدولي للقصور الصحراوية الذي يُقام في تطاوين كل عام بين ٢٣ و٢٥ آذار/ مارس، وكانت دورة ٢٠٠٥ تحت عنوان «عيد الصحراء وسحر الجنوب» وجاءت فقراته على النحو التالي[٧٤]:

• حفل الافتتاح: عرض في شوارع مدينة تطاوين، وإعلان عن انطلاق المهرجان بحضور جماهيري ضخم، ومحطات إذاعة وتلفزة وطنية وأجنبية، وتقديم عروض فلكلورية.

• سهرة ألف ليلة وليلة، وذلك في قصر الزّهرة، ومُطارحات شعرية، وأهازيج بدوية.

• الرحلة السياحية إلى قصور تطاوين في جبالها وسهولها، وألعاب شعبية.

• «سهرة الموقف»، وهي أجمل محطات المهرجان، مبارزة الفرسان، ورقص الخيول، ومشاركة فلكلورية من خارج تونس.

---

(٧٤) للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.festivaldesktosours.com>.

● ندوة دولية تهتم بالسياحة الثقافية بحضور نخبة من رجال الإعلام والفكر والثقافة من تونس وخارجها.

● المعارض الفنية الضخمة التي تسرد حكايات الماضي، وتسترجع أحداثًا عاشتها المدينة، ومعرض البداوة والتقاليد الذي يُعرض فيه في خيمة عملاقة الصناعات التقليدية.

● تنشيط المدينة: تقديم عروض ميدانية للأطفال والشباب.

● العرض الختامي: ١٥٠ ألف شخص وأكثر، يتابعون السباقات في الخيل والإبل.

ـ المهرجان الدولي للصحراء بدوز[٧٥]: يُعتبر هذا المهرجان الذي تحتضنه بوابة الصحراء التونسي «دوز» منذ عام ١٩٦٧ من أعرق المهرجانات الثقافية والسياحية في تونس وأنشطها، ومن المهرجانات الدّولية المتخصصة بفنون الصحراء وثقافاتها، يعود تاريخ انطلاقه إلى عام ١٩١٠، حين كان يُسمّى «عيد الجمل»، ويقتصر على ماراثون للمَهاري والألعاب الشعبية، ومن أهم ما يُميزه العروض اليومية المُستوحاة من الحياة الصحراوية، ويقام ذلك في ساحة حنيش التي يحضرها عادةً ١٧٠ ألف متفرج في اليوم الواحد، وكان يُقام بالاشتراك مع «كرسي بن علي لحوار الحضارات والأديان»، ومن خلال مُتابعة الدورة ٣٩ لهذا المهرجان يمكن تلخيص أهم فاعلياته على النحو التالي:

● اليوم الأول: الأحد ٢٤/١٢/٢٠٠٦، جرى فيه تنشيط ساحة ٧ نوفمبر بِفِرَقٍ فنية شعبية وطنية وعالمية، وعُرض فيه فقرات عديدة أهمّها: افتتاح الندوة العلمية لكرسي بن علي حول «الكنوز الصحراوية في التراث المادي والمعنوي»، وعَرْض مسرحي للأطفال بدار المسرح، ومسابقة الشعر الشعبي، وعرض «الفداوي» في ساحة السوق للفنان المسرحي بلقاسم بلحاج علي، والمعرض التجاري الاقتصادي، والمعرض الدولي للصناعات التقليدية، ومعايشة الحياة اليومية للبدو من خلال زيارة «الدوار» بساحة المهرجان،

(٧٥) للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.alhaqqoq.net/irqid>.

وانطلاق عروض المهرجان بساحة حنيش ومشاهدة العرس التقليدي، وسباق المهاري، وعراك الفحول، والمداوري، والصيد بالسّلوقي، وسهرة الموقف وشعر شعبي.

● اليوم الثاني: الاثنين ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٦، تنشيط ساحة المدينة بفرقٍ فنيةٍ، وانطلاق الرحلة الصحراوية إلى منطقة قصر غيلان، انطلاق مسابقة اختيار أجمل مهري، وأجمل فرس، وأجمل كلب صيد في ساحة السوق، والمعارض الثقافية، وعَرْض ألعاب سحرية، ومسابقة الشعر الشعبي، وعروض ومشاهدات لسباقات المهاري والخيول، وعروض للفرق الوطنية والعالمية، وسهرة فنية دولية كبرى.

● اليوم الثالث: ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٦، أجواء احتفالية بساحة السوق التقليدية، والمعارض الثقافية في دار الثقافة، وعرض مسرحي للأطفال، ومسابقة الشعر الشعبي في دار الثقافة، ومعايشة الحياة اليومية للبدو الرحّل، وإشارة انطلاق عروض المشاهدات كما في اليوم الأول، وسهرة فنية دولية كبرى.

● اليوم الرابع: ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٦، زيارة المعارض (المعارض الثقافية، والمعرض الدولي للصناعات التقليدية «القرية التراثية» في المنطقة السياحية)، اختتام المسابقة الشعرية، تكريم الفرق المشاركة، وعرض ختامي في دار الثقافة.

٤ ـ التجربة الجزائرية

تزخر الجزائر بثروات طبيعية تُرشّحها لتكون مقصدًا سياحيًا مستقبليًا، يمتاز بتراثٍ تاريخيٍّ وثقافيٍّ وحضاري مُتفرّد، صقلته القرون عبر تاريخ الإنسانية، إلّا أنّه يبقى غير مُستغلّ، وذلك للأسباب التالية:

ـ العُنْف الذي شهدته الجزائر منذ بداية التسعينيات، والذي دفع بِجهود وإصلاح قطاع السياحة إلى الهاوية، على الرغم من الإمكانات الهائلة التي يمتاز بها المنتج السياحي الصحراوي الجزائري، ففي صيف عام ٢٠٠٣ جرى اختطاف ٣٢ سائحًا أوروبيًا على يد الجماعات المسلحة التي كانت

تنشط في الجنوب الجزائري[٧٦]، ونتيجة هذا العنف تمّ التخلّي عن المسلك الذي يعبر الصحراء الكبرى في الجزائر في رالي باريس، وذلك في منتصف التسعينيات[٧٧].

ـ شهدت الآثار حالات من السّرقة والنهب على أيدي عصابات محليّة وسياح أوروبيين في مناطق بعيدة من رقابة الأمن، ففي أثرِ مهرجان السياحة الصحراوي الأول المُنعقد في مدينة تمنراست (عاصمة الأحجار أو الهقار)، تمّ القبض على خمسةِ سيّاحٍ ألمان في متحف الطاسيلي الوطني، استطاعوا سرقة أكثر من مئة قطعة أثريّة تعود إلى الإنسان الأول[٧٨].

ـ الصيد الجائر الذي كاد يتسبب بانقراض بعض الحيوانات في محمية الطاسيلي الوطنية بالأحجار (الهقار).

مع ذلك في الجزائر تنوّع هائلٌ في عناصر الجذب السياحي الصحراوي مِنْ جبالٍ (ضوضا والهقار وتاجموت واسكريم)، وتكويناتٍ بركانيةٍ، ومحمياتٍ وحظائرَ وطنيّةٍ، وتنوّعٍ بشريٍّ هائل، الأمر الذي أدّى إلى زيادة عدد السياح الذين زاروا الصحراءَ الجزائرية في أثر استتباب الأمن (بعد عام ٢٠٠٤)، حيث أشارت مجلة أرابيز إلى أنّ الجزائر تتطلّع إلى أنْ تصبح قُطبًا سياحيًا بعد أن خَرَجَت من عُزلتها، حيث خَصّصَت المجلة فقراتٍ واسعةٍ لتاريخ الجزائر القديم، منذ العصر الحجري الأخير، وتطرقت فيه إلى «الإرث البشري».

---

(٧٦) في صيف عام ٢٠٠٣ تاه اثنان وثلاثون سائحًا أوروبيًا في متاهات الصحراء، وهم من جنسيات ألمانية وهولندية وسويدية وسويسرية، وتبيّن أنّهم اختطفوا، وجرى تحريرهم على دفعتين، الأولى في أيار/ مايو ٢٠٠٣ في منطقة اليزي، وجرى تحرير سبعة عشر سائحًا، فيما أطلق سراح الخمسة عشر سائحًا في الحدود المالية الجزائرية. للمزيد انظر: أميمة أحمد، «إيلاف في الجنوب الجزائري،» إيلاف، ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٥، على موقع الإلكتروني: <www.elaph.com>.

(٧٧) محمد مقدم، دار الحياة (٢٠٠٥)، على الموقع الإلكتروني: <www.daralhayat.com>.

(٧٨) جرى القبض على هؤلاء السياح الألمان الذين جاءوا بحجة رغبتهم في حضور مهرجان السياحة الصحراوي الأول في تمنراست، وحوكمو وصُودرت المسروقات، ودفعوا غرامة خمسة ملايين دينار جزائري (٦٣ ألف دولار أميركي) مع السجن النافذ لمدة شهرين، وفي المهرجان قال نائب مدير متحف الطاسيلي: «من ينهب هذه الكنوز فهو لا يضر الجزائر وحدها بل يلحق الأذى بتراث أصبح ملكًا للإنسانية جمعاء»، للمزيد انظر: أحمد، المصدر نفسه.

أشارت المجلة أيضًا إلى أنّ هذا الوضع بدأ يتغيّر منذ وضع استراتيجية تنموية تهدف إلى بعث سياحة «كبديل مُولّد لمناصب الشغل والثروات»، كما أشارت المجلة إلى أن الجزائر تنتظر ٣ مليون سائح في عام ٢٠١٣[٧٩]، وبدأت السياحة الصحراوية بالانتعاش، كما يُشير الجدول الرقم (٥)[٨٠].

أ ـ مُقوّمات السياحة الصحراوية الجزائرية: في الجزائر طاقات سياحية صحراوية لا نظير لها على مستوى حوض البحر المتوسط، ومن أهم هذه المُقوّمات:

ـ مُقوّمات البيئة الطبيعية المُتمثلة بالجبال الشاهقة في الصحراء الجزائرية، أبرزها: مرتفعات الأحجار (الهقار)، الرمال والعروق الضخمة المنتشرة في ربوعها، الأودية الجافّة، المسالك والدروب الطبيعية، التكوينات البركانية.

ـ التنوّع البشري المُثير لدى سكان الصحراء (الطوارق)، المتمثل بتنوّع العادات والتقاليد واللباس وأسلوب الحياة، وتعدّد الثقافات، والتنوّع العمراني البيئي في المساكن.

ـ التنوّع البيولوجي الهائل الذي تُظهره محميات الطاسيلي والهقار (الأحجار) ومتحف علوم الصحاري.

ب ـ مناطق السياحة الصحراوية الجزائرية: تتكوّن الجزائر من ٤٨ ولاية، منها ١٤ ولاية صحراوية تحتل ٧٥ في المئة من مساحة البلاد تقريبًا، ومن أهم هذه الولايات[٨١] تمنراست، تندوف، ورقلة، غرداية، أدرار، البيض، بشّار، اليزي، الأغواط، الوادي، بسكره، النعامة، وتحوي هذه الولايات كنوزًا صحراوية تتمثل بالتنوّع الكبير من أشكال السياحة الصحراوية، ويُمكن الإشارة إلى أبرزها على النحو التالي:

---

(٧٩) للمزيد انظر: ملف السياحة في المغرب العربي، في: أرابيز (تموز/ يوليو ٢٠٠٤).

(٨٠) انظر الملحق الرقم ١، الجدول الرقم ٥، ص ٢٤٥ من هذا الكتاب، و«أحلام لسياحة صحراوية عربية منسقة تقف السياسة عائقًا لها،» (المنتدى السياحي العربي بالجزائر، ٢٠٠٦)، على الموقع الإلكتروني: <www.elwaha-dz.com/siaha>.

(٨١) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ١٦، ص ٢٦٤ من هذا الكتاب.

ـ **مناطق الواحات**: تتمثل بعواصم الولايات والمدن والتجمعات السكانية العديدة فيها، ومن أبرزها:

● تمنراست (عاصمة الهقار أو الأحجار أو الأهقار)، تُعتبر قِبلة السياح في موطن الرجل الأزرق (الطوارق) والبوابة الصحراوية لانطلاق الجزائريين إلى الصحراء الكبرى ودول الساحل الأفريقي، تقع المدينة في قلب المرتفعات المُكَوَّنة من جبال صخرية، تحيط بها ما يشبه هضاب علوّها ٢٠٠٠ م، و«الاهقار» عبارة عن سلسلة جبلية يصل ارتفاعها إلى ٣ آلاف متر، تدعى «الأتاكور»، أي «الرأس» باللهجة الطرقية التي يتحدث بها الطوارق (السكان الأصليون في المنطقة)، ويستطيع السائح أن يعبر أحد المسالك التالية في زيارته للأهقار[٨٢].

● مسلك الاكتشاف: واحات شرق تمنراست، تنتشر فيها بيوت صخرية من نوع الغرانيت، يتفرع عن المسلك مسلكان آخران، أحدهما يقود إلى حصن تحوّل إلى أطلال، والثاني يؤدّي إلى قرية فيها أكواخ.

● مسلك المنحوتات الأثرية: عِبر مدينة جانت، وهو أقدم الطرق، يعود إلى ٦ آلاف سنة ق. م.

ـ **تندوف**: تقع في الجنوب الغربي للجزائر، منطقة رعويّة تتكوّن من مقطعين «تين» وتعني المكان، ودوف تعني الطواف (تينطوف)، أي مكان الطواف الذي يزوره الناس لأهمية التجارية والدينية، فيها نباتات الطلح والتمات والعلك بكثرة، من أشهر قبائلها: تجكانت والرقيبات، وفيها حمادة توناسين، وعرق شاي، والعديد من الفرق الشعبية مثل فرقة قرقابو.

ـ **غرداية** (تغردايت): أُسست على يد المَزابِيّين[٨٣] قبل ألف سنة مأوى

---

(٨٢) «صحراء الجزائر، متحف ضخم في الهواء الطلق،» على الموقع الإلكتروني: <www.elwaha-dz.com/siaha>.

(٨٣) المزابيون، أو بنو مزاب: قبيلة أمازيغية تحافظ على تقاليدها ومعتقداتها وشعائرها التعبدية وأسلوب حياتها، يتّبعون المذهب الإباضي الإسلامي القديم، الذي يختلف شيئًا ما عن أغلبية الجزائريين الذين يتبعون المذهب المالكي، ويُعرف المزابيون بلباسهم التقليدي وهو ما يعرف بسروال اللوبية (الفضفاض)، والشاشية (طاقية الرأس)، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <http:// www.wikipedia.org>.

لمجتمعهم بعد سقوط حكم الرُّسْتُميّيْن، تتكوّن من مجموعة قصور (بني نرجس وبنورة والعطف ومليكة العليا وبربان والفرافرة)، وتُعتبر بوابة شمال الصحراء الكبرى، تشتهر بالصناعات التقليدية مثل الأنسجة والنّقش على النحاس والخشب وصناعة الجلود والفخار، تعتبر إحدى أكثر المواقع السياحية شعبية في الصحراء، حيث الكثبان الرملية والواحات والمعمار البيئي المتميز والصناعات التقليدية اليدوية.

ـ **ورقلة** (عاصمة الواحات)(٨٤): مدينة صحراوية، زارها ابن خلدون وقال عنها: «إنها باب الصحراء، سكنتها قبائل زناته قبل الفتح الإسلامي»، اشتهرت بتجارتها مع السودان، ولا سيما تجارة الرقيق، قُطب صناعي مهم، ومدينة نفطية فيها حقول عديدة، يُوجد فيها مناطق سياحية عدة، نذكر منها: القصر القديم وآثار مدينة سدرانة القديمة، بالإضافة إلى المتحف البلدي الذي يزخر بالعديد من الآثار، وتشتهر بالصناعات التقليدية، وفي مُقدّمها الزرابي، بالإضافة إلى المحلّات التي تبيع ورود الرمال التي تُوجد بكثرةٍ في هذه المنطقة.

ـ **بسكرة** (عاصمة الثقافة الصحراوية)(٨٥): تقع جنوب شرق العاصمة، تسمى أحيانًا «السّكّرة»، و«عروس الزّيبان»، تُعدّ الولاية مهدًا للحضارة والعلم والثقافة، ومركزًا للإشعاع الديني والسياحي الجذّاب ومَعْبَرًا سياحيًا مهمًا على سفوح جبال الأوراس وهي تحتضن الصحراء، تَكثُر فيها المزارات التاريخية الإسلامية، مثل: مسجد سيدي عقبة بن نافع الفهري، كما تكثر فيها الينابيع والجداول، تُقام فيها الاحتفالات والمعارض، وفيها «القرية

---

(٨٤) سُمّيت ورقلة بهذا الاسم من السكان الأوائل، وهم بنو الوركلان، أو بنو الورجلان، واشتق اسمها من ذلك. وورود الرمال التي تتواجد في ورقلة عبارة عن حجر يتكون بتجمع حبيبات الرمل مع بعضها بعضًا لتصبح ذات شكل جمالي على شكل الوردة.

(٨٥) يُدلّل أهالي بسكره ولايتهم بوصف «السّكّرة» لتفرّدها في إنتاج تمور «دِقْلة نور»، التي تُعد أكثر تمور العالم حلاوة في المذاق، وهي شبه شفافة يمر من خلالها النور، أما الزيبان فهي جمع لكلمة «الزاب» التي تعني في اللغة أو اللهجة الجنوبية الصحراوية «واحة النخيل»، لذا أطلق عليها اسم «عروس الزيبان» لجمال معالمها الطبيعية ولاحتوائها على كم هائل من النخيل يقترب عدده من الأربع ملايين نخلة، ثلثها مثمر ومنتج لتمر «دقلة نور». للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.4algeria.com/ib/showthread>.

السياحية»، وهي ساحة واسعة يُقام عليها بصورة موقّتة ١٤ خيمة، تُمثل كلّ منها إحدى الولايات الصحراوية، يُعرض فيها خصوصية كلّ ولاية، ويقام فيها سباقات الخيول والجِمال والدراجات النارية.

- **تَيْمِيْمون**[٨٦]: تقع شمال ولاية أدرار، على بُعد ٢٢٠ كلم، لها حدود مع ولاية غرداية وبشّار والبيض، تشتهر بطابعها العمراني والمعماري السوداني، والزخارف المنقوشة على الجدران، وقصورها المتعدّدة والواجهات الخضراء للقصور، وبالسياحة الصحراوية، تُعرف باسم «الواحة الحمراء»، حولها سبخات عدة.

- **تاغيت**[٨٧]: تقع في ولاية بشّار (١٠٠٠ كلم جنوب غرب العاصمة الجزائر)، من أهم معالمها الأثرية: القصر القديم (قصر الفنادسة)، وهي من المُدن الأثرية، فيها العديد من المناطق السياحية، عُقد فيها المهرجان الوطني الثالث للسياحة الصحراوية تحت عنوان «السياحة الصحراوية عاملّ مُحرّك للتنمية بمناطق جنوب البلاد»، ومن أهم فاعلياته المعارض والحِرَف التقليدية وجولات سياحية إلى العرق الصحراوي والواحات وبساتين النخيل والقصور وهضبة «الساورة» ومتحف علوم الصحاري.

ج ـ المحميات والحظائر الوطنية، وهي[٨٨]:

- **محمية الطاسيلي** الوطنية في الجنوب الصحراوي: تُوجد في سلسلة جبال الطاسيلي التي صنّفتها اليونسكو تُراثًا عالميًا في عام ١٩٨٢، كما صنّفتها خَزّانًا للبحوث العلمية حَوْل الإنسان والحيوان، تبلغ مساحتها ١٠ آلاف هكتار، تضمّ آلاف النقوش الصخرية التي تعكس جانبًا من صراع الإنسان من أجل كسب قُوت يومه من خلال مُطاردة الغزال وحيوانات أخرى، يُقام فيها احتفال عيد الربيع[٨٩].

أمّا بالنسبة إلى المحمية فيوجد فيها أنواع كثيرة من الحيوانات، مثل

---

(٨٦) امحمد عقيدي، «الثقافة السياحية بتيميمون،» **الحوار المتمدن**، ٣/٦/٢٠٠٦.

(٨٧) للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.ayem.dz.com/index>.

(٨٨) انظر الموقع الإلكتروني: <www.elwaha.dz.com/siaha.htm>.

(٨٩) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ١٩، ص ٢٧٨ من هذا الكتاب.

الفهد الجزائري والغزال وطير الحباري التي تعرضت للصيد الجائر، كما يُوجد فيها أنواع كثيرة من النباتات.

- **الحظيرة الوطنية بالهقّار**: توجد في مدينة تمنراست، تزخر بالكثير من الشواهد الطبيعية الحيّة التي لا زالت تُعبّر على مدى آلاف السنين عن أسرار الوجود الإنساني والحيواني والنباتي، جرى تصنيفها باعتبارها أكبر المتاحف المفتوحة على الطبيعة في العالم، الممتدة على مساحة ٥٠ ألف كلم[٢]، هي قُطبٌ سياحيٌّ ذو أهمية وطنية ودولية، تحوي صخورها بقايا حيوانية ونباتية، ويُوجد فيها بقايا غابات، ينتشر فيها أكثر من ٣٥٠ نوعًا من النباتات، مصادر المياه المتعددة، والمواقع الجيولوجيّة، والمناجم والأثريّات، وبقايا المقابر، يمارس الطوارق فيها حياة البداوة الرعوية.

- **متحف علوم الصحاري**: يقع في مدينة تاغيت في ولاية بشّار، فريدٌ من نوعه في العالم من حيث: حفظه لأشكال وأصناف متنوّعة من النباتات والحيوانات.

د - **المهرجانات والمنتديات الصحراوية (التجربة الجزائرية بعد عام ٢٠٠٣ للسياحة الصحراوية)**: نشطت السياحة الصحراوية في الجزائر بعد عام ٢٠٠٣، في أثر استِتْباب الأمن النسبي، لذا جرى إقامة كثير من هذه المهرجانات والمنتديات، منها:

- مهرجان السياحة الصحراوي الأول في تمنراست (٢٠٠٥)، والثاني في بسكره (٢٠٠٦)، والمهرجان الوطني الثالث للسياحة الصحراوية في تاغيت (٢٠٠٧).

- المُنتدى السياحي العربي في غرداية (٢٠٠٦)، كان هدفه التوفيق بين السياحة مع احترام خصوصية المناطق، والحفاظ على الطابع الإيكولوجي، وتراث الأماكن السياحية، وقِيَم أهلها مع التركيز على سياحة الصحاري، واختيرت مدينة غرداية مركزًا له، لأنّها أصبحت قبلة للمنظمات المُهتمّة بسياحة الصحاري، لما تتميّز به من تراثٍ وقيمٍ، وباعتبارها بوابةً للصحراء.

- المهرجان السياحي الصحراوي في مدينة تامانغاست في الجنوب الصحراوي.

ـ «أوديسيا الصحراء»، أو «مَلْحَمة الصّحراء»، فيلم وثائقي للدكتور جيريي كينات، تدور أحداثه في الصحراء الجزائرية، وتحديدًا الأكثر جاذبية فيها (في المنطقة المُمتدة من تمنراست إلى الطاسيلي)، مدته ١٥٠ دقيقة، يُصوّر الروائع الطبيعية للصحراء الجزائرية، ومفاتنها الأكثر جاذبية لعُشاق الصحراء، ويُبرز الموروث الحضاري للمنطقة الذي يعود إلى آلاف السنين، ويُسهم في المحافظة على البيئة ليكون وسيلةَ إشهارٍ وترويجٍ سياحيٍّ، بخاصّة في بُلدان أوروبا الشمالية، وفي جلب الاهتمام العالمي إلى ما تُمثله الصحراء الجزائرية في الموروث الحضاري البشري.

كان هدف هذه المَهرجانات والمُنتديات إبراز المُنتج السياحي الصحراوي وتفعيله، مع التركيز على خصوصية الصحراء الجزائرية الطبيعية والبشرية والبيولوجية.

٥ ـ التجربة المغربية

تَزْخر المغرب بمواقعٍ سياحيّةٍ جميلة، تتنوّع بين شواطئ بحرية على المحيط، وجبالٍ شاهقةٍ، وصحراءَ مليئةٍ بالمُغريات لسياحةٍ بيئيّةٍ، إذ أقام المغرب المحميات، وأنشأ الغابات، ووفّر مقوّمات الصيد والغوص.

في المغرب يختلط السّحر بالأجواء الغرائبيّة، بألعاب الحُواة المراكشية، وعبق حضارات المُوحّدين والمُرابطين والأدارسة، حيث يُقحَم المَرْءُ في كلّ بقعةٍ من تلك البلاد الواقعة بين الأطلسي والمتوسط، مازجَةً العربية بالأوروبية والأفريقية، عنوان تلك البلاد التي انصهرت فيها ثقافات مُتعدّدة، وشكّلت لها خصوصيّة مُدهشة ذات أبعاد عربية أندلسية ومغاربية، أمازيغية أو متوسطيّة عالمية، لا يَكْتُبُه التاريخ وَحْدَهُ بَلْ يَكْتُبه حاضِرها[٩٠].

بالنسبة إلى السياحة الصحراوية غَدَت المنافس الأول لكلّ أنواع السياحات التقليدية، فالكثبان الذهبية ومناظر الإبل الهائمة في الصحراء، والنخيل في الواحات كلها مناظر تخلب أذهان السياح القادمين من صقيع الشمال، وعندما يحلّ السائح في الصحراء، يجدُ نفسه مُكبّلًا بتقاليد أهلها

---

(٩٠) الدليل السياحي العربي، على الموقع الإلكتروني: <http://www.patdq.com/8-18.html>.

المتميزة وليالي الصحراء الساهرة، إذ يُقال إن أجمل ما في الصحراء ليلها، وجلسات أهلها الجماعية تحت الخيمة، وشُرب الشاي المُعَدّ على الطريقة الصحراوية[٩١]، لذا أصبحت السياحة أول مرةٍ، أهم مصدرٍ للعملةِ الصعبةِ في المغربِ بعد أن تجاوزت أربعة مليارات دولار في عام ٢٠٠٥[٩٢].

أ ـ أشكال السياحة في المغرب: شهد قطاع السياحة المغربي في خلال الأعوام القليلة الماضية تطورًا ملحوظًا، وأضحى المغرب إحدى المحطات الرئيسة للاستقطاب السياحي العالمي، وإذا كان هذا القطاع قد اعتمد اعتمادًا كلّيًا على السيّاح الأوروبيين، فقد اتجه الاهتمام بشكل لافت نحو سوق السياحة العربية.

تنبع أهمية المغرب المُتزايدة باعتباره وجهةً سياحيةً مُفضّلة عند كثيرين من هواة السفر والترحال، إلى اغتنائه بثروات طبيعية غاية في التنوع، بحيث توفر للراغب في التمتع بها قاعدة عريضة من الخيارات، فإحاطته بالبحر المتوسط من الشمال، والمحيط الأطلسي من الغرب، خلقت منه تنوّعًا طبيعيًا فريدًا، فمن جبال الأطلس الشاهقة، والشريط الساحلي المعتدل المناخ، إلى المناطق الصحراوية في الجنوب الشرقي.

من هنا يُقدّم المغرب إلى زائره سلسلةً من الاختبارات السياحيّة المُتنوّعة التي تُناسب الأذواق كافّة، وهذا ليس غريبًا على بلدٍ يختصرُ القارة الأفريقية بغاباتها وصحاريها وكثبانها وجبالها وأوديتها وبحارها وشلالاتها ونقوشها الصخرية وحقولها الخضراء وسهوبها الجرداء، لذا تنوّعت السياحة في المغرب، ويمكن تلخيص تلك الأنواع كما يلي[٩٣]:

ـ سياحة المُدُن العتيقة بمآثرها التاريخية وصناعاتها التقليدية وثقافاتها الشعبية، مثل مدن: فاس ومكناس ومراكش والحمراء.

---

(٩١) انظر الموقع الإلكتروني: <www.arabiyat.com/forumthread.php>.

(٩٢) برنامج إدارة الحكم في الدول العربية (Programme on Governance in the Arab Region (POGAR))، النشرة الإخبارية، العدد ٥ (كانون ثاني/ يناير ـ آذار/ مارس ٢٠٠٦).

(٩٣) الشميري، منتدى المثقف العربي، على الموقع الإلكتروني: <www.shimery.com>، والشرق الأوسط، على الموقع الإلكتروني: <www.asharqalawsat.com>.

- السياحة الجبلية في جبال الأطلس وتفرّعاتها.

- السياحة الرياضية مثل لعبة الغولف، باعتبارها رياضة كبار رجال المال والأعمال، وسياحات القنْص والصّيد.

- السياحة الشاطئية على ساحلي البحر المتوسط والأطلسي.

- سياحة المؤتمرات مثل مؤتمرات القمة العربية والأفريقية وغيرها.

- السياحة الصحراوية: المنافس الأول لسياحة المدن العتيقة، وتعتبر مدينة وَرْزَازات عاصمة السياحة الصحراوية، إذ أثارت اهتمام كبار المنتجين السينمائيين العالميين، حتى أصبحت «هوليوود أفريقيا»، ومنذ عقود كانت هناك رحلات مُنظمة تنقل زبائنها من فرانكفورت إلى ورْزّازات مباشرة، ثم تعود رأسًا من حيث أتت، وفي خلال هذه الرّحلات يغوص السائح بين قصبات الجنوب وواحات النخيل وكثبان الرمال، يكتشف عالم البدو الرحّل، ويزور حقول بعض الزراعات الخاصة، مثل الحناء والزعفران والورد البلدي.

ب - مناطق السياحة الصحراوية: توجد هذه المناطق في الجزء الجنوبي الشرقي المحاذي للحدود الجزائرية، والجزء الجنوبي (شمال الصحراء الغربية)، وأهم وأبرز المناطق السياحية هي[٩٤]:

- **زكورة** (حاضرة السياحة الصحراوية في المغرب)[٩٥]: اسمها مُشتق من جبل «تازكورت» الذي تحتمي بظله، و«أزكور» باللهجة المحلية تعني «الكنز»، إنّ قوّة الجذب السياحي الذي تتمتّع به المنطقة يجعلها كما يعني اسمها كنزًا لا ينضب، لكنّ الزائر يجد نفسه في مدينة فقيرة تتضخم عشوائيًا وسط الفراغ، ولعل ذلك ما يعكسه فراغها من سوقٍ في مستوى حجمها السكّاني، فيها سوق أسبوعية يقيمونها في يومي الأربعاء والأحد، وفيها صناعة فُخّارٍ فاخِرةٍ جدًا في منطقة تامْكرُوت (٢٠ كلم من زكورة)، رَوْعة الغروب في زكورة يتغنى بها السياح، كما يتغنون بغروب

(٩٤) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ١٧، ص ٢٦٥ من هذا الكتاب.

(٩٥) محمد الراوي، «زكورة حاضرة السياحة الصحراوية في المغرب،» **الشرق الأوسط**، ١٤/ ٧/ ٢٠٠٤، على الموقع الإلكتروني: <www.asharqalawsat.com>.

محاميد الغُزلان، وتمتاز بالفولكلور المُتميز بإيقاعه الراقص ومخطوطاتها النادرة.

العام السياحي في هذه المناطق موسمان، أحدهما من منتصف آذار/ مارس إلى أواخر أيار/ مايو، والثاني من أيلول/ سبتمبر إلى نهاية تشرين الأول/ أكتوبر، يُمارس فيها هواية القنص في البراري، هواة السياحة الصحراوية معظمهم غربيون. وفيها جبل باني، المُمْتد مثل ثعبان من جبل كيسان المقابل لقرية أكدز إلى المحاميد، كما يوجد فيها سهوب سيدي عبد النبي، وتشتهر زكورة «بالشّيْح والرّيْح»، على حد التعبير المغربي.

- **وَرْزَازات** (هوليوود أفريقيا)[٩٦]: هي واحة ومدينة قديمة في قلب الصحراء، حيث الجبال والوديان والخِصْب وشمسٌ تُجاهد السُّحب الداكنات، ومجموعات من البدو حولها، فيها وحَوْلها العديد من الأماكن السياحية الصحراوية، مثل أولاد إدريس وأولاد جلال ووادي درعه ومنطقة الواحة وزكورة وبحر الرّمال الخادع، بالإضافة إلى العديد من الانحدارات والمُنحنيات، وجبل كيسان بلونه الدّاكن، والجبل الذي يحرس قرية أكداز بعمامته الرّمادية، وواحة مزكيطا (واحة هائلة من التمر فيها ٢٧ نوعًا)، وموائد من الصخور الأزليّة، وقرى صغيرة[٩٧].

البيوت في ورزازات هي نموذج في تَدوير الخامات البيئيّة للصناعة والحياة، بيوت بيئية (Landscape Architecture) بكلّ معنى الكلمة، حيث الجدران من الأحجار والطّين، والأسقف من الخشب والسّعف. في هذه المدينة كثير من القرى والواحات: أفْلاندرا ومَزْكيطا وتامْزمُوت وتَنْزُولين وطَزْواطة. . . وغيرها، وفيها الأمازيغ والعرب، خليطٌ يحمل روح التراث العربي الإسلامي، وإذا كانت المغرب تختصر القارة الأفريقية، فإنّ ورْزازات تختصر لغة الصحراء وتاريخ الجنوب المغربي معًا، وفي هذه الصحراء تتجدّد الذكرى مع الثقافة الأمازيغية، وفي ورْزازات اكتشفت عظام ديناصورات، وتنتشر في ربوع الصحراء قبيلة بنو حسّان، وهم فرع من بني معقل الذين كانوا

(٩٦) أشرف أبو اليزيد، على الموقع الإلكتروني: <www.iraqihome.com/7>.

(٩٧) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ٢٠، ص ٢٦٨ من هذا الكتاب.

في مَوْكب بني هلال، وبني سليم القادمون من مصر إلى صحراء أفريقيا.

ـ **الواحات**: حيث تنتشر الواحات في الصحراء المغربية، وبخاصة في «وادي درعه»، أكبر الوديان المغربية، حيث تُعتبر زكورة حاضرة واحاته وأكبرها، ويذكر التاريخ أن هذه المنطقة هي مهد الأسرة السعديّة التي حكمت المغرب في القرن السادس عشر، وامتد نفوذها حتى تمبكتو في مالي، وفي وادي درعه عديد من الواحات مثل: مزكيطا وتنزولين وطرناطة وكتادا ومحاميد الغزلان، فحتّى ثلاثة عقود خَلَت كانت الغزلان ترتوي من مياه درعه في وضح النهار، وكانت حيوانات وطيور البراري أوفر.

ظلّت الواحات المغربية تؤدي دورًا رئيسًا في تاريخ المغرب، إذ تُشكّل ظاهرةً نمت منذ زمنٍ بعيدٍ، لتصبح نموذجًا يُحتذى للموارد الطبيعية على الأمد البعيد، من هُنا أصدرت المغرب خطةً وطنيّةً لإنقاذ وتطوير الواحات بهدف تخفيف الضغط السكاني[٩٨].

ج ـ وَرْزَازات وصناعة السينما وسِباق الحمام الزّاجل (التجربة المغربية الناجحة في السياحة الصحراوية):

ـ جرى افتتاح استوديوهات جديدة في ورزازات لتصبح قُطبًا دوليًا للفنّ السابع، فيها ثلاثة استوديوهات كبيرة، بحسب المعايير الدولية، تعمل طوال السنة[٩٩]، أُقيمت على مساحة ١٦٠ هكتارًا، وتشمل ديكوراتٍ كبيرةً وطبيعةً صحراويةً، ويمكن تصوير ٢٠ فيلمًا طويلًا.

شارك معظم سُكان ورزازات في إنتاج هذه الأفلام، وجميع السكان مشغولون بالتمثيل، حيث يحصل المُمثل الكومبارس على أجر يومي يبلغ ١٧٠ درهمًا (نحو ٢٠ دولارًا)، والعمل في الفيلم الواحد يتطلب المئات، وربما الآلاف من الكومبارس، وشهدت الأفلام التي تم إنتاجها في

---

(٩٨) للإطلاع على تفاصيل الخطة الوطنية لإنقاذ وتطوير الواحات انظر الموقع الإلكتروني: <www.maghrebia.com/cocoon>.

(٩٩) ذكر وزير الاتصال المغربي، محمد نبيل بن عبد الله، في ١٤/ ٤/ ٢٠٠٥، أنّ هذه الاستوديوهات جرى تدشينها من الملك محمد السادس في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٤، وذكرت مجلة ميدوزا أن ورزازات أصبحت قطبًا دوليًا للفن السابع، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.aslim.org>.

وورزازات نجوم العالم، ومن أهم هذه الأفلام[100]: جوهرة النيل (١٩٨٥)، شهرزاد (١٩٨٩)، سليمان وملكة سبأ (١٩٩٤)، موسى (١٩٩٥)، وكوندون (١٩٩٦)، وجنة عدن (١٩٩٧)، وكليوباترا (١٩٩٨)، وجلادباتور (١٩٩٩)، واستريكس واوبليكس وكليوباترا (٢٠٠٠)، والطاحونة الحمراء ـ بطولة نيكول كيدمان (٢٠٠١)، وفيها صوّر فيلم لورانس العرب (٢٠٠١)، وفيلم الرّعب الأميركي «الراوبي لها عيون».

يقول مُنتج سينمائي أميركي (برانكو لوستيغ): «نُواصل الجهود لتوأمة هوليوود مع ورزازات، وهي موقع عالمي مُتميز لتصوير الأفلام السينمائية، وإن إمكاناتها في مجال صناعة السينما واعدة»[101].

ـ يُقام في ورزازات سباق لهواة الحمام الزاجل، ففي ٢١/٣/٢٠٠٤ شارك ١٣ شخصًا بـ ٧٥ حمامة لمسافة ٣٦٧ كلم، بإشراف الجمعية الملكية المغربية لحَمَام السّباق[102].

٦ ـ التجربة الموريتانية

موريتانيا أقصى دولة في الجناح الغربي من الوطن العربي، عُروبتها مُتجذّرة في لسان حالها، بلدُ المليون شاعر وآلاف المخطوطات النفيسة، واحةٌ من الفصاحة والبلاغة، يشتهر أهلها بكرم الضيافة والتراث الأصيل، على شاطئها الأطلسي الغربي تتحدث الرمال عن صفاءٍ وسكينةٍ، وفي أعماق أطلسها كنوز الرزق الوفير، وفي عُمْق صحرائها خيمةٌ تُوقِدُ نارها بلاد شنقيط المشهورة بالشاي الأخضر، وأوراق النعناع.

بين المحيط والصحراء تتنوّع النشاطات السياحية، ومكوّنات السياحة البيئية التي يشد إليها السيّاح الرحال مِنْ مختلف أقطار العالم، حيث رحلات صيد بري، ومُنتجعات وأماكن طبيعية خلابة وآمنة لقضاء العطلة مع العائلة، تتوافر رحلات صيد الحباري والغزلان والأرانب والقطا والكروان

(١٠٠) دولة الكويت، وزارة الإعلام، العربي (آذار/ مارس ٢٠٠٤).

(١٠١) للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.aawsat.com>.

(١٠٢) انظر الموقع الإلكتروني: <http://a.s.c.kfree.fr>.

وطيور وطرائد ومغامرات صيد مثيرة[١٠٣]، وجولات سياحية عائلية مريحة وآمنة في المنتجعات والمحميات الطبيعية. في موريتانيا حدائق ومحميات فريدة من نوعها في العالم مثل: منطقتيْ آرغين، وحديقة جاولينغ على شاطئ الأطلسي الطويل، المميّز بمياهه الزرقاء، ورمالِه البيضاء الناصعة، وصحاريه الشاسعة التي تُرصّعها الواحات العديدة[١٠٤].

ـ التجربة الموريتانية في السياحة الصحراوية

ـ السياحة العائلية: أهم ما يميّز موريتانيا هي السياحة العائلية، حيث المنتجعات الطبيعية العائلية، وحيث الراحة والأمان، ومُتعة احترام خصوصيّة الناس، مثل منتجع نواكشوط حيث تلتقي الصحراء بالبحر، ومنتجع كرمسين قرب نهر السنغال، ومنتجع ترجيت في منطقة أدرار داخل واحات النخيل الجذابة على بعد ٥٠٠ كلم، والشلالات الطبيعية في الجبال، وتسلّق الصخور، ودخول الكهوف، والاستمتاع بالرسوم الحجرية القديمة، ومدينة شنقيط التاريخية إحدى أهم المُدن في التاريخ الإسلامي، وفيها المكتبات التاريخية، ومسجد المدينة التاريخي[١٠٥].

ـ مشروع القطب التنموي للواحات في واحة معدن العرفان (Growth Pole)، جاء هذا المشروع لتنمية واحة معدن العرفان في شنقيط، بعد أن تراجع دور الواحة بسبب الجفاف والجهل والفقر، وتستحق هذه الواحة الاهتمام لجعلها قطبًا تنمويًا في المنطقة[١٠٦].

٧ ـ تجارب أخرى

أ ـ التجربة السودانية

السّودان أكبر الدول العربية مساحةً، وأكثرها تنوّعًا طبيعيًا وعرقيًّا

---

(١٠٣) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ٢١، ص ٢٧٩ من هذا الكتاب.

(١٠٤) الدليل السياحي العربي، على الموقع الإلكتروني: <htttp://www.patdq.com/8-19.html>.

(١٠٥) انظر الموقع الإلكتروني: <http://www.patdq.com/8-19.html>.

(١٠٦) للمزيد عن هذا المشروع انظر الموقع الإلكتروني: <www. maghrebia.com/cocoon.

وبيئيًا، لكن الوضع الأمني أبعده عن الاهتمام بالسياحة الصحراوية التي يمكن أن تنمو وتزدهر في الشمال (صحراء النوبة)، وبين القبائل البدوية المتعددة، ومن الأحداث الجديرة بالتسجيل هنا، هو اختيار عشرة مواقع أثرية، مؤخرًا، في السودان وتسجيلها بوساطة الجهات العالمية المعنية جزءًا من التراث الإنساني، إلى جانب مشاركة هذه الجهات بفاعلية في إنقاذ المواقع الأثرية في مختلف إرجاء السودان.

يُمكن القول إن السودان بمساحته الواسعة ـ كما ذكرنا ـ وموارده الطبيعية الغنية، يُعد مقصدًا مهمًا للاستثمارات في شتى ميادينها، وعلى رأسها الاستثمار في القطاع السياحي، وبخاصة الطبيعي والبيئي نظرًا إلى توافر بيئات طبيعية متنوعة مِن: الغابات والأدغال والأنهار والشواطئ والصحراء، ما يتيح لمُنتَج سياحي متعدّد، مثل الاستجمام ورحلات السفاري والاستشفاء والرياضات الصحراوية المتنوّعة، وأهم ما يميز السودان هو الحياة البرية، حيث يضم كثيرًا من المحميات، مثل: محمية الدَنْدر التي تُعتبر أكبر حظيرة للحيوانات والطيور في قارة أفريقيا، تبلغ مساحتها ٣٥٠٠ ميل مربع، ومحمية الردوم (جنوب دارفور) وهي محمية بكر بمناظر جميلة. ويُعتبر الصيد في السودان من أهم مصادر السياحة، ومع ذلك كانت الظروف الأمنية من أهم وأكبر الأسباب في عدم استثمار الواقع السياحي في السودان.

ب ـ التجربة الصومالية

تقع الصّومال في القرن الأفريقي، وتمتاز بطول سواحلها وهضابها المُرتفعة، حيث ترتفع جبال سورداد ٢٤٠٨م، وفيها الكثير من الأنهار، أهمها نهر جوبا، وإلى الجنوب منه تكثر الغابات، وتُعتبر تلك المناطق مواطن للحيوانات المفترسة، لكن الأمن وبنية الخدمات مفقودتان في الصومال، شأنها شأن كثير من دول العالم الغنية بالإمكانات الطبيعية، لكنها غير مُستثمرة نتيجة العنف والحروب الداخلية وعدم الاستقرار.

الفصل الخامس

السّياحة المُسْتدامة في الصّحاري العربيّة

تقع معظم أراضي الوطن العربي ـ كما ذكرنا سابقًا ـ في نطاق المناطق الجافة، وشبه الجافة، وتشكّل حوالى ١٢ مليون كم^2، أي ٨٩ في المئة من المساحة الإجمالية لهذا الوطن البالغة ١٣ مليون كم^2، منها ٩,٩ مليون كم^2 (٦٩ في المئة) تتلقّى ١٠٠ ملم مطر سنويًا، وتُعَدّ هامشيّة، لذلك تُعتبر البيئات العربية من أكثر مناطق العالم عُرْضَةً لظاهرةِ التّصحّر.

تُشير الدّراسات إلى أنّ درجة التأثّر بظاهرة التصحّر تتفاوت من قطر عربي إلى آخر، فأكثرها في الصومال (٨٣,٧ في المئة)، ولا تقل هذه النسبة عن ١٥ في المئة تقريبًا من مساحة أي بلد عربي، ففي الصومال أودت ظاهرة التصحّر بحياة الآلاف من الأشخاص، ونزوح مئات الآلاف، وأهلكت نصف الثروة الحيوانية خلال الأعوام ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠. كما تأثّر السودان بهذه الظاهرة في الأعوام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥، وترتّب عليه نزوح الملايين، وقُدّرت أضرار الجفاف في عام ١٩٨١ في شمال السودان بحوالى مليار دولار أميركي، وفي موريتانيا، في خلال الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٨٥ زحفت الصحراء على ١٢ مليون هكتار، وانقرضت شجرة الصمغ العربي (Accacia senegal)، وتدهور ٤٣ في المئة من مساحة المناطق الرعوية التي تنتشر فيها هذه الشجرة.

الجدير بالذكر أنّ حوالى ٦٠ ألف هكتار من الأراضي الزراعية العربية تتحول إلى أراضٍ جرداء وصحارٍ وكثبان رملية، فعلى سبيل المثال أشارت بعض المراجع إلى أنّ المساحة التي كانت تُعرَّى من الأشجار والشُجيرات في مراعي السعودية في فترة الستينيات من القرن العشرين بلغت ١٢٠ ألف هكتار، وفي العراق بلغت مساحة الأراضي التي اقتُطعت أشجارها في السبعينيات من القرن العشرين حوالى ٢٠٠ ألف هكتار سنويًا، وفي سورية بلغ عدد الشجيرات التي اقتُلعت حوالى ٤٠ مليون شجرة من نبات النيتول، وكذلك الأمر في دول الخليج، ما أدّى إلى اندثار شجرة السّنط من بادية

الجزيرة الجنوبية، وكذلك القضاء على نبات الغَضا والأُرطة في مساحات شاسعة من السعودية والعراق والأردن، كما اخْتَفت شجرة السّرو في كثير من وديان الأقطار المذكورة[1].

يُعدّ التصحر (Desertification) من أخطر المشاكل التي تُهدد الأمن الغذائي العربي، حيث تشكل الصحاري جزءًا كبيرًا من الوطن العربي، والأراضي الزراعية لا تُغطّي حاجة السكان، والمناطق الصحراوية تكاد تكون خالية من السكان، والنشاط الزراعي محدود فيها، والنشاط الإنساني فيها معدُوم، يقتصر وجوده في المناطق القريبة جدًّا من الواحات، أمّا المناطق الجافة وشبه الجافة فكثافة السكان فيها متوسّطة، والنشاط الرئيس فيها مُتمثل بالرعي، وزراعة المحاصيل البعلية والمروية، وتشتدّ الكثافة السكانية في المناطق الساحلية القريبة التي تتخلّلها بعض السهول، حيث ينتشر نمط الزراعة الكثيف، إلى جانب الرعي في الغابات والأحراش.

يمكن القول إن المناطق الجافة وشبه الجافة (الهوامش الصحراوية)، هي التي تُستغلّ رعويًّا وزراعيًّا، وهي التي تتعرّض للتصحّر وأخطاره، وتُقدّر هذه المناطق بنحو ١٨ في المئة من مساحة الأراضي الزراعية العربية، أي أقل من الخُمْس تقريبًا، وتُشير الدّراسات إلى أنّ هناك نحو ١٠ آلاف هكتار من الأراضي الزراعية في الوطن العربي تتحوّل إلى أراضٍ جرداء أو صحارٍ، ومناطق تسيطر عليها الكثبان الرملية، لتُهدّد بدورها الغطاء النباتي والمزارع والقُرى والسّكك الحديد وشبكات الرّي والصّرف[2]، نظرًا إلى ذلك لا بُدّ من التّعريف بأسباب وحجم ونتائج ظاهرة التصحّر في الوطن العربي، وكيفية التغلب عليها، وبشيءٍ من الإيجاز، وبما يخدم الأهداف العامة للدراسة.

---

(١) تشير الدراسات إلى نفوق ٥٠ في المئة من قطعان الرعي الصومالية في عام ١٩٧٤ - ١٩٧٥، وتدهور مراعي السودان التي كانت معروفة بجودتها وإنتاجيتها، أما موريتانيا ففي خلال الربع الأخير من القرن العشرين (١٩٦٠ ـ ١٩٨٥) زحفت الصحراء إلى مساحات شاسعة منها، للمزيد انظر: مديرية زراعة الحسكه، «التصحّر في أراضي المراعي الطبيعية، أسبابه وآثاره،» الدستور، العدد ١٢٦٨٠ (٢٠٠٢) على الموقع الإلكتروني: <www.addustour.com/extra>.

(٢) انظر الموسوعة الجغرافية المصغرة، على الموقع الإلكتروني: <http://www.mogatel.com/opcnshare/Behoth/GeographyII/>.

أولًا: التصحّر في الوطن العربي

١ ـ المساحات المهددة بالتصحّر في الوطن العربي (واقع مشكلة التصحّر)(٣)

بدأت مشكلة التصحّر بالتفاقم منذ السبعينيّات من القرن الماضي، وتتفاوت المساحات المهددة بالتصحّر ما بين دولة عربية وأخرى، كما يلي:

ـ ٦٥٠ ألف كلم٢ من مساحة السودان، وهي أكبر المساحات المُهددة بالتصحّر في الوطن العربي (٢٦ في المئة من المساحة).

ـ نصف مليون كلم٢ من مساحة الصومال (٨٣,٧ في المئة من المساحة).

ـ ثلث مليون كلم٢ من مساحة ليبيا (٢١ في المئة من المساحة).

ـ نصف مليون كلم٢ تقريبًا من مساحة موريتانيا (٣٥ في المئة من المساحة).

ـ ثُلث مليون كلم٢ من مساحة العراق (٥٤ في المئة من المساحة).

ـ ثُلث مليون كلم٢ من مساحة الجزائر (١٠ في المئة من المساحة).

ـ ٢٠٠ ألف كلم٢ من مساحة المغرب (٢٨ في المئة من المساحة).

ـ ١١٠ آلاف كلم٢ من مساحة سورية (٥٩ في المئة من المساحة).

ـ ٦٠ ألف كلم٢ من مساحة تونس (٣٦ في المئة من المساحة).

ـ ١٦ ألف كلم٢ من مساحة الأردن (١٦ في المئة من المساحة).

---

(٣) للمزيد عن واقع مشكلة التصحّر في الوطن العربي، انظر: عبد الفتاح لطفي عبد الله، **جغرافية الوطن العربي: تحليل الأبعاد الجغرافية لمشكلات الوطن العربي: الأمن المائي، والتصحر، والأمن الغذائي، والتحدي الديموغرافي، وظاهرة التحضر** (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦)، ص ١٦٠ ـ ١٦٣؛ حسن عبد القادر صالح، «التصحّر في الوطن العربي ومكافحته،» **شؤون عربية**، العدد ١٦ (١٩٩٠)؛ سعود شواقفة [وآخرون]، **دراسات في جغرافية الوطن العربي** (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ١٩٩١) ومحمد رضوان الخولي: «خطر الزحف الصحراوي على أرضنا العربية،» **المستقبل العربي**، العدد ٧٦ (حزيران/ يونيو ١٩٨٥) **والتصحر في الوطن العربي: انتهاك الصحراء للأرض عائق في وجه الإنماء العربي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥).

ـ أربعة آلاف كلم^2 من مساحة فلسطين المحتلة (٢١ في المئة من المساحة).

لا يقتصر تهديد التصحّر على الأقطار العربية السّالفة الذكر، بل إنّه يتعدّى ذلك إلى بقية الأقطار العربية، وذلك في المناطق الرّطبة كافّة وشبه الجافة والجافة، وعلى نحوِ ما توضّحه الخريطة الرقم ١٨[٤].

٢ ـ أسباب التصحّر في الوطن العربي

الطّبيعة والإنسان، هما المُحرّكان الرئيسان وراء عملية التصحّر، ويتداخلان ببعضهما بعضًا حتى إنّه يَصْعُب التّفريق بينهما، ومن دراسة العديد من المراجع التي أشارت إلى أسباب التصحّر بشكلٍ عامٍّ، وعن أسبابه في الوطن العربي بشكلٍ خاصٍّ، يمكن عَزْو هذه الأسباب إلى مجموعتين من العوامل[٥]:

أ ـ مجموعة العوامل الطبيعية

(١) **المناخ**: حيث تتميز المناطق الصحراوية العربية بجفافٍ شديدٍ وارتفاعٍ بدرجات الحرارة، وقلةِ كمية الأمطار، وارتفاعِ نسبة التبخر والنتح (Evapotranspiration)، واستمرار هبوب الرياح، ما يؤدّي إلى اتّساع ظاهرة الزحف الصحراوي.

(٢) **تَعْرِيَة وانجراف التربة**: تتمثل فاعلية التصحّر بالتَّعرية الهوائية أو الرِّيحيّة (Wind Erosion)، والتّعرية المائيّة (Water Erosion)، ويكون الانجراف بفعل المياه على أشكال مختلفة: زحف التربة والانجراف السطحي، والانجراف القنواتي، والانجراف الأخدودي، وتؤدي التعرية الريحية دورًا مهمًا في ذلك، وبخاصة حينما تكون الرياح شديدة، حيث تقوم بنقل الرّمال

---

(٤) انظر الملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ١٨، ص ٢٦٦ من هذا الكتاب.

(٥) هناك العديد من الدراسات التي أشارت إلى سياسات التصحّر بأساليب مختلفة، أهمها: شواقفة [وآخرون]، **دراسات في جغرافية الوطن العربي**؛ عبد الله، **جغرافية الوطن العربي**؛ صالح، «التصحّر في الوطن العربي ومكافحته،» ومحمد شخاتره، «التصحّر في الوطن العربي،» **عالم المياه العربي**، العدد ٥٤ (١٩٨٥).

المُتحرّكة والكثبان الرملية المنتشرة في معظم أرجاء الوطن العربي.

(٣) **النبات والحيوان**: تدهور الغطاء النباتي عن طريق التغيّر المناخي، حيث يُقلّل ذلك من عمليتَيْ التبخر والنَتْح، وبالتالي قِلّة هطول الأمطار، وعلى الرغم من تحايُل النباتات الصحراوية على مقاومة الجفاف[٦] إلا أنّها تتعرّض إلى التّدهور، وهذا يؤدي إلى تراجع أعداد الحيوانات التي تعيش عليها.

(٤) **الرمال المتحركة**: من أكثر العوامل الطبيعية ضَرَرًا بالبيئة، وبخاصة حينما تكون الرياح شديدة، وتُمثل الرّمال تهديدًا خطيرًا للأراضي الزراعية وللطرق والمُستقرّات البشرية، ودلّت الدراسات إلى أنّ كمية كبيرة من الغبار تصل سنويًا شرق حوض البحر المتوسط آتية من الأراضي الصحراوية في ليبيا ومصر وسيناء والنّقب.

(٥) **وهناك عوامل طبيعية أخرى تُؤدّي إلى تفاقُمِ مشكلة التصحّر في** الوطن العربي، مثل: عامل زيادة نسبة تركّز الأملاح في التربة النّاتجة من أحد الأسباب: قلة الأمطار، أو ارتفاع درجة الحرارة، وسوء استخدام مياه الري ذات المحتوى المِلْحي المرتفع.

ب ـ مجموعة العوامل البشرية

الإنسان هو من يُهدد الصحراء والحياة الطبيعية فيها، نتيجة عدم وعيه بخطورة ما يقوم به، وسوء استخدامه الموارد التي يتعامل معها، وتتمثل مجموعة العوامل البشرية المؤدية للتصحّر بما يلي:

ـ سوء استغلال وإدارة الأراضي الزراعية، ويظهر ذلك من خلال:

● اتّباع مُمارسات زراعية غير سليمة في الرّي والتسميد والحصاد، فالري الزائد عن حدّه يؤدّي إلى انجراف التربة وارتفاع نسبة الملوحة،

---

(٦) تتحايل النباتات على ظروف الجفاف بخزنها كميات المياه في خلاياها مثل: النباتات العصارية أو تخفف من تعرّقها وطرحها المياه مثل: نباتات الرمث والأرطة، أو تنمو بجذور طويلة وعميقة بحثًا عن الرطوبة مثل نباتات: السنط والسلم والسدر، وهذه النباتات متوازنة مع بيئتها الصحراوية، فإذا فُقِد هذا التوازن ازدادت إمكانات البيئة وتصحّرها.

كما لا بُدّ من اتّباع طرق سليمة في عمليتي التسميد والحصاد.

● اتّباع طرق وأساليب زراعية قديمة في مجال إعداد الأراضي الزراعية، مثل الحراثة العميقة، أو الحراثة الخاطئة بشكلٍ عامٍ، وإهمال بناء الجدران الاستنادية، وعدم الاهتمام بمنشآت صيانة التربة على المنحدرات.

● عدم اتباع أساليب مُثلى في اختيار أنماط المحاصيل والدورة الزراعية.

ـ سُوء استخدام الموارد الطبيعية (وبخاصة المائية): وذلك بسبب التفجّر السكاني (Populational explosion) الذي أدّى إلى حدوثِ ضغطٍ على الموارِد، وبالتالي سوء استخدام هذه الموارد بشكل أمثل (Optimum)، واستنزافها واستفحال أخطار التصحّر.

ـ تدمير الغطاء النباتي وانكماش مساحة الرقعة الغابية في الوطن العربي، ويتمثل ذلك باجتثاث الغابات من خلال التحطيب غير المسؤول، والحرائق بأنواعها كافة.

ـ الزراعة الجائرة: أي أنْ نأخذ من الأرض أكثر ممّا نُعطيها، أو أنْ نُحمّلها أكثر مما تستطيع تَحمُّله، وهذا يؤدي إلى تدهور إنتاجيتها، بفعل استنزاف المواد الغذائية العضوية فيها، وغير العضوية.

ـ الرعي الجائر (المُفرط)، وتدهور المراعي الطبيعية: نتيجة عدم التوازن بين أعداد الحيوانات وأنواعها وكفاءة المراعي وأنواعها أيضًا، وخير شاهدٍ على ذلك هو انتشار ظاهرة التّلال العارية في مناطق الوطن العربي كافة، التي كانت تزخر بغطاءٍ نباتيٍّ حتى فترةٍ قريبةٍ، ما أدّى إلى تسارُع مُعدّلات التّصحّر في مساحات شاسعة من الوطن العربي، إذ على سبيل المثال تقلّصت مساحة المراعي الطبيعية في السّودان من ٦٨,٤ مليون هكتار إلى ٦٥,٨ مليون هكتار، وتُصنّف ٢٠ في المئة من مراعي الوطن العربي أنها مُخَرّبة، و٥٠ في المئة مراعٍ فقيرة، ويبقى ٣٠ في المئة تتوزع ما بين جيدة (٢٠ في المئة) وممتازة (١٠ في المئة).

ـ طُرُق الرّي غير العِلْميّة: ما يؤدّي إلى اتّساع ظاهرة التصحّر الناتجة من الرّي الرّديء، ومع تراكُم هذا النوع من الرّي تنتشر في الأرض العربية

ظواهر التّملُّح، وسوء الصّرْف، وانقراض المحاصيل الحسّاسة للمُلوحة، وبالتالي يجري هَجْر هذه الأراضي والانتقال إلى أخرى... وهكذا.

ـ الزحف العمراني إلى الأراضي الزراعية (زراعة الإسمنت): تُقدّر الأراضي الزراعية الخصبة التي تصحّرت بحوالى مليون هكتار، فمن المعروف أن المدن الرئيسة والقرى العربية أقيمت تاريخيًا حول مصادر المياه، والمناطق ذات الأمطار العالية، والتربات الخصبة، ومع الاتّساع الأفُقي للعِمران نحو هذه الأراضي الخصبة، اتّسعت ظاهرة التصحّر في ظهير المدن، والمستقرّات البشرية[٧] (Hinterland).

٣ ـ نتائج التصحّر في الوطن العربي

تُفيد التّقديرات أنّ ما يُقارب من ٧٠٠ كلم^{2} تتصحّر سنويًا من مساحة أراضي الأردن وسورية ولبنان والعراق، وحوالى ٥٠٠ كلم^{2} تتصحّر سنويًا من مساحة أراضي شبه الجزيرة العربية، ونحو ٥٥٥ كلم^{2} تتصحّر سنويًا من أراضي دول المغرب العربي، وأكثر من هذا في السودان ومصر وموريتانيا، وترتّب على استفحال هذه الظاهرة في أرجاء الوطن العربي كلها كثير من الآثار السلبية نوجزها بما يلي[٨]:

ـ انخفاض إنتاج المواد الغذائية: إذ يُفترض أنْ يكون الأمن الغذائي، وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء، من أوّلِ أهداف الحكومات العربية والمنظمات ومراكز البحوث المُتخصّصة في هذا المجال، إلا أنّ الأمور تسير من سيّئ إلى أسوأ، فزادت الفجوة الغذائية، وكَثُر اعتماد الوطن العربي على المصادر الخارجية.

ـ انخفاض إنتاجية الغابات، بسبب تدهورها وتراجع مساحاتها.

---

(٧) للمزيد عن ظاهرة خطورة الزحف العمراني على الأرض الزراعية، انظر: خليف غرايبة، «الزحف العمراني على الأراضي الزراعية في محافظة إربد (الآثار والنتائج والحلول المُقترحة)،» **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، السنة ٥، العدد ٢ (٢٠٠٨)، ص ٦٧ ـ ٩٦.

(٨) للمزيد انظر: شواقفة [وآخرون]، **دراسات في جغرافية الوطن العربي**؛ عبد الله، **جغرافية الوطن العربي**؛ السودان، المجلس القومي للبحوث، «الزحف الصحراوي في الوطن العربي،» **عالم المياه العربي**، العدد ٣١ (١٩٨٢)، والخولي، **التصحر في الوطن العربي**.

ـ جفاف المصادر المائية وانخفاض المياه الجوفية.

ـ زحف الكثبان الرملية، وطَمْرها منشآت الإنسان المختلفة[٩].

ـ التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية الناتجة من تدنّي المردود الزراعي أو فَشَلِه، وتدهور المراعي، ونُضُوب مصادر المياه، وهذا أدّى إلى الهجرة الموقّتة، أو الدّائمة من المناطق التي أصابها الجفاف، والتي تصحّرت إلى مناطق أخرى، وهذه الهجرة جعلت نسبة عالية من سُكّان الوطن العربي يديرون ظهورهم إلى الصحراء والريف، ويُقْبِلون على المدن، وتَغوّلت هذه المدن التي انتشرت فيها ظاهرة أبنية الصفيح، والتوسّع العشوائي، والمُخيّمات ذات المستوى الخدمي الرديء على النحو الذي نشاهده في كثير من المدن العربية.

ـ تدهور الحياة البرية الطبيعية نتيجة تدهور بيئاتها، ما أفقدها مَواطِنَها البيئية المناسبة.

٤ ـ وسائل مكافحة التصحّر[١٠]

تنبّهت بعض الدول العربية إلى أخطار التصحّر، وقامت باتخاذ إجراءات لمواجهة هذه المشكلة بخطواتٍ عديدةٍ منها: صيانة التربة من التعرية، وتثبيت الكثبان الرملية، والمحافظة على التربة والمياه من التلوث، والمحافظة على المراعي الطبيعية، وغيرها من الإجراءات والوسائل التي تتطلب مبالغ قدرت من برنامج الأمم المتحدة للبيئة، حيث جرى حساب التّكْلُفة الإجمالية للإجراءات اللازمة لمكافحة التصحّر في الوطن العربي، بمبلغ إجمالي يتراوح بين ٧٤ و١٧١ مليار دولار.

قبل التعرّض إلى وسائل مكافحة التصحّر يجب الإشارة إلى أنّ أي إجراءات تُتّخذ لمواجهة مشكلة التصحّر تتطلّب قبلَ كلّ شيءٍ معرفة جُملةٍ من الحقائق عن واقع التصحّر في الوطن العربي، تتمثل بما يلي:

(٩) انظر الملحق الرقم ٣، الصورة الرقم ٢٠، ص ٢٧٨ من هذا الكتاب.

(١٠) انظر الموقع الإلكتروني: <www.alwatan.com/graphics>.

ـ اختلاف مستويات التصحّر من منطقة إلى أخرى داخل الدولة العربية الواحدة، ومن دولة إلى أخرى.

ـ اختلاف قُدُرات الدّول العربية في التّعامل مع ظاهرة التصحّر، من حيث التمويل والتكنولوجيا والخبرات.

ـ تفاوت كُلفة علاج ظاهرة التصحّر من دولة عربية إلى أخرى.

ـ تعتمد فاعلية إجراءات التعامل مع مشكلة التصحّر بحسب جَديّة الدّول في التعامل مع المشكلة، وبحسب مستويات تفعيل تلك الإجراءات.

ـ يختلف وَعْي السكان بين أقطار الوطن العربي لمشكلة التصحّر، وبالتّالي إشراك هؤلاء السكان في صُنع القرار، ومواجهة هذه الظاهرة، هو أمر حيوي، أمّا بالنسبة إلى وسائل مكافحة التصحّر فعديدة، ويمكن تصنيفها وإيجازها بالخطوات التالية:

● إعادة النّظر بصورةٍ جذريةٍ في التوسّع العمراني على حساب الأراضي الزراعية.

● وضع مُخطّطٍ شموليٍّ لاستعمالات الأرض بحسب قُدرتها وطبيعتها، والتقيُّد التّام بتطبيق هذه الاستعمالات.

● إعادة الأراضي الهامشية إلى المراعي، لوقْف زحف الصحراء في تلك الأراضي.

● إعادة تشجير كثير من المناطق العارِية، لما لذلك من فوائد جمالية وطبيعية وسياحية.

● إصلاح أنظمة الرّي والصّرف في الأراضي المرويّة بالطرق السليمة.

● استعمال مستوى عالٍ من التقنية لزيادة الإنتاج الغذائي رأسيًا (vertical).

● الحدّ من تعرية التربة وانجرافها.

● مواجهة زحف الكثبان الرملية.

● التكامُل العربي في استثمار الموارد، وبمواجهة مشكلة التصحر أمر ضروري وضمني.

ثانيًا: توجّهات في تنمية السياحة المُستدامة للصحاري العربيّة

التنمية المستدامة (Sustainable Development) بشكل جوهري هي: التنمية التي تلائم متطلّبات الحاضر، من دون إنقاصِ قدرة الأجيال المستقبلية، لتتوافق مع تلبية متطلّباتهم، وتشمل هذه التنمية فكرتيْن أساسيتيْن تتحقق من خلالهما: تتمثل الفكرة **الأولى** بالحاجة إلى سِعَة البيئة لتلبية احتياجات مُرضية لجميع الناس؛ وتتمثل الفكرة **الثانية** بالحدود القصوى حاضرًا ومستقبلًا، طبقًا لمستويات التكنولوجيا والنظم الاجتماعية، وتندرج هذه الاحتياجات مِنْ احتياجاتٍ أساسيّةٍ، إلى احتياجاتٍ فرعيّةٍ (طبقًا لتقسيم ماسلو للحاجات (Maslow's Model))، والمتوقفة على السن والنوع والوضع الاجتماعي والمهنة.

إن التنمية المستدامة ضرورة حتمية لأقطار الوطن العربي التي تقع في معظمها في قلب النطاق الصحراوي الشمالي من الكرة الأرضية، ولذلك لا بُدّ من التفكير جديًّا في إعمار الصحاري العربية، ويكون هذا من خلال تنمية السياحة المستدامة وتفعيلها (Sustainable Tourism) في هذه الصحاري التي تتمتع بعناصرَ جذبٍ سياحيٍ فريدة من نوعها، تستهوي سكان المناطق الباردة (وبخاصة أوروبا)، وأصحاب الدخول المرتفعة في العالم.

١ ـ مبادئ تنمية السياحة المُستدامة

تَشْمل الاستدامة بالضرورة الاستمرارية، وعليه فإن السياحة المُستدامة تتضّمن: الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية، بما في ذلك مصادر التنوّع الحيوي، وتخفيف آثار السياحة في البيئة والثقافة، وتعظيم الفوائد من حماية البيئة والمجتمعات المحلية، وهي كذلك تُحدّد الهيكل التنظيمي المطلوب للوصول إلى هذه الأهداف.

تُفضل بعض الدراسات أن تُطْلِقَ مصطلح التطوير المستدام للسياحة، بدلًا من مصطلح السياحة المُستدامة، وذلك لسببين:

الأول، لكي تُصبح السياحة مُستدامة يجب أن يتمّ دمْجها مع مجالات التطوير كلّها.

الثاني، بعض أوجه السياحة مثل رحلات الطيران الطويلة لا يُمكنها أن تُصبح مُستدامة لمجرد تطور التكنولوجيا، أو تحسّن الظروف المُرافقة.

بناءً على ذلك، ولتحقيق التنمية السياحية المُستدامة، نُورد هنا بعض المبادئ والأنظمة التي لاقت نجاحًا في المواءمة بين رغبات ونشاطات السياح من جهة، وحماية الموارد البيئية والاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى، وذلك بهدف تطبيقها، وهي[١١]:

ـ وجود مراكز دُخول في المواقع السياحية لتنظيم حركة السياح وتزويدهم بالمعلومات الضرورية.

ـ ضرورة توفير مراكز للزوّار تُقدم معلومات شاملة عن المواقع وإعطاء الإرشادات الضرورية حول كيفية التعامل مع هذه المواقع.

ـ ضرورة وجُود قوانين وأنظمة تضمن السيطرة على الحركة السياحية.

ـ ضرورة وجُود إدارة سليمة للموارد الطبيعية والبشرية في المنطقة.

ـ التوعية والتثقيف البيئي للسكان والعاملين في المواقع السياحية.

ـ تحديد القدرة الاستيعابية للمكان السياحي، والقدرة الاستيعابية تشمل:

● الطاقة الاحتمالية المكانية: أي قُدرة المكان على استيعاب الحدّ الأعلى من السياح.

● الطاقة الاحتمالية البيئية: تعتمد على الحدّ الأعلى من الزوّار الذين يمكن استقبالهم من دون حدوث تأثيرات سلبية في البيئة والحياة الفطرية والسكان.

● الطاقة الاحتمالية النباتية والحيوانية: تعتمد على الحدّ الأعلى من السيّاح الذين يُفترض وجودهم من دون التأثير في الحياة الفِطرية، وهي تعتمد على جيولوجية المنطقة والحياة الفطرية وطبيعة الأنشطة السياحية.

● الطاقة الاحتمالية للسياحة البيئية: أي الحدّ الأعلى من السياح الذين

---

(١١) جامعة الدول العربية وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، **الدليل الإرشادي للسياحة المستدامة في الوطن العربي**، سلسلة (١): دليل مفهوم السياحة المستدامة وتطبيقها ([القاهرة: الجامعة، ٢٠٠٤])، ص ٨ ـ ١١، على موقع الإلكتروني: <www.unep.org.bh>.

يمكن استقبالهم في الموقع، وتوفير المتطلبات والخدمات كافة لهم ومن دون ازدحام.

● دمج السكان المحليّين وتوعيتهم وتثقيفهم بيئيًّا وسياحيًا.

● توفير مشاريع مُدِرّة للدّخلِ للسكان المحليين، مثل الصناعات التقليدية، ومرافقة الدواب لنقل السياح، وتشجيع الزراعة العضوية، والإرشاد السياحي.

● تضافر الجهود كلها لنجاح السياحة البيئية، من خلال تعاون القطاعات كلها ذات العلاقة بالسياحة، مثل القطاع الخاص والحكومي والمؤسسات غير الحكومية والسكان المحليين.

٢ ـ التنمية المستدامة ضرورة حتمية في الوطن العربي

من خلال دِراستنا ومعايشتنا الظروف التي يعيشها الوطن العربي، ومن خلال تَقْويْمنا السّريع والموضوعي لهذه الظروف نستطيع القول: حدثت إنجازات كثيرة في مجال التنمية المُستدامة في المنطقة العربية، شملت النواحي الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، التي برزت آثارها جليّة في حياة الوطن العربي الصحية والتعليمية والاقتصادية، ومن هذه الإنجازات[١٢]:

ـ ارتفاع مستوى دخل الفرد.

ـ تحسين مستوى الخدمات الصحية والحضرية.

ـ انخفاض مستوى الأمية، وزيادة حصة المرأة العربية في التعليم والعمل.

ـ انخفاض نسبي في معدّل النمو السكاني، وارتفاع متوسط عمر الفرد.

ـ إنشاء وتطوير المؤسسات التنموية والبيئية.

ـ سن وتطوير التشريعات.

ـ بناء القدرات، والمساهمة الإيجابية في تنفيذ الاتفاقيات الإقليمية والدولية.

---

(١٢) للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.escwa.org.lb/arabic>.

ـ تنفيذ مشاريع النقل والربط الكهربائي والغاز الطبيعي بين بعض الدول العربية.

ـ تعزيز المجالس الوزاريّة العربية المختصة بالتعاون الإقليمي في مجالات التنمية والاقتصاد والتخطيط والزراعة والبيئة والصحة والإعلام والخدمات.

ـ ترشيد استهلاك الموارد الطبيعية.

على الرغم من أهمية الإنجازات السّابقة، إلّا أنها لا ترقى إلى المستوى المطلوب على المستوى الشعبي العربي، الأمر الذي أدّى إلى استشعار أصحاب العلاقة من الوزراء العرب المسؤولين عن شؤون التنمية والتخطيط والبيئة، إلى الاجتماع في مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠١، بهدف صياغة إعلان عربي عن التنمية المُستدامة، وإعداد خطاب عربي إلى مؤتمر القمة العالمي للتنمية الذي جرى عقده في جوهانسبورغ في جنوب أفريقيا في الفترة بين ٢ و١١/ ٩/ ٢٠٠٢.

تدارس الوزراء العرب في ذلك الاجتماع العديد من الإعلانات ذات العلاقة[١٣]، كما تدارسوا الكثير من التقارير المهمة[١٤]، وناقشوا التحديات

(١٣) من أهم هذه الإعلانات:
- إعلان ستوكهولم لمؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة البشرية، (١٩٧١).
ـ الإعلان العربي حول البيئة والتنمية في تونس، (١٩٨٦).
ـ البيان العربي عن البيئة والتنمية وآفاق المستقبل في القاهرة، (١٩٩١).
ـ إعلان ريو لمؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية، (١٩٩٢).
ـ إعلان بربادوس بشأن التنمية المستدامة للدول الجزرية الصغيرة النامية، (١٩٩٤).
ـ إعلان مالمو بمناسبة منتدى البيئة العالمي للأرض، (٢٠٠٠).
ـ إعلان جدة حول المنظور الإسلامي للبيئة، (٢٠٠١).
ـ إعلان الرباط حول فرص الاستثمار من أجل التنمية المستدامة في الأراضي البعلية، (٢٠٠١).

(١٤) من أهم هذه التقارير:
ـ تقارير توقعات البيئة العالمية Geo Reports (٢٠٠٠).
ـ تقرير مستقبل العمل البيئي في الوطن العربي، (٢٠٠١).
ـ تقرير منتدى الشخصيات العربية المتميزة في مجال التنمية المستدامة، بيروت (٢٠٠١). =

التي يتعرّض لها الوطن العربي[١٥]، وأعلنوا الهيكلية العامة والتفصيلية للإعلان العربي عن التنمية المستدامة، وأهم ما جاء فيها[١٦]:

أولًا ـ إنّ تحقيق التنمية المُستدامة في الوطن العربي يستوجب وضع استراتيجية عربية مشتركة ومتكاملة، لتحسين الأوضاع المعيشية والاقتصادية والاجتماعية، والصحية للمواطن العربي، وصَوْن البيئة في المنطقة العربية، تأخذ بالاعتبار الظروف التاريخية للمنطقة، والتنبؤ بالمتغيّرات المُستقبلية، والتطوّرات العالمية لإنجاز العديد من الأهداف التي تخدم هذا المحور، ومن أهمها:

- تحقيق السلام والأمن على أسس عادلة.
- الحدّ من الفقر والبطالة.
- تحقيق المُواءمة بين معدّلات النمو السكاني والموارد الطبيعية المتاحة.
- القضاء على الأمية، وتطوير مناهج التربية والتعليم وأساليبهما، والبحث العلمي والتقني.

= ـ تقرير المائدة المستديرة الأفريقية بالقاهرة، (٢٠٠١).

ـ تقرير المائدة المستديرة للشركاء المعنيين بالتنمية المستدامة في البحرين، (٢٠٠١).

ـ نتائج وتوصيات المنتديات العربية لكل من المجتمع المدني، (٢٠٠١) والصناعيين، (٢٠٠١) والبرلمانيين العرب، (٢٠٠١).

ـ التقرير العربي حول التنمية المستدامة الذي أعدّته الأمانة المشتركة، (٢٠٠١).

(١٥) مِنْ أبرز هذه التحدّيات:

ـ الفقر الذي يشكل تحديًا أساسيًا في عملية تحقيق التنمية المستدامة.

ـ الزّيادة المطردة في عدد السكان مقارنة بالموارد الطبيعية المتاحة.

ـ ارتفاع نسبة تعداد الشباب وكيفية إيجاد البيئة الصالحة لتنشئتهم.

ـ الهجرة المتزايدة من الريف إلى المدن.

ـ الاستغلال غير الرشيد للموارد الطبيعية.

ـ العولمة وآثارها التي قد تُحد من إمكانية تحقيق التنمية المستدامة في المنطقة العربية.

ـ نقل وتوطين وامتلاك التقنيات الحديثة.

ـ صيانة الإرث الحضاري والديني الذي تنفرد به المنطقة العربية واستثماره لتحقيق التنمية المستدامة.

(١٦) الإعلان العربي عن التنمية المستدامة، على الموقع الإلكتروني: <www.escwa.org-lb/ Arabic>.

- دَعْم المؤسسات التنموية والبيئية وتطويرهما، وتعزيز بناء القدرات البشرية، وإرساء مفهوم المواطنة البيئية.

- الحدّ من تدهور البيئة والموارد الطبيعية العربية.

- تطور القطاعات الإنتاجية العربية وتكاملها.

- دعم دور القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني.

ثانيًا - يتطلّب تحقيق أهداف التنمية المستدامة في الوطن العربي صياغة أولويات العمل العربي المشترك، وتعزيز التعاون والتنسيق العربي مع المنظمات الإقليمية والدولية، ومع دول العالم، وبخاصة الإسلامية، ومجموعة دول الـ٧٧ والصين.

ثالثًا - يتطلّب تحقيق التنمية المستدامة في ظل العولمة وتحرير التجارة الدولية والثورة المعلوماتية، وتعزيز التعاون بين الشعوب على أساس الحوار والتكامل بين الحضارات، إيجاد مزيد من الفُرَص للدول النامية والاتّفاق على آليات جديدة للحُكْميّة السليمة (Good Government)، تستند إلى المبادئ الدولية، واحترام حقوق الشعوب في التنمية المستدامة، على النحوّ الوارد في «إعلان ريو»، الصادر عن مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية.

إذًا، التنمية المستدامة ضرورة وحتمية للوطن العربي، استشعر بها الوزراء العرب، وأقيم العديد من الندوات لتعزيز هذا التوجّه، نشير إلى أهمها، وهي: «الندوة الدولية للنظم البيئية بالمناطق الجافة، والأمن الإنساني ISDEHS 2006» التي أقيمت في الإمارات العربية المتحدة في الفترة بين ٤ و٧/ ١٢/ ٢٠٠٦. وكان الهدف من هذه الندوة خلق حوار قائم عابر للثقافات، وكذلك إعادة مَرْكَزة الجَدل القائم بشأن التصحّر في سياق الأمْن الإنساني، وتعدّت النقاشات في موضوع «الأبعاد الإقليمية، الاستجابات الخاصة بالسياسات والتنمية المستدامة في المنطقة العربية: الفرص والتحديات»، وناقشت الندوة العديد من الأوراق أبرزها[١٧]:

---

(١٧) المركز الدولي للأبحاث التنموية، على الموقع الإلكتروني: <www.Idrc.ca/ar/ev/ 104082-201-I-Do-Topic.html>.

ـ تقييم تداعيات التصحّر في ما يتّصل بالأمن الإنساني.

ـ دور المرأة في تنمية الصحاري ومكافحة التصحّر.

ـ دَمْج البحوث الخاصة بالمناطق الجافة بسياسات التّنمية المستدامة وتنفيذ المشروعات.

ـ الأبعاد المؤسساتية للتصحّر.

ـ علم المياه وندرة المياه: سيناريوهات التغيّر المناخي وعرضه سبل العيش للأخطار.

كما اجتمع وزراء السياحة العرب في عمّان (الأردن) مرة ثانية[١٨] بهدف تنمية الموارد البشرية، ومناقشة العديد من التحديات السياحية، أبرزها: رفع حصة الشرق الأوسط من السياحة العالمية التي لا تتجاوز ٢,٥ في المئة، وناقش وزراء السياحة العرب وخبراء السياحة ومطوّروها المُستثمرون في العالم العربي أهم القضايا التي تواجه التنمية السياحية المستدامة، وتركّزت الأوراق التي جرى مناقشتها في محورين أساسيين:

ـ نموّ السياحة، والحاجة إلى سياسات واستراتيجيات للتنمية المُستدامة في المنطقة العربية.

ـ الشراكة بين القطاعَيْن السياحيَيْن العام والخاص، نحو الوصول إلى التنمية السياحية المستدامة.

ما نُريد تأكيده في هذا المجال هو أنّ المطلوب من صانعي القرار السياحي في الوطن العربي، حكّام وحكومات وقطاع خاص وشركات استثمارية أكثر من غيرهم، التحلّي ببعض الفضائل مثل: الاستقامة والحذر والصبر والمثابرة والرغبة في الاستفسار المُتعمق وتفحّص الخيارات بكلّ دقّة، لمواجهة الأزمات والتحديات التي تعصف بالعالم بشكلٍ عامٍ، والوطن العربي منه بشكلٍ خاص.

من هنا يجب على صانعي القرار ـ كما ذكرنا ـ الذين سيتسلّمون

---

(١٨) الرأي، ٢٠٠٨/٦/١٥، ص ٥.

المسؤولية أن يتحلّوا بالشجاعة للنظر إلى الحقائق مباشرة، والتّعامل مع المواقف التي يواجهونها، فالمستقبل ليس للجُبناء.

من دراسة الفصول السابقة في هذا الكتاب نرى أن التحدّيات الرئيسة التي تُواجه الوطن العربي كثيرة، وبخاصّة على مستوى الأمن (القومي والسياسي والعسكري والغذائي... إلخ)، وهذه التّحديات بدأت تُزلزل أركان أساسات الوطن العربي التي إنْ تعمّقت سيصبح بعدها ـ لا سمح الله ـ هذا الوطن جُثّة (CORPSE) مُنهارَة وميّتة بفعل التخريب الناتج من التغيّر المُناخي وزيادة السكّان ونُضوب الموارد والتلوّث وانقراض الأنواع وهَدْر الطاقة، عندما يواجهنا مثل هدا السيناريو: ما الذي يُمكن أن يُوحي به الرجعي البيئي (Environmental Reactionary) باعتبارها إجراءات يجب تبنّيها على الفور لكل تلك العمليات، واستعادة العافية إلى الوطن العربي.

إن أفضل طريقة لوصف العالم المُفضّل لدى الرّجعي البيئي هو ذلك الذي يُقيّد (Crampps) نمط حياتنا بحرماننا من ستّ حرياتٍ صارت ذات قيمة بالنسبة إلينا (وبخاصة على صعيد التنمية المُستدامة، ومع اتّساع ظاهرة التصحر)، وهذه الحريات بشيء من الإيجاز هي[١٩]:

ـ **الاستهلاك**: إن مخازن الأسواق المركزية مُكدّسة بكلّ نوع من الفاكهة، أو الخُضَر بغض النظر عن موسمها أو منشئها، فنحن نفترض أن أي طعام يمكننا تخيّله سيكون متوافرًا عندما نُريده، وهذا مستحيل، وما نريد أن نقوله هو: إن الحياة المقْتصِدة التي لا تُلحق أي أذى بأي إنسان يجب أن تَحلَّ مَحلَّ النّمط الاستهلاكي.

ـ **الإنجاب**: إنّ المشكلة البيئية الرئيسة في الوطن العربي هي زيادة السكان بنسبة عالية مع محدودية الموارد، وقبل أن نصل إلى «عقد الطفل الواحد» (One-Child Contract)[٢٠]، علينا أن نُفكّر جَدِيًّا في وضع سياسات

(١٩) ليزا هـ. نيوتن، **نحو شركات خضراء مسؤولية مؤسسات الأعمال نحو الطبيعة**، عالم المعرفة؛ ٣٢٩ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ٢٠٠٦)، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٢٠) عقد الطفل الواحد (One-Child contract) وهي اتفاقية توقعها العائلة أو المقاطعة في الصين تنص على ألا يولد أكثر من طفل واحد لتلك العائلة، وكانت الحوافز ضرورية لإقناع العائلات بتوقيع العقد ورافقت خرقه عقوبات مماثلة.

سكانية (Populational Policies) تتناسب مع زيادة الموارد، وتنظيم النسل بما يتناسب مع هذه الموارد.

ـ **الغِنَى**: إنّ نمط الحياة المُترَف في الأقطار العربية ـ من دون استثناء ـ على حساب البيئة الطبيعة يجب أن يختفي، ومع قناعتنا بأن ظاهرة الغِنى باقية إلى يوم الدين، إلّا أن ما نرفضه هو اتّساع الفجوة بشكلٍ لا يُطاق بين الأغنياء والفقراء، وعلى كلّ إنسانٍ أن يعيش مع موارده بحسب المثل الشعبي الذين يقول: «على قَدْ رِجْلَيْك مُد إلحافك».

ـ **سهولة الانتقال**: يستهلك النقل عددًا كبيرًا من المواد ومعظمها غير ضروري، والسيارات الخاصة هي أسوأ المنتهكين للبيئة، ليس الأمر مقتصرًا على استهلاك الوقود، ولا الانبعاثات التي تساهم في تأثير الدّفيْئَة، ولا تعريض حياتنا للاختناقات المرورية التي لا تنتهي، بل أصبحت السيارة في حياتنا من العوامل المُدمّرة للبيئة، وبخاصة البيئة الصحراوية الهشّة، لذلك يجب التوجّه إلى النقل الجماعي (Public Transportion) غير المُكلف ماديًا وبيئيًا (الحافلات والقطارات) على المستوى العربي.

ـ **التلوّث** (Pollution): وهو من أكثر العوامل قسوةً وتدميرًا للبيئة، وفي ظلّ زيادة السكان المُتسارعة فإننا نرفض المزيد من النفايات المُستديمة على أرضنا، لذلك لا بُدّ من وضْع القوانين الصّارمة التي تُقلّل من حَجْم التلوّث ونَوْعه ما أمكن.

ـ **المُلكية**: في المُلكيات الخاصّة للأراضي كُلّما ازداد عدد السكان يزداد تفتّت الملكية، وتنتشر ظاهرة المشاع «شيوع الأرض»، أو ما يسمى «التبوير الاجتماعي» (Social Fallow)، ويزداد الزّحف العمراني إلى الأراضي الزراعية، لذلك يجب المحافظة ما أمكن على مساحات المُلكية الأرضية[٢١].

إنّ التنمية المستدامة، وتنمية السياحة المستدامة هي من الضرورات الحتمية في الوطن العربي، ويجب وضع استراتيجية عربية مُشتركة

(٢١) للاطلاع على أساليب وقف الزحف العمراني على الأراضي الزراعية، انظر: غرايبة، «الزحف العمراني على الأراضي الزراعية».

للوصول بالشعوب العربية وحكوماتها إلى هذه المرحلة الحضارية الراقية.

٣ ـ أمثلة وتجارب على تنمية السياحة المستدامة في الصحاري العربية

أ ـ تجربة تَوْطين البَدو في العربية السعودية (تجربة فريدة في التنمية المكانية)[٢٢]

كانت البداوة هي نمط الحياة السائدة في المملكة في الثُّلث الأول من القرن العشرين، وبعد ذلك جرى اكتشاف النفط، ودخلت المملكة في عهد جديد من التحول الاجتماعي، مؤدّاه: ترسيخ المجتمع المدني الحديث وتطوّره وتوسّعه، وفي الوقت نفسه التوجّه نحو استقرار البدو الذين كانوا يشكلون قوة حربية، وتوجيه هذه القوة نحو التحديث في الاقتصاد والمجتمع السعودي[٢٣].

أدرك الملك عبد العزيز أهمية تنظيم حياة البادية ليوظّف هذه الطاقات والقدرات في بناء دولته الجديدة، فقام بوضع خطة شاملة تتحقّق بها الوحدة الكاملة للقبائل المُتحاربة المُتناحرة، التي لم يجمعها رابط، ففكّر في عمليّةِ توطينهم (Localization) بطريقةٍ لم تَخطر على بال أي حاكم قبله في عصره وفي بيئته، بأنْ يُنظّم هذا الحشد الكبير ويُوحّده على منهج إسلاميٍّ متكاملٍ، ويُوجّهه إلى تحقيق غاية إسلامية مُؤكّدة، ومن هنا يُمكن اعتبار هذه القضية أمرًا لا شبيه له على الرغم من العقبات كلها التي كانت تحيط بهذا المشروع الريادي، وكان توطين البدو في ما يسمّى «بالهِجَر»، وقامت سياسة توطين البادية على الأسس التالية[٢٤]:

---

(٢٢) للمزيد من سياسات التنمية المكانية في السعودية، انظر: خليف غرايبة، «سياسات التنمية المكانية في المملكة العربية السعودية،» **مجلة بحوث كلية الآداب** (جامعة المنوفية)، العدد ٦٩ (نيسان/ أبريل ٢٠٠٧).

(٢٣) محمد عبد الكريم علي حبيب، «نمط حياة شبه الاستقرار في منطقة التيسية، منطقة حائل الإدارية دراسة في الجغرافيا الاقتصادية عن التغير في استغلال الموارد ونظام الترحل في وظيفة الرعي البدوي،» **مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية**، السنة ١٠، العدد ١ (١٩٩٧)، ص ٢٠٠.

(٢٤) سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، **في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية**، ص ٥٣ ـ ٥٦.

● الأساس الاقتصادي: تَمثّل بحفر الآبار وبناء المساكن، وبذلك توافر للبدو مقوّمات الانتماء والمواطنة الصالحة والأمن.

● الأساس الديني: أطلق الملك عبد العزيز على البدو في حياتهم الجديدة (الإخوان)، وهذا يعني إزالة الفوارق، وجَمْعِهم في رابطةٍ واحدةٍ بعد أن كانوا أعداء متخاصمين.

ـ أطلق على التجمعات السكانية الجديدة اسمًا إسلاميًّا: «الهِجَر» جمع هِجْرة، بمعنى هَجْر حياة التنقّل والتوجّه نحو الاستقرار.

ـ إيفاد دُعاة إلى القبائل في تجمّعاتهم الجديدة لتعليمها مبادئ الإسلام الأساسية.

كانت أول الهجر التاريخية الشهيرة: «هجرة الإرطاوية» التي بُنيت في عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م)، ثم تلاها العديد من الهجر بلغ عددها ١١٢ هجرة في عام ١٩٢٢م، و١٢٢ هجرة في عام ١٩٢٨[٢٥]، و٢٠٠ هجرة في عام ١٩٣٠[٢٦]، واستمرت الدولة في إقامة الهجر الجديدة على أساس اشتغال البدو بالزراعة، وربْطهم بالأرض، فقامت باستصلاح ٣٠ ألف هكتار في منطقة واحة يبرين، و٥ آلاف هكتار في منطقة حرض.

كانت الدولة تَحفُر الآبار، وتبني المساجد، وتُعيّن الوعاظ والأئمة، وتُقدّم المساعدات العينية حتى يرتبط الأفراد بالأرض ويقطعون صلتهم بالإبل التي تربطهم بالبادية[٢٧]، فظهرت الأُلفَة بين القبائل بِحُكْم الجِوار والاستقرار والتقارُب، وأخذت تتزاوج من بعضها بعضًا، وشجّعهم الملك عبد العزيز على ذلك، وضرب لهم المثل بنفسه، حيث تزوّج من عددٍ من القبائل، فازدادت الروابط والصلات والمؤاخاة بدلًا من الغزو، والسلب،

---

(٢٥) محمود محمد سيف، جغرافية المملكة العربية السعودية (الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨)، ص ١٥٥.

(٢٦) محمد عبد الحميد مشخص، الجغرافيا البشرية المعاصرة للمملكة العربية السعودية (جدة: مكتبة دار جدة، ١٩٩٨)، ص ٧٧.

(٢٧) عبد الرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ط ٦ (الرياض: دار المريخ للنشر، ٢٠٠٢)، ص ١٦٧.

والنهب الذي كان سائدًا من قبل[٢٨]، وبدأت ملامح المجتمع الحديث بالظهور.

بدأ تَوَطّن البدو التلقائي في المنطقة الشرقية مُبكرًا، وذلك في عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، بسبب جذبِ فاعليات الإنتاج النفطي لأعداد كبيرة منهم، أمّا منطقة الحدود الشمالية فتُعتبر أحدث مناطق المملكة عهدًا في البداوة، على الرغم من أن عمليات توطين البدو فيها ابتدأت منذ منتصف القرن العشرين، وذلك في أثر مد خط التابلاين، وبناء الطريق المعبدة الموازية لهذا الخط، فاستقرّ أعداد من البدو الرحّل حول آبار المياه التي حفرتها شركة التابلاين عند مراكز الضخ والمراقبة والتشغيل، على امتداد خط أنابيب التابلاين.

تحولّت هذه المراكز بالتدريج إلى مدن عامرة على طريق هذا الخط، كان أبرزها مدينة عرعر، المركز الإداري لمنطقة الحدود الشمالية، حيث أقيمت نواتها الأولى حول «محطة ضخ بدنه»، وتسارعت في نموّها إلى أن أصبحت أكثر من ٢٢٠ ألف نسمه حاليًا، ومن أهم المدن كذلك مدينة رفحاء، ومدينة طريف والعويقيلة. . . وغيرها، فتحوّلت منطقة الحدود الشمالية إلى منظومة من المدن الجديدة التي شكّلت محاور تنمية في ظروف بيئية صحراوية قاسية، وعلى امتداد يزيد على ١٠٠٠ كلم، وظهرت الهِجر التي شكّلت بدورها مراكز نمو، ونقاط نمو، بحسب حجم الهجرة وأهميّتها.

ولم تتوقّف عملية التوطين، بل استمرّت حتى يومنا هذا، وشهدت منطقة الحدود الشمالية حملة واسعة من التوطين لجميع القبائل كبيرها وصغيرها، ومن أهم هذه القبائل عنزة وشمّر، أكبر القبائل البدوية في الشمال، حيث زاد عدد الهجر في هذه المنطقة على ٦٠ هجرة[٢٩]، لاحِظ

(٢٨) أحمد بن حسن الحسني، «التنمية والتقارب والاندماج في مجتمع المملكة، قديمًا وحديثًا،» مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، السنة ١٣، العدد ٢١ (كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٠)، ص ٧١٤.

(٢٩) انظر الملحق الرقم ١، الجدول الرقم ٦، والملحق الرقم ٢، الخريطة الرقم ١٩، ص ٢٤٥ و٢٦٧ على التوالي من هذا الكتاب.

من الخريطة ارتباط التوزيع المكاني للهجر على جانبي خط التابلاين (التي جرت زيارتها ميدانيًا من قبل الباحث).

يُلاحظ أن مشروع التوطين الذي بدأه الملك عبد العزيز، واستمر في بنائه وتنفيذه من بعده أبناؤه يُعتبر نموذجًا رائدًا في تنميةِ المكان، فكيف إذا كان المكان يخلو من المُعطيات الطبيعية مثل منطقة الحدود الشمالية (الصحراوية)، واستطاع الملك عبد العزيز أن يُوجِد تنمية مكانية باستثمار الموارد الطبيعية الكامنة، وجَلْب موارد أخرى، وإرساء دعائم المجتمع الحديث في مجتمع البادية، من خلال الأمن والصحة والتعليم والخدمات العامة، وأوْجز الفرّا نتائج التوطين بما يلي[30]:

- إن عملية التوطين ساعدت في إرساء الترابط الداخلي للمملكة.
- تحوّل الولاء من القبيلة إلى الدولة.
- كان للعقيدة الدينية أكبر الأثر في عملية الترابط الاجتماعي.
- ساعدت عملية التوطين بطريقة أفضل في عملية الإسراع بتطوّرِ وتحديثِ الدولة السعودية.

نتيجة استمرار سياسة التوطين انخفضت نسبة البداوة بين سكان المملكة، وتُشير الأرقام الإحصائية إلى أنّ نسبة سُكان البادية انخفض من ٦٨ في المئة عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) إلى حوالى ٢٧ في المئة عام ١٣٩٤هـ (١٩٤٧م)، وعلى كلّ حال إذا كان لحركة إنشاء الهجر العديد من الآثار الآنية والمباشرة سواء أكانت عسكرية، أم اقتصادية، أم اجتماعية، أم حضارية، التي عالجتها دراسات كثيرة قيّمة، إلّا أن تلك الآثار مُجتمعة صاغت في فترات لاحقة وبصورة غير مباشرة الجُذور الأولى للنظام الحضري السعودي المعاصر.

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن عملية التوطين شملت أرجاء الدولة

---

(٣٠) لمعرفة المزيد عن هذه الدراسة انظر: طه بن عثمان الفرا، «تأثير توطين البادية على الترابط الداخلي للدولة الناهضة - المملكة العربية السعودية،» مجلة كلية الآداب (جامعة الملك سعود)، العدد ١٤ (١٩٨٧)، ص ٨٠٧ ـ ٨٠٨.

كلها (شرقية وشمالية وجنوبية وشمالية غربية) في المناطق كلها التي كانت تجوبها قبائل معروفه في التاريخ، وأصبح لأبنائها دورٌ مهمٌّ في حركة الإنماء والتنمية في المملكة(٣١).

إذا عُلِم أن عدد المستوطنات الحضرية عند إعلان توحيد المملكة في عام ١٩٣٢ لم يتجاوز ١٠ مستوطنات، تتّضح النقلة النوعية التي أحدثتها عملية إنشاء «الهِجْرة» التي شكّلت بحق تجربة فريدة في تنمية المكان والإنسان، ثم ازداد عدد «الهِجَر» في فترة لاحقة بما يُسمى بالهجرة التلقائية، فجاوز عددها في عام ١٩٨٠ عشرة آلاف هجرة وقرية(٣٢).

ب ـ تجربة تنمية الوادي الجديد في مصر

تقع محافظة الوادي الجديد في الصحراء الغربية، وتشمل واحات الخارجة وباريس والداخلة والفرافرة. وقامت الحكومة المصرية بتنمية الوادي الجديد، وشكّلت المياه محور عملية التنمية في الوادي، وأهم ما يُميز المشاريع التنموية في محافظة الوادي الجديد أنّها: مشاريع بيئية، تقوم على الاستغلال الأفضل لموارد الوادي، ويمكن إبراز هذه المشاريع كما يلي(٣٣):

ـ إعادة تدوير المخلّفات الزراعية: تُعتبر المخلفات النّاتجة من تقليم أشجار النخيل (نحو ١,٣ مليون نخلة) في محافظة الوادي الجديد من أهم المخلفات التي تمثل السبب الرئيس للتلوّث البيئي على أرض الوادي الجديد، حيث بلغت كمية مخلفات النخيل حوالى ٧٣١٤٣ طنًا سنويًا.

قامت المحافظة بالتعاون مع جهاز الخدمة الوطنية، بإنشاء مصنع تدوير المُخلّفات الصّلبة لإنتاج الكمومبست بالمنطقة الصناعية في واحة

---

(٣١) انظر الملحق الرقم ١، الجدول الرقم ٧، ص ٢٤٦ من هذا الكتاب.

(٣٢) أحمد جار الله الجار الله، **خادم الحرمين الشريفين مرسي النظام الحضري السعودي**، سلسلة الاحتفال بمرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم؛ ٢٠ (الأحساء: جامعة الملك فيصل، ٢٠٠٢)، ص ٣٣.

(٣٣) للمزيد عن هذه المشاريع انظر: «وصف البيئة بمحافظة الوادي الجديد،» **البيئة والتنمية**، على الموقع الإلكتروني: <www.khayma.com/wadyenviro/proj 2027.html>.

الخارجة، وتبلغ طاقته التصميميّة ١٠ طن/ساعة، ولتدوير المخلفات أهمية اقتصادية، واجتماعية، تتمثل في توفير الأسمدة، والحدّ من استخدام الأسمدة الكيماوية، وزيادة العائد الاقتصادي، ومقاومة التصحّر.

ـ مشروعات مواجهة مخاطر زحف الكثبان الرملية: تقوم المحافظة بالتعاون مع أكاديمية البحث العلمي، بإيجاد الحلول العلمية والعملية لوقف زحف الكثبان الرملية على المنشآت السكنية والمزارع، بِطُرُقٍ أهمها: التشجير، حيث جرى زراعة ١٠٠ فدان من الكثبان الرملية، لحماية ٢٠٠ مسكن، و٥٠٠ فدان زراعي كانت مهددة بالاندثار في «قرية الجديدة» في واحة الداخلة.

ـ إنشاء المشروعات البيئية المؤثرة في الجذب السياحي أهمها:

● المحميات الطبيعية في منطقة الصحراء البيضاء (شمال واحة الفرافرة)، بمساحة ٣٠١٠ كلم٢، تضمّ غطاءً نباتيًا ومجموعة من الأحياء البرية المهددة بالانقراض مثل: الغزال الأبيض والكبش الأوروبي وغيرها، كما أنشئت محمية طبيعية لأشجار الدوم بمنطقة «جناح» في واحة الخارجة.

● مشروعات التّشجير والمُسطحات الخضراء في المدن ومداخل القرى بالجهود الذاتية.

ـ عقد المؤتمرات البيئية التي أقيمت لزيادة الجذب السياحي، ومن هذه المؤتمرات: «مؤتمر تنمية السياحة الصحراوية في العالم العربي»، في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٣، بهدف تشجيع السياحة الصحراوية بين الشباب العربي، والحفاظ على الثروات الطبيعية، ووضع خريطة سياحية للسياحة الصحراوية.

كما جرى عقد مؤتمر «دور الفتاة العربية في الحفاظ على التراث والبيئة»، في آذار/مارس ٢٠٠٤، ومؤتمر «دور الشباب العربي في تنمية الصحاري» للفترة بين ٢٣ و٢٥/٤/٢٠٠٦، بهدف مكافحة التصحّر والتنمية العمرانية وتنمية السياحة البيئية الصحراوية.

ـ مشروع الرّصْد البيئي للوادي الجديد: قام مركز الرصد البيئي في شهر شباط/فبراير ٢٠٠٤ بإجراء دراسةٍ لتقويم:

● نوعية المياه: حيث وجد المركز أن المياه الجوفية في الوادي الجديد تتّصف بالنقاء، وعدم وجود مواد عالقة، وتوجد في أعماق متوسطة إلى عميقة، وخالية من الملوّثات البيولوجية، وتتمثل المشكلة الرئيسة في هذه المياه بوجود شوائب الحديد والمنغنيز، لكنّ آثارها محدودة.

● نوعية التربة: تتّصف تُربة الواحات الخارجة والداخلة، بأنها رسوبية تنتمي إلى حقبة البلايستوسين والحديث، لكنّها تتميّز بأنّها أراضٍ مِلْحيّة، وتفاعل التربة قلوي، وتختلط رواسبها في العديد من الأماكن بالرمال السافية.

● نوعية الهواء: تتميّز محافظة الوادي الجديد بهواء نقي يَخلُو من أي ملوّثات نتيجة عدم وجود صناعات كبرى ينتج منها انبعاث ملوّثات البيئة.

- مشروع صناعة الأرابيسك من جريد النخيل، بالتعاون مع وكالة التعاون الفني الألماني، ومركز تنمية الصناعات الصغيرة بجامعة عين شمس، وجمعية تنمية المجتمع بقرية الجديدة في مركز الداخلة، ويهدف هذا المشروع إلى الاستفادة من جريد النخيل باعتباره خامةً لتصنيع الأرابيسك، وزيادة الاهتمام بالنخيل، والتوسّع في زراعته، وتوفير فرص عمل للشباب في مجالات إنتاجية مفيدة، وزيادة دخل الأسرة، وتسويق المنتج محليًا وخارجيًا نظرًا إلى جودته العالية.

ج - مشروع النهر الصناعي العظيم في ليبيا

سبقت الإشارة إليه، ويمكن القول إن هذا المشروع بعد اكتماله سيُمثّل نهضةً تنمويةً شاملةً ومُستدامةً في الصحراء الليبية، وبخاصة في منطقتي الكفرة وفزّان، وسيُمثل مشروعًا حضاريًا رائدًا في الإعمار الصحراوي.

د - تنمية الصحراء التونسية (تجربة رائدة في تنمية الصحراء)(٣٤)

ساهمت الإنجازات التنموية الهائلة التي عرفتها ولايات الجنوب

(٣٤) «تنمية الصحراء التونسية،» أخبار تونس، على الموقع الإلكتروني: <www.akhbar.tn/biaa/sahara.html>.

التونسي بتحسين الظروف المعيشية لسكان المدن والقرى في هذه الولايات، واهتمت الدولة في ملف تطوير السياحة الصحراوية، وأكّدت استغلال الإمكانات والموارد المتوافرة بالصحراء في مجالات: المياه الجوفية العميقة والطاقات البديلة والسياحة والفلاحة والبنية الأساسية، وعلى تكثيف المراعي والواحات، بما يدفع الحركة التنموية في هذه المناطق، ويُوفّر المزيد من مواطن الرزق بها.

احتلّت تنمية المناطق الصحراوية التونسية مكانةً بارزةً في توجّهات الدّولة وخياراتها الهادفة إلى تأمين تنميةٍ جهويةٍ عادلةٍ ومتوازنة، تجسيمًا لمبدأ تساوي الحُظوظ والفَرْق بين الجميع، وإيْمانًا بأنّ التنمية الوطنية لا يُمكن أن تكون عادلة وناجعة إلّا متى كانت شاملة الجهات كلها، والولايات الجنوبية التي شهدت اهتمامًا بارزًا هي ولايات توزر وقبلي ومدنين وتطاوين، وتمثلت التجربة التونسية في تنمية سكان الصحراء من خلال:

- تنظيم الملتقيات والندوات التي تُعنى بتنمية الصحراء، مثل:

  - المُلتقيات التي يُنظمها كُرسي حوار الحضارات والأديان.
  - «المهرجان الدولي للصحراء بدوز» الذي يُقام سنويًا.

- «مؤتمر تونس لاحتواء التصحّر» الذي نظمته اليونسكو في تموز/ يوليو ٢٠٠٦، وضم المؤتمر حوالى ٤٠٠ خبير وعالم وصاحب قرار، من مختلف أنحاء العالم، وجرى عرض الأبحاث التي تُساهم في تعزيز التنمية المستدامة في المناطق القاحلة، ومكافحة التصحّر.

- تأسيس معهد المناطق القاحلة في مدنين[٣٥] منذ عام ١٩٧٦، بهدف

---

(٣٥) يشمل المعهد خمسة مختبرات بحث هي:

- مختبر علوم الصحراء ومقاومة التصحّر بالمناطق الجافة والصحراوية: يتولّى رصد ومتابعة رصد ومتابعة ظاهرة التصحّر ومقاومة الانجراف الهوائي والحد من زحف الرمال واستغلال الموارد المائية غير التقليدية.

- مختبر زراعة المناطق الجافة والواحات: ويهتم بالمحافظة على المصادر الوراثية للنباتات والتحكم بالآفات الزراعية والزراعات الجيو حرارية. =

توظيف الصحراء وفقًا لاستراتيجية علمية مدروسة، تُراعي خصوصيات الصحراء وتوازناتها البيئية، حفاظًا على مواردها الطبيعية، واعتمادًا على الشراكة بين الدولة وأبناء الصحراء، حتى يكونوا طرفًا في النهوض بأوضاعهم الاجتماعية، والاقتصادية، وتكون هذه التنمية منسجمة مع خصوصيات واقعهم وإمكاناتهم.

يهتم المعهد بدراسات مقاومة التصحّر، وفلاحة المناطق القاحلة، وإجراء البحوث التنموية التي تتمحور حول علوم الصحراء، ومقاومة التصحّر، والبيئة، والمراعي في المناطق الجافة، والاقتصاد والمجتمعات الريفية في المناطق الجافة والصحراوية.

شرع المعهد منذ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١ في تدريس طلبة الماجستير: مقاومة التصحّر والتطرف في الموارد بالمناطق الجافة، بالتعاون مع المعهد الوطني الفلاحي بتونس، وبالتعاون مع جامعة الأمم المتحدة في طوكيو، ومعهد الصحراء في الصين، ومن أهم النتائج العلمية التي حقّقها المعهد:

- استغلال مادة «المرجين» لتحسين خاصيات التربة.
- الحدّ من زحف الرمال.
- ترشيد استغلال النباتات الطبية والعطرية، لإنتاج الزيوت الأساسية والمواد الطبية.
- تحسين إنتاجية النوق «إناث الإبل» من الحليب.
- إيجاد طرق ملائمة لتنمية مُخلّفات النخيل في التغذية الحيوانية، وإمكانية خزنها، ويتميز المعهد بانفتاحه على ولايات الجنوب، من خلال

= - مختبر البيئة والمراعي: ويعنى بالمحافظة على النباتات التلقائية ومتابعة حركية الكساء النباتي وتقويم تنوعه البيولوجي.

- مختبر تربية الماشية والحياة البرية: ويهتم بالتحسين الوراثي للماعز المحلي وإعادة الاعتبار لقطيع الإبل والمحافظة على طائر الحباري وإعادة إعماره.

- مختبر الاقتصاد والمجتمعات الريفية في المناطق الجافة والصحراوية: ويعنى بدراسة الموروث والاجتماعي والتقني والثقافي والبيئي بالمناطق الجافة.

فتح فروع له في بن قردان وتطاوين وقبلي وقابس، وقام المعهد بعقد الاتفاقيات العديدة مع المعاهد المشابهة في مختلف دول العالم.

ـ مشروع تنمية «رجيم معتوق» في جنوب غرب شط الجريد: استهدف تهيئة ٢١٦٠ هكتارًا بغراسة ٢٥٠ ألف نخلة نموذجًا تنمويًا متكاملًا، وتجربةً جيدةً لإحياء الصحراء، وجرى تكليف الجيش الوطني بإنجاز هذا المشروع، في إطار معاضدة المجهود الوطني الرامي إلى تحقيق التنمية الشاملة والمستديمة، بخاصة في المناطق الصحراوية، وجرى استحداث ديوان تنمية رجيم معتوق في عام ١٩٨٨ لمتابعة هذا المشروع وإنجازه.

أصبحت منطقة رجيم معتوق قُطْبًا تنمويًّا فلاحيًّا (Growth Pole) بالجهة، بإنتاج ٢٠ ألف طن سنويًا من التّمور الرفيعة، أي ثلث المنتج الوطني من التّمور، وقطع المشروع في جانبه البيئي أشواطًا مهمّةً في مجال مقاومة التصحّر، عِبْر إحداثِ واحاتِ نخيلٍ مُحاطةٍ بالأشجار الغابيّة بما يُمكّن من إيجادِ مناخ واحِدٍ يحدّ من قسوة المناخ الصحراوي الجاف، وتعتبر انجازات المشروع كُكل حاجزًا طبيعيًا، يُحدّ من زحف الرمال نحو المناطق الشمالية للمنطقة.

ـ إنجاز القُطب السياحي في منطقة تطاوين على مساحة تقدر بـ ٢٩ هكتارًا، وبطاقة إيواء تُقدّر بـ١٥٥٠ سريرًا، ووحدات ترفيهية بهدف تحقيق التنمية المُستدامة في المناطق الصحراوية المخدومة بشبكةٍ من الطرق والخدمات السياحية التي تُبْرِز دور المنطقة سياحيًا.

ـ إنجاز طُرق حزامية حول المدن الكبرى في ولايات الجنوب، وتهذيب المسالك السياحية الصحراوية، لتثمين المواقع والمعالم الأثرية والبيئية، وتنويعِ المنتج السياحي.

ـ في مجال الاستثمار السياحي، أُدْرِجت مجلة تشجيع الاستثمارات ولايات قفصه وتوزر وقبلي ضمن مناطق تشجيع التنمية الجهوية، وهو ما ينتج للاستثمارات المُنجزة في أنشطة الإيواء والتنشيط السياحي في هذه المناطق حوافز خاصة تتمثل بمنحة استثمارًا يُقدّر بـ ٢٥ في المئة من كلفة المشروع، من دون اعتبار قيمة الأرض بالنسبة إلى المشاريع المُنجزة في

مناطق الحوض المنجمي، و٨ في المئة بالنسبة إلى باقي المناطق، كما سيجري إعفاء المداخيل أو الأرباح المتأتية من الاستثمارات من الضريبة على الدخل، أو على الأرباح خلال السنوات العشر الأولى من النشاط الفعلي، وإعفاء ٥٠ في المئة من هذه المداخيل بالنسبة إلى السنوات العشر التالية.

هـ ـ مشروع القطب التنموي للواحات في واحة معدن العرفان (تجربة موريتانية رائدة لإعمار الصحراء)(٣٦)

أُقيم هذا المشروع التنموي في واحة معدن العرفان في واحة شنقيط، بهدف إزالة عثرات ومُعوّقات التنمية في هذه الواحة، مثل الجفاف والفقر والجهل، التي تُعتبر العامل الأساس في عدم التوازن البيئي الواحاتي، وتَعثّر التنمية المستدامة في الواحات الموريتانية بشكلٍ عامٍّ، وفي واحةِ معدن العرفان بشكلٍ خاصٍّ.

يقوم مشروع القطب التنموي (Growth Pole) للواحات في معدن العرفان على تمويل الأركان الأربعة الأساسية في المشروع، وهي:

ـ البيئة: وذلك بإقامة ١٤ مشروعًا لحماية البيئة، من خلال التحكم باقتصادات الماء والبنية التحتية.

ـ النخيل: إقامة ٥ مشاريع تنموية، من خلال مختبرات للزراعة النسيجية.

ـ التهذيب: بإقامة ١٠ مشاريع للتنمية، لإيجاد جيلٍ من شبابٍ الواحات، بتأمينه بالتعليم التقني المُكثّف الدائم والمجاني، وهذا الجيل وحده هو القادر على استئصال الجهل في الواحات وتعميم هذه التجربة على باقي الواحات.

ـ محاربة الفقر: بإقامة ٣٢ مشروعًا لمحاربة الفقر، من خلال تعميم المشاريع الصغيرة، وجرى اختيار واحة معدن العرفان لأنّها تمتاز بـ:

- وجود السد المائي المجاور لها منذ عام ١٩٧٠.

---

(٣٦) للمزيد عن هذا المشروع انظر الموقع الإلكتروني: <www.cerveaux-oasis.mr>.

● الموقع الجغرافي للواحة بين سلسلة «مرتفعات إمْرت» والكُثبان الذهبية المعروفة بِلِكْلَيْوَه في ولاية أدرار، وهي مركز محوري للواحات المنتجة للتمور.

● وجود جيل من الشباب المُثقف فيها بمجالات الزراعة والمياه والبيولوجيا والاقتصاد والمعلوماتية والطب.

● تمتاز الواحة بوجود مجموعةٍ مُنظّمَةٍ ونشطةٍ من الشباب، من تربية المرحوم الشيخ محمد الأمين بن سيدينا، الزعيم الروحي في المنطقة، هذه المجموعة التي يُمكن أن تصنع العمل الصالح والاتحاد والتآخي، باعتباره منهجًا للحياة في الصحراء المحيطة.

٤ ـ مُقترحات في تنمية السياحة المستدامة للصحاري العربية

أ ـ أمثلةٌ لجهودِ بعضِ الدّولِ والمُنظّماتِ في تنميةِ الصحاري العربيةِ

زاد اهتمام العالم بالبيئة بعد المؤتمر العالمي الخاص بقضية البيئة البشرية المُحيطة بالإنسان في عام ١٩٧٣ في استوكهولم، بإشراف الأمم المتحدة التي أنشأت برنامجًا خاصًا يُعنى بالبيئة في عام ١٩٧٢، وبعد عشرين عامًا، أي عندما عُقدت قمة الأرض الأوّلى في ريو دي جانيرو، تألفت هيئة للتنمية المستدامة في عام ١٩٩٢ في مقر الأمم المتحدة بنيويورك، وبعد عشرة أعوام عُقدت قمة الأرض الثانية في جوهانسبورغ بجنوب أفريقيا لمتابعة بحث مشاكل التنمية والبيئة والفقر في العالم.

لسنا هُنا بصدد عرض أسماءِ المُنظّمات والهيئات الدولية أو العربية، لكننا نُريد أنْ نُشير إلى أنّ الجهود الدولية والعربية، تسارعت وتداعت لتنمية السياحة في الصحاري العربية بشكلٍ لافتٍ، فأقيمت الندوات والمؤتمرات التي تمخّض عنها كثير من النتائج والتوصيات المُفيدة، وجاءت هذه الجهود في وقتٍ تفاقمت فيه إفرازات وسلبيات الأنشطة البيئية التنموية، وما صاحبها من انعكاساتٍ مُدمّرة على البيئة في كثيرٍ من الحالات.

نعرِضُ هُنا بعض جُهود الدّولِ والمُنظمات في التنمية البيئية بشكلٍ

عامٍّ، وفي تنمية السياحة المستدامة للصحاري العربية بشكلٍ خاصٍّ، بِهَدَف التدليل على أن ظاهرة إعمار الصحراء حان وقتها: قولًا وفعلًا، وقبل أن نعرض هذه الجهود نود أن نقول: أصبحت السياحة المُستدامة منهجًا وأسلوبًا تقوم عليه كثير من المؤسسات السياحية العالمية، وعلى غير ما يعتقده كثيرون فإن تطبيق مفهوم السياحة المُستدامة لا يُعدّ مُكْلِفًا من الناحية المالية، حيث له عائده المعنوي والمادي، ويعود بالرّبح والفائدة على المؤسّسات السياحية، ويُمكن إبراز أهم الجهود في تنمية السياحة المستدامة كما يلي:

- أصدرت «جامعة الدول العربية» بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة **الدليل الإرشادي للسياحة المستدامة في الوطن العربي**، وأُشير إلى هذا المرجع سابقًا.

- قامت «وزارة الأشغال العامّة والإسكان» في السعودية بعقد ندوة عن «التنمية العمرانية في المناطق الصحراوية ومشكلات البناء فيها» في مدينة الرياض، قُدِّم فيها ٣٧٣ بحثًا، تمحورت كلها حول: تحقيق التنمية المستدامة التي تأخذ بالاعتبار خصوصية البيئات الصحراوية[٣٧].

- كان لـ «المُنظمة العربية للتنمية الزراعية» التابعة للجامعة العربية دورٌ واضحٌ في تحقيق التنمية المستدامة، وبخاصّة في المناطق الصحراوية أو الهامشية، ومواجهة التصحّر، والمحافظة على الموارد الطبيعية، وفي مُقدّمها المياه.

- أقام «الاتحاد العربي للشباب والبيئة»، التّابع للجامعة العربية، مؤتمرًا بعنوان «دور الشباب في تنمية الصحاري»[٣٨]، حَضَرَتْهُ ١٥ دولة

---

(٣٧) عقدت الندوة في مدينة الرياض بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة والبنك الدولي واتفاقية التجارة العالمية (GATT) وغيرها من الهيئات والمنظمات الدولية، للمزيد انظر: الرياض (العمران والتنمية)، ٢٥/١/٢٠٠٣.

(٣٨) أقيم هذا المؤتمر بالتعاون مع محافظة الوادي الجديد بمصر وإدارة الشباب والرياضة التاسع للجامعة العربية، وللمزيد انظر الاتحاد العربي للشباب والرياضة على الموقع الإلكتروني: <www.affye.org/affye/desert>.

عربية، تحتلّ الصحاري نسبة عالية فيها[٣٩]، يهدف المؤتمر إلى وضع استراتيجية شبابية عربية في مجال تنمية الصحاري العربية، وتبادل خبرات الدول المشاركة في مجال تنمية الصحاري والتصدّي للتصحّر، وكان المحور الخامس في المؤتمر عن: السياحة البيئية الصحراوية.

ـ عقدت «وزارة الدولة لشؤون البيئة في مصر»، مؤتمرًا دوليًا للبيئة والصحة والتنمية المستدامة، شارك فيه ٣٦ دولة عربية وأوروبية[٤٠].

ـ «الإعلان العربي عن التنمية المستدامة» ـ سبقت الإشارة إليه ـ الذي صدر عن الوزراء العرب المسؤولين عن شؤون التنمية والتخطيط والبيئة، وتّمت الإشارة فيه إلى ضرورة تحقيق التنمية المستدامة في البيئات العربية كافة[٤١].

ـ أصدر وزراء البيئة العرب مشروع إعلان القاهرة عن شؤون البيئة، بشأن النهج الاستراتيجي نحو تطبيق آليات التنمية المستدامة والموافقة على[٤٢]:

- توفير مقرّ دائم للمركز الدولي لتدريب القضاة لشؤون البيئة.
- تفعيل مرفق البيئة العربي.
- مشاركة الدول العربية لجنة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة.
- وضع مشروع النظام الأساسي للاتحاد العربي للمحميات الطبيعية.
- تعميم ١٠ أدلّة استرشاديّة أعدّتها مصر للتفتيش البيئي.
- إنشاء شبكة عربية لتبادل الخبرات والمعلومات وفقًا لاتفاقية روتردام.
- مشاركة العالم بالاحتفال بسنة صحاري العالم ٢٠٠٦.

---

(٣٩) انظر الملحق الرقم ١، الجدول الرقم ٨، ص ٢٤٧ من هذا الكتاب.

(٤٠) عقد هذا المؤتمر في الإسكندرية بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٤، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <arch.sustainable.blogspot.com/2007/11>.

(٤١) عقد الاجتماع في مقر الجامعة العربية بالقاهرة بتاريخ ٢٤/ ٢٠٠١/١٠، للمزيد انظر الموقع الإلكتروني: <www.escwa.org-lb/arabic>.

(٤٢) جمهورية مصر العربية، وزارة الدولة لشؤون البيئة، جهاز شؤون البيئة، على الموقع الإلكتروني: <www.eeaa.gov.eg/arabic/main>.

● الموافقة على شعار يوم البيئة العربي لعام ٢٠٠٦ ليكون: «الصحاري والتنمية المستدامة».

ـ احتفاءً بالسنة الدولية للصحاري والتصحّر، عُقدت حلقة عمل حول «واقع الصحاري العربية وآفاقها»، في دمشق، شارك فيها مركز الخليج للأبحاث (GRC)، وتنظيم الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (FAO/RNE)، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP/ROWA)، ومركز البيئة والتنمية للإقليم العربي وأوروبا (CEDARE)، والبنك الإسلامي للتنمية (ISDB)، والمركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (ACSAD)، بهدف إبراز دور المنظمات العربية في تنمية الصحاري ومراقبة التصحّر، وجرى عرْض كثير من التوصيات التي من شأنها إعمار الصحراء والتنمية المستدامة فيها[٤٣].

ـ نظّم «معهد الكويت للبحث العلمي»، بالتّعاون مع برنامج الأمم المتحدة للتنمية، والسكرتارية العامة لمجلس التعاون الخليجي، وعلماء معروفين على الصعيد العالمي من مختلف دول العالم، مؤتمرًا عالميًا حول التنمية الصحراوية في دول الخليج العربي، وكان شعار المؤتمر «نحو تنمية مستديمة للنظام البيئي الصحراوي في القرن الحادي والعشرين»، من أهم محاوره: تقويم وإدارة وتحسين الأراضي الهامشية، وإدارة وتحسين المياه والتربة، وإدارة وحماية التنوع البيولوجي (الإحيائي)، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية[٤٤].

الجهود السابقة هي غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ لجهودٍ عالميةٍ وعربيةٍ حول تنمية الصحاري العربية، وأما عن جهود الدول العربية لتنمية الصحاري، فحاوَلَتْ بعض الدول التي تُشغل الصحاري مساحة كبيرة منها الاستفادة من هذه الصحاري، بهدف استصلاحها واستزراعها نذكر منها:

(٤٣) شارك في فاعليات الحلقة ٣٩ مشاركًا، يمثلون ١٨ دولة عربية ومنظمة عربية وإقليمية ودولية، عقد المؤتمر في دمشق، في الفترة بين ١٤ و١٦/ ٥/ ٢٠٠٦.

(٤٤) هاشم نعمة، «التنمية المستديمة في المناطق الجافة إدارة وتحسين الموارد الصحراوية، المجلد الثاني،» الحوار المتمدن، ١٤/ ٤/ ٢٠٠٤، مترجم عن: S. A. S. Omar [et al.], *Sustainable Development in Arid Zones, Volume 2: Management and Improvement of Desert Resources* ([Rotterdam: A. A. Balkema, 1998]).

• الأردن: استصلح واستزرع وادي الأزرق في البادية الأردنية شرقًا بمساحة ٥٢٥٠ كلم٢.

• تونس: تحاول تحسين وتنمية المراعي جنوب وسط تونس (٧ مليون هكتار)، علاوةً على جهودها الواضحة في السياحة الصحراوية في ولايات الجنوب.

• السودان: يحاول السيطرة على الزحف الصحراوي في مديريتي كردفان ودارفور في منطقةٍ تصل مساحتها إلى ٦٥٠ ألف كلم٢.

• العراق: يحاول تثبيت الكثبان الرملية في منطقة تلعفر شمال غرب العراق.

• مصر: قامت بتنفيذ مشروعات عدة في الصحراء الغربية (الوادي الجديد)، واستصلاح واستزراع المشروع الضخم في جنوب غرب مصر، وهو مشروع القرن ٢١ الذي لو كُتِب له النجاح فسيكون بحق نقلة كبيرة لمستقبل مصر.

• ليبيا: تواصل جهودها للحد من التصحّر وتثبيت الكثبان الرملية والتشجير في «منطقة خلّة المسعودي» على مساحة ١٠ آلاف هكتار.

• السعودية: تبذل جهودًا كبيرة في تثبيت الكثبان الرملية في منطقة الأحساء في المنطقة الشرقية بمساحة ٦٠ ألف دونم، ومشروع الري والصرف في الهفوف، ومشروع الفيصل لتربية الأغنام النجدية في حرض «مشروع حرض لتوطين البدو»، ومشروع الري والصرف في القطيف، وإقامة العديد من السدود على الأودية الصحراوية.

ب ـ مُقترحاتُ تَنْميَةِ السّياحَةِ المُسْتدامَةِ للصحاري العَرَبيّةِ على المُستوى القُطْرِي

من العرض السابق لدراسة المُعطيات الطبيعية والبشرية للصحاري العربيّة، نتوقف عند الحقائق التالية:

ـ في الصحاري العربية مُعطيات طبيعية مُهمة يُمكن أن تُشكّل عوامل جذبٍ سكانيٍ وسياحيٍ، إذا استُثمرت بشكل أمثل، ومن أبرز هذه المُعطيات:

• الجمال الطبيعي المتنوّع للتضاريس.

• احتواؤها كثيرًا من الموارد المعدنية المهمة مثل النفط والحديد والذهب والفوسفات وغيرها.

• احتواء أراضيها خزانات هائلة من المياه الجوفية.

- تحوي الصحاري العربية كثيرًا من المدن والتجمعات السكانية (الواحات) التي يُمكن تطويرها وتوفير الخدمات الكافية فيها (تعليمية وصحية وإدارية وترويجية. . . وغيرها)، بحيث تُشكّل مناطق تنموية تجذب إليها السكان، وبذلك يتحقق التوازن التنموي بين السكان والمكان للدولة.

مما سبق نستنتج أن مقوّمات إعمار الصحراء توجد في الصحراء نفسها، وهُنا نُوجّه دعوةً إلى الدول العربية كافة أنْ لا تُغْفِل الصحراء من خططها التنموية الجادة والهادفة، وذلك بعد إجراء مسح شامل للموارد فيها، وتحديد الأسلوب التنموي الناجع الذي تُراعى من خلاله خصوصية الصحراء الطبيعية والبشرية، ووضع سياسةٍ تنمويّةٍ مكانيةٍ (Spatial Development Policy) تهدف إلى إيجادِ حالةٍ من التوازن النسبي في توزيع الاستثمارات القطاعية، بين مناطق الدولة المختلفة، وفي مُقدمها المناطق الصحراوية، بُغيَةَ الحدّ من ظاهرة التركز السكاني، والتفاوت في مستويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية داخل الدولة، وتحريك الأعمال والخدمات إلى السكان في مناطق تواجدهم (حتى لو كانت صحراوية) لوضْع حدٍّ للهجرة، وتحقيق حالة الاستقرار المكاني للسكان من خلال تعزيز الأساس الاقتصادي لمراكز الاستيطان في الصحراء.

تعتمد المقترحات التي قدّمها الباحث في هذه الدراسة على المستوى القطري تطبيق ثلاثة نماذج بثلاثة مستويات في المناطق المُختلفة للدولة هي:

- نموذج قطب النمو (Growth Pole Model).

- نموذج مركز النمو (Growth Centre Model).

- نموذج نقطة النمو (Growth Point Model).

تُعتبر هذه النماذج (وبخاصة نموذج قُطب النمو) من أبرز النظريات التي

عالجت التنمية المكانية، وبشكلٍ عامٍّ تعني أن النّمو لا يحدث في المناطق كلها (أو حتّى داخل المنطقة) بمستوى واحد، لكن يظهر على شكل أقطاب نمو (للمراكز والتجمعات السكانية الكبيرة نسبيًا)، ومراكز نمو (في التجمعات السكانية المتوسطة الحجم)، ونقاط نمو (في التجمعات السكانية الصغيرة)، وبكثافةٍ مختلفةٍ في بعض الأماكن العُقَديّة التي تتشكّل في أماكن اقتصادية (Space Economic)، أو في أماكن جغرافية (Space Geographic).

غالبًا ما تكون هذه التجمعات التي جرى اختيارها (أقطاب أو مراكز أو نقاط) مُختلفةً في تخصصاتها الوظيفية من ناحية، ومن ناحية أخرى في إمكاناتها الموضعية (Sites)، والموقعة (Locations)، ما يجعلها تشكل نقاط إشعاع لأنواع التحديث (Innovation)، وهذه التنمية من خلال الأقطاب والمراكز والنقاط، تنتشر من خلال قنوات مختلفة وبصورة غير متساوية (لكنها عادلة) إلى القطاعات والأماكن الأخرى[٤٥].

لا نستطيع هنا تحديد أقطاب، أو مراكز، أو نقاط النمو في صحاري الدول العربية كلها، فهذا مجهودٌ تقع مسؤوليته على المتخصصين في التخطيط والتنمية وشؤون البيئة في هذه الدول، إلا أن التجمّعات السكانية التي أوردناها في الجدول الرقم (٩)[٤٦] يمكن أن تشير إلى أهم التجمعات السكانية في الصحاري العربية، التي يُمكن من خلالها تحديد المستوى التنموي لهذا التجمّع، وما يصلح منها لمرتبة قطب (Pole)، أو مركز (Centre)، أو نقطة (Point).

بعيدًا من التنظير سنعرض هنا مِثالَيْن تطبيقيَّيْن على المُقترح الذي أوردناه سابقًا، المثال **الأوّل**: التوزيع على البادية الأردنية، والمثال **الثّاني**: التوزيع على صحارى النفوذ والدهناء وأطرافها في السعودية، وذلك بِحُكم معرفتي الشخصية للتجمّعات السّكانية فيها، ومعايشتي لها في خلال سنوات عديدة مضت، علاوة على بعض الدراسات التي أجْرَيْتُها في الدّوْلَتَيْن:

---

(٤٥) للمزيد عن سياسات التنمية المكانية، انظر: حسن محمود علي الحديثي، «سياسات التنمية المكانية وعلاقتها بالتطور العمراني للمدن،» **مجلة الجمعية الجغرافية العراقية**، العدد ١٧ (١٩٨٦)، ص ١٦٨، وغرايبة، «سياسات التنمية المكانية».

(٤٦) انظر الملحق الرقم ١، الجدول الرقم ٩، ص ٢٤٧ من هذا الكتاب.

- **نموذج أقطاب النمو (Growth Pole Model)**: في الأردن يمكن أن تشكل مدن المَفْرَق (البوّابة الصحراوية الشمالية)، والزّرْقاء (البوّابة الصحراوية الوسطى) ومَعان (البوابة الصحراوية الجنوبية) أقطابًا تنمويةً بحُكم أنها مراكز للمحافظات، ويتبع كلّ واحدة منها عشرات التجمعات السكانية.

أما في السعودية فإن المُدن الرئيسة الواقعة على خطوط التابلاين، التي كانت أصلًا محطات ضخ للنفط، ثُمّ تضخّمت وأصبحت مُدنًا ومراكزَ إدارية، بل إنّ بعضها أصبح في عداد المُدن الكبرى، مثل عرعر التي تُشكل حاليًا قطبًا تنمويًا في منطقة شاسعة هي منطقة الحدود الشمالية، وما ينطبق على عرعر ينطبق على مدن القَيْصُومة ورَفْحا (لكن بنسبةٍ أقل).

- **نموذج مراكز النموّ (Growth Centers Model)**: في مدينة المفرق (وهي مركز محافظة)، تصلح مدينة صَبْحا لأن تكون مركز نموّ، كما يُمكن أن تصلح مدينة الأزرق مركز نمو أيضًا في الإقليم التنموي الأوسط، وفي الإقليم التنموي الجنوبي تصلح مدينة القويرة لهذه المُهمّة.

في السعودية يُمكن أن تكون مُدن طريف وحَفْر الباطن والعويقيلة مراكز تنموية في شمال المملكة العربية السعودية وشمالها الشرقي.

- **نموذج نقاط النّمو (Growth Points Model)**: الذي يعتمد على تنمية إمكانات وموارد الموقع في موضع ما، ففي الأردن، وفي محافظة المفرق، يمكن أن تؤدّي مدينة الصفاوي هذا الدّور في الشمال، وكذلك مدينة الجفر في محافظة معان في الجنوب.

أما بالنسبة إلى المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية في السعودية فيمكن أن تؤدي هذا الدّور مدن (أو هجر): حزم الجلاميد وطلعة التمياط والنعيرية.

جرى اختيار التجمعات السكانية السابقة في كل من السعودية والأردن لتقوم بهذه الأدوار التنموية (أقطاب أو مراكز أو نقاط) لعوامل عديدة أهمها:

- الثّقل السكاني (مدن المفرق والزرقاء ومعان وعرعر ورفحا مثلًا).

- وجود مورد مائي جوفي بالقرب من مُدن صبحا والجفر (الأردن)،

وحزم الجلاميد ـ القريبة من وادي الشاطي ـ والنعيرية (السعودية).

ـ وجود عوامل جذب سياحي (رمال وقصور صحراوية وخدمات طرق وغيرها)، كما هو في حالات الأزرق القريبة من القصور الصحراوية، وصبحا ـ القريبة من أم الجمال المدينة الأثرية، أو النعيرية القريبة من التجمّعات الرملية، وهي من المدن السعودية المرغوبة في إقامة المخيمات السياحية في فصل الربيع، وهناك مدن صحراوية أخرى مثل حائل القريبة من النفوذ، التي يُمكن أن تشكل قُطبًا تنمويًا بارزًا بحكم ثقلها السكاني، وقُربها من التجمعات الرملية التي يُقام فيها سنويًّا رالي حائل.

ما ينطبق على الأردن والسعودية في هذا المُقترح المتواضع يُمكن أن ينطبق على الأقطار العربية الأخرى، لكن بعد إجراء دراسات أكثر واقعية وأكثر جديّة وباستخدام معايير التخطيط الإقليمي، والاستفادة من تقنيات الاستشعار عن بُعد (الصور الجوية والخيالات الفضائية) (Remote sensing)، وهذه بمنزلة دعوة مفتوحة للمُخطِّطين والباحثين لتحديد أقطاب ومراكز ونقاط النمو في هذه الدول، والانطلاق منها إلى إعمار الصحراء وتعزيز الفاعليات الاقتصادية والاجتماعية والسياحية، بهدف الوصول إلى حالة الاستدامة (Sustainability) الحياتية، في الصحاري العربية المؤهّلة لذلك أصلًا، لكنّ الإهمال والنسيان أبعدها من أن تقوم بهذا الدور الذي أصبح ضرورة القرن الحادي والعشرين.

ج ـ مُقتَرَحاتُ تَنميَةِ السّياحةِ المُستَدامةِ للصحاري العربيّةِ على المُستوى العَرَبي

بعد أن أصبح مشروع الوحدة السياسية للأقطار العربية من الأمور الصعبة في الحياة العربية، يُمكن القول إن مشروع الوحدة الاقتصادية (من خلال السياحة الصّحراوية) يمكن أن يكون تطبيقه أكثر سهولة ـ نسبيًا، ليس على المستوى العربي كَكُلٍّ، لكن يمكن أن يجري على مستوى عربي بشكل ثنائي، أو ثُلاثي، أو رُباعي.

بالنظر إلى الحالة العربية العامّة والواقع العربي المُعاش، يُمكننا القول إن أشكال المقترحات البسيطة التالية يمكن أن تُشكل عواملَ تنمويّة

متواضعة في ظل عمل عربي مشترك، ويمكن تطويرها مُستقبلًا ليتّسع مداها مكانًا وسكانًا، وهذه المُقترحات:

ـ تطبيق ما يسمّى بنموذج محاور التنمية (Development Axis Model) بين الدول العربية المتجاورة، لما لِمِثْل هذه المحاور من أهمية واضحة في ربط مدن الساحل بمدن الداخل (الصحراء)، وربط مدن الجبال بمدن الأقاليم المجاورة، ومن أهم الأشكال التي يمكن تطويرها، أو استحداثها لتشكل محاور تنموية تعبر الصّحاري العربية:

● طرق المواصلات التي تربط بين الأقطار العربية، سواء أكانت المعبّدة (الحالية)، أم السكك الحديد التي يُمكن استحداثها للنقل والسياحة بين الدول العربية، ويمكن تطبيق ذلك بين سورية والأردن والسعودية، أو بين العراق والسعودية، من أجل خدمة نقل الحجاج من جهة، ومن أجل تفعيل الحياة الاجتماعية وتنمية الأقطاب والمراكز والنقاط التنموية التي ذكرناها سابقًا من جهةٍ أخرى.

كما يُمكن أن تُقام سكك حديد بين مصر والسودان، وعلى جانبي النيل (لأهداف سياحية)، أو بين مصر (الواحات الغربية) وليبيا (واحات الجغبوب، والسرير، والكفرة)، لغايات اقتصادية وسياحية، أو بين ليبيا (زوارة) وتونس (المدنين)، وليبيا مرة أخرى (غدامس) ومرتفعات الأحجار الجزائريّة (تمنراست، وعين صلاح، وأدرار وتندوف) والمغرب (واحات وادي درعه) ولغايات سياحية، واقتصادية واجتماعية وتنموية شاملة.

● إقامة الرياضات الصحراوية المُشتركة على مستويات مختلفة (ثنائية، أو ثلاثية، أو غيرها) ومن أهم هذه الرياضات: الراليات الصحراوية سواء كانت تربط بين دول آسيوية عربية، أو أفريقية، وسباقات الهجن والإبل وغيرها.

ـ إقامة المهرجانات والمعارض والندوات في المدن الصحراوية، وبخاصة الهامشية أو الحدودية منها (مثل مدينة أم الجمال على الحدود السورية الأردنية، أو مدينة القريّات على الحدود الأردنية السعودية، أو مدن فكيك وشام وورزازات وتندوف، على الحدود المغربية الجزائرية، أو

مدن فكيك وبشار وواحات (مدن) غدامس والمدنين، على الحدود الليبية والتونسية، والعديد العديد من المدن المشابهة التي توجد في أطراف حدود الدول التي تعاني التّهميش والعُزلة.

من الجدير بالذكر أنّ معظم هذه المدن كانت مُزدهرة قبل ترسيم الحدود العربية التي ساهمت في تباعد الشعوب العربية عن بعضها بعضًا، بل ومزّقت أفراد القبيلة الواحدة، وخير الأمثلة على ذلك قبيلتي البشارية والعبابدة على الحدود السودانية المصريّة، حيث توجد قيادة (زعامة) القبيلة في دولة، وأمّا جمهور القبيلة فيوجد خلف الحدود في الدولة الأخرى، ولذلك ندعو إلى تعزيز هذه المدن الهامشية وتنميتها، التي يزيد عددها على المئة في الدول العربية، وبدأت تتراجع نتيجة عدم وجود ظهير تنموي لها، ويمكن أن تتعدّد محاور المؤتمرات والندوات أو المعارض لتشمل الفنون الشعبية عند شعوب الصحراء، أو الصناعات التقليدية.

هناك أمثلة أخرى على تمزيق الحدود للقبائل الصحراوية التي كانت تَمْتهن الرّعي، ويتّسع مداها المكاني مثل: قبائل الطوارق المُمتدة من غرب مصر، مرورًا بليبيا وتونس والجزائر، وانتهاءً بالمغرب وموريتانيا، وهناك قبيلتا شمّر وعنزة التي تتواجد مشيختهما في العراق (الجربا والهذال على التوالي)، وتنتشر هذه القبائل وتفرّعاتها في السعودية والعراق وسورية والأردن وغيرها من أقطار الخليج العربي.

ـ الواحات المُتقاربة يُمكن أن تُشكّل امتدادات تنموية اقتصادية طبيعيّة لبعضها بعضًا، متجاوزة مفهوم الحدود ـ برقابةٍ من الدّول العربية المُتجاورة ـ والأمثلة على ذلك كثيرة، من أبرزها: واحات الصحراء الغربية في مصر مع واحة الجغبوب في ليبيا، حيث يمكن إقامة فاعليات سياحية مُشتركة موسمية تُساهم في تنمية مثل هذه الواحات، وهناك مثال أكثر وضوحًا يظهر في تجمع ثماني واحاتٍ مُتقاربة جدًا من بعضها بعضًا على الحدود الليبية التونسية، أربع منها شرق الحدود (داخل ليبيا)، وهي واحات نالوت وسناون ودرج وغدامس، وأربع منها غرب الحدود (داخل تونس)، وهي واحات المشهد والذهبيات والجناين وتيارت، وهي واحات متقاربة جدًا من بعضها بعضًا، لا يفصلها إلا خط الحدود، فعلى سبيل المثال لا تتجاوز

المسافة بين نالوت (الليبية) والذهبيات (التونسية) أكثر من ٥٠ كلم، بل إن المسافة بين سناون الليبية وتيارت التونسية تقل عن ذلك لتكون ٣٠ كلم فقط.

ـ الاستفادة من الموارد الطبيعية في الصحاري العربية، وبخاصّة تلك التي تُشكل مناطق نزاع حدوديّة، أو يُمكن أن تُشكّل ذلك مستقبلاً، واستثمارها في تنمية تلك المناطق، وفي مُقدمة هذه الموارد النفط والفوسفات والحديد، والاستفادة من تجربة السعودية والكويت في إنهاء الخلاف الذي كان على المنطقة المحايدة بينهما، التي بلغت مساحتها ٥٧٧٠ كلم[٢]، حيث جرى الاتفاق بينهما على أن يكون للدوْلتين حقوق اقتصادية مُشتركة متساوية، ولذلك تقاسمت الدولتان دَخْل نفط «حقل وفْرة» البرّي، و«حقل الخفجي» البحري منذ ظهور النفط في هذه المنطقة حتى الآن.

يُمكن تعميم هذا المثال على كثيرٍ من الدول العربية المتنازعة على الموارد المعدنية الحدودية، بل يُمكن لهذه الدول أن تُقِيم مراكز تنموية للاستفادة منها في تعميم التنمية المكانية لهذه المناطق الحدودية التي غالبًا ما تسكنها تجمّعات سكانية ذات أصول واحدة.

الملاحق

الملحق الرقم (١)
الجـــداول

الجدول الرقم (١)
رحلة النهر الصناعي العظيم

م	المسار (الرحلة)	طوله بالكيلومترات
١	الكفرة ـ تازربو	٣٥٠
٢	تازربو ـ اجدابيا	٦٥٠
٣	السرير ـ اجدابيا	٣٨٠
٤	اجدابيا ـ طبرق	٤٠٠
٥	اجدابيا ـ بنغازي	١٥٠
٦	اجدابيا ـ سرت	٤٠٠
٧	سرت ـ طرابلس	٤٠٠
٨	شرق فزان ـ طرابلس	٦٥٠
	المجموع	٣٣٨٠

المصدر: <wikipedia.org>.

الجدول الرقم (٢)
منظومات النهر الصناعي العظيم/ ليبيا

م	المنظومة	كمية المياه المنقولة يومياً (م^{3})
١	السرير ـ سرت ـ تازربو ـ بنغازي	٢ مليون
٢	الحساونة ـ الجبارة	٢,٥ مليون
٣	الجغبوب ـ طبرق	١٢٠ ألف
٤	غدامس ـ النقاط الخمس ـ الزاوية	٢٥ ألف
٥	الكفرة ـ تازربو	١,٨٦ مليون
٦	وصلة الفرضابية ـ السداوة	٩٨٠ ألف

المصدر: المصدر نفسه.

الجدول الرقم (٣)
نمو أعداد السّياح والليالي السّياحية والمقبُوضات في وادي رم

السنة	عدد السياح بالألف	النمو ٪	الليالي السياحية (مليون)	النمو ٪	المقبوضات مليون دينار	النمو ٪
١٩٩٦	١,١٠٣	٣	٣,٩٥٣	٤,٧٧	٥٢٧	١٠,٧
١٩٩٧	١,١٦٩	٦	٤,١٤٢	٤,٧٥	٥٤٨	٤
١٩٩٨	١,٢٤٠	٦	٤,٣٣٩	٤,٧٤	٥٧١	٨
١٩٩٩	١,٣١٣	٦	٤,٥٤٤	٤,٧٢	٦١٧	٧,٩
٢٠٠٠	١,٣٩٢	٦	٤,٧٥٩	٤,٧٢	٦٦٥	٧,٨
٢٠٠١	١,٤٦٢	٥	٥,١١٨	٣,٧	٧٠٩	٧,٦
٢٠٠٢	١,٣٥٣	٥	٥,٣٠٧	٣,٧	٧٥٦	٦,٦
٢٠٠٣	١,٦١٢	٥	٥,٥٠٢	٣,٧	٨٠٥	٦,٥
٢٠٠٤	١,٦٩٢	٥	٥,٥٠٧	٣,٦٥	٨٥٦	٦,٤
٢٠٠٥	١,٧٧	٥	٥,٨٥٤	٣	٩١٠	٦,٣

المصدر: Overseas Economic Cooperation Fund (OECF), «The Tourism Sector Development Project, Final Report,» (Japan, 1977), p. 22.

الجدول الرقم (٤)
مراحل سباق رالي الفراعنة الدولي

المرحلة	المسافة/ كم	الأماكن التي يمر بها
الأولى	٤٥٥	سفح الأهرامات (الهرم الثالث) ـ طريق الواحات
الثانية	٥٠٠	الواحات البحرية ـ درب التبنيّة ـ الفرافرة ـ هضبة القيس سعيد ـ بلدة موط
الثالثة	٤٤٠	بلدة موط ـ مطار شرق العوينات
الرابعة	٣٩٠	بيرطرقاري ـ بير كبية ـ بير نخلاوي ـ شرق جبل ري ـ بحيرة ناصر ـ أبو سمبل
الخامسة	٥٣٠	أبو سمبل ـ بير نخلاوي ـ بير كبية ـ الخارجة ـ درب الأربعين كيلو ١١٠
السادسة	٥٨٢	الخارجة ـ تنير ـ شرق درب الفرافرة ـ كراديين ـ شمال البحرية والعجوز ـ البويطي.
السابعة	٤٥٠	الواحات البحرية ـ جبل الهفوف والمناجم ـ طريق الواحات البحرية الكيلو ٩٠ ـ سفح الأهرامات.

الجدول الرقم (٥)

عدد السياح لبعض المناطق الصحراوية الجزائرية لعام ٢٠٠٦

المنطقة	العدد
بسكرة	٦٨٣٦٢
غرداية	٨٢٦٩٥
ورقلة	٨٥٠٠٠
الواد	٧٢٠٠٠
الجلفة	٤٦٠٠٠

الجدول الرقم (٦)

بعض المدن والمراكز والهجر في منطقة الحدود الشمالية

المدينة/الهجرة	سنة التأسيس	المصدر
عرعر	١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م	الهذلول، ص ٤٨(٥)
رفحاء	١٣٦٩	الهذلول، ص ٤٨(٥)
طريف	١٣٦٩	الهذلول، ص ٤٨(٥)
العويقيلة	١٣٦٩	الهذلول، ص ٤٨(٥)
الشعبة	١٣٦٩	الهذلول، ص ٤٨(*)
حزم الجلاميد	١٣٧٠	حمد فهد العتيبي (مقابلة شخصية)
أم خنصر	١٣٧٤	سوري محمد المجلاد (مقابلة شخصية)
روضة الهباس	١٣٨٥	عبد العزيز بن نايف الهباس (مقابلة شخصية)
قيصومة فيحان	١٣٨٦	حسين منور الشمري (مقابلة شخصية)
الشريم	١٣٩٢	محمد بن شريم الشمري (مقابلة شخصية)
ابن سعيد	١٣٩٣	دهام ذياب العنزي (مقابلة شخصية)
المركوز	١٣٩٥	مبارك سلطان الربع الشمري (مقابلة شخصية)
الكاسب	١٣٩٥	مبارك شعلان الشمري (مقابلة شخصية)
مناحي بن بكر	١٣٩٥	مشعان بن فرحان البكر (مقابلة شخصية)
طلعة التمياط	١٣٩٦	فيصل التمياط (مقابلة شخصية)
ابن سوقي	١٣٩٧	حمود الباشان (مقابلة شخصية)
الجبهان	١٣٩٩	عوده هزاع الجبهان الشمري (مقابلة شخصية)

يتبع

تابـــع

الديدب	١٣٩٩	نواف بن هجرس الديدب (مقابلة شخصية)
ابن ثنيان	١٤١٠	فهد بن عبيد الثنيان (مقابلة شخصية)
الايديه (اليديا)	١٤١٠	محمد بن قائم العنزي (مقابلة شخصية)

المصدر: عمل الباحث.

(*) صالح الهذلول وأحمد عمرش، «المدن الجديدة وإستراتيجية التخطيط الإقليمي ـ مدن خط التابلاين،» ص ٤٨. (حصل الباحث على نُسخة مصورة من هذا البحث من المهندس مفلح عواد العنزي، إدارة التخطيط العمراني ببلدية منطقة الحدود الشمالية، عرعر).

الجدول الرقم (٧)
الهِجَر في السعودية قبل عام ١٩٣٢
مُصنّفة بحسب القبيلة والعَدد

القبيـــلة	عدد الهجر
حرب	٣٨
مطير	٢٧
عتيبة	٢٥
شمر	٢٣
العجمان	١٩
قحطان	١١
عنزه	٧
هتيم	٦
بنو هاجر	٥
الخرج (مختلطة)	٥
العوازم	٤
الدواسر	٤
يام	١
المجمـــوع: ١٣	١٧٥

المصدر: أحمد جار الله الجار الله، خادم الحرمين الشريفين مرسي النظام الحضري السعودي، سلسلة الاحتفال بمرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم؛ ٢٠ ([الأحساء: جامعة الملك فيصل، ٢٠٠٢)، ص ٣٠.

الجدول الرقم (٨)
الدول والهيئات العربية المشاركة في مؤتمر دور الشباب العربي في تنمية الصحاري

الدولة	الهيئات المشاركة
المغرب	جمعية النور للتنمية والبيئة ـ جمعية أصدقاء النخلة
تونس	منظمة الشباب الدستوري
الجزائر	الرابطة الولائية للأنشطة العلمية غرداية
السودان	منظمة المستقبل لرعاية الشباب
فلسطين	جمعية الشباب والبيئة ـ اتحاد شباب فلسطين
الأردن	المجلس الأعلى للشباب ـ مكتب شباب البحر الأحمر
سورية	اتحاد شبيبة الثورة
الإمارات	مجموعة الإمارات البيئية ـ جمعية الكشافة
قطر	مركز أصدقاء البيئة
الكويت	جمعية الكشافة ـ منظم شغل أوقات الفراغ
اليمن	جمعية التمكين للتدريب البيئي
العراق	الاتحاد العراقي للشباب والبيئة
السعودية	مجموعة البيز للتنمية العمرانية ـ جمعية الكشافة السعودية
سلطنة عُمان	جمعية الكشافة بسلطنة عُمان
مصر	جمعية شباب مصر للتنمية والبيئة ـ جمعية الحفاظ على التراث والبيئة

المصدر: الاتحاد العربي للشباب والبيئة ـ جامعة الدول العربية.

الجدول الرقم (٩)
البوابات والمداخل الصحراوية التنموية العربية (قطب ومركز ونقطة)

الدولة	البوابة/ المدخل
الأردن	المفرق، الزرقاء، معان، الأزرق، الجفر
فلسطين	بئر السبع
سورية	تدمر، دير الزور، الرقة، الحسكة، القامشلي
العراق	الرمادي، الرطبة، كربلاء، النجف، السماوة، الناصرية
السعودية	حائل، سكاكا، بريدة، عرعر، حفر الباطن، طريف، حرف

يتبــع

تابـــع

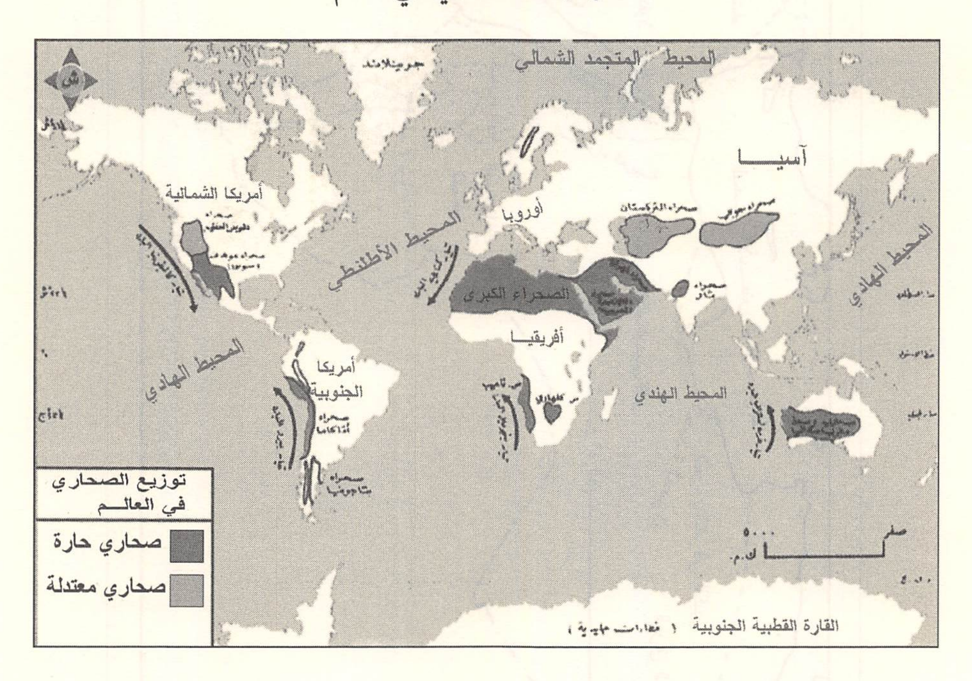
اليمن	الجوف، مأرب، شبوه، سيئون، تريم، وحبان والمكلا
الكويت	الروضتين والنعايم وام قدير والساعي والوفرة
البحرين	الرميثة والزلاق وجو وحوار
قطر	الخور والرويس ودخان والكرعانة والخرارة
الإمارات	مدينة زايد والعين والبدع وسلع
عُمان	عبري وسناو وهيما ودوكة وريخوت
مصر	سيوه، الفرافرة، الداخلة، الخارجة، قنا، سانت كاترينا
ليبيا	الجغبوب، الكفرة، فزان، سبها، غات، غدامس
السودان	الأبيض، الفاشر، بربر، أبو احمد
الصومال	حردو ولاس أنور، جالكمبو، حودر وبارديره
جيبوتي	ديره ودوار ويوبوكي وعسيلة
تونس	قفصه، دوز، مدنين، تطاوين
الجزائر	ورقلة، غرداية، ادرار، تمنراست، تندوف، بشار
المغرب	ورزازات، زكورة، بويزكارن
موريتانيا	بئر أم غرين وشنقيط، تيجكجة، والعيون

المصدر: عمل الباحث.

الملحق الرقم (٢)

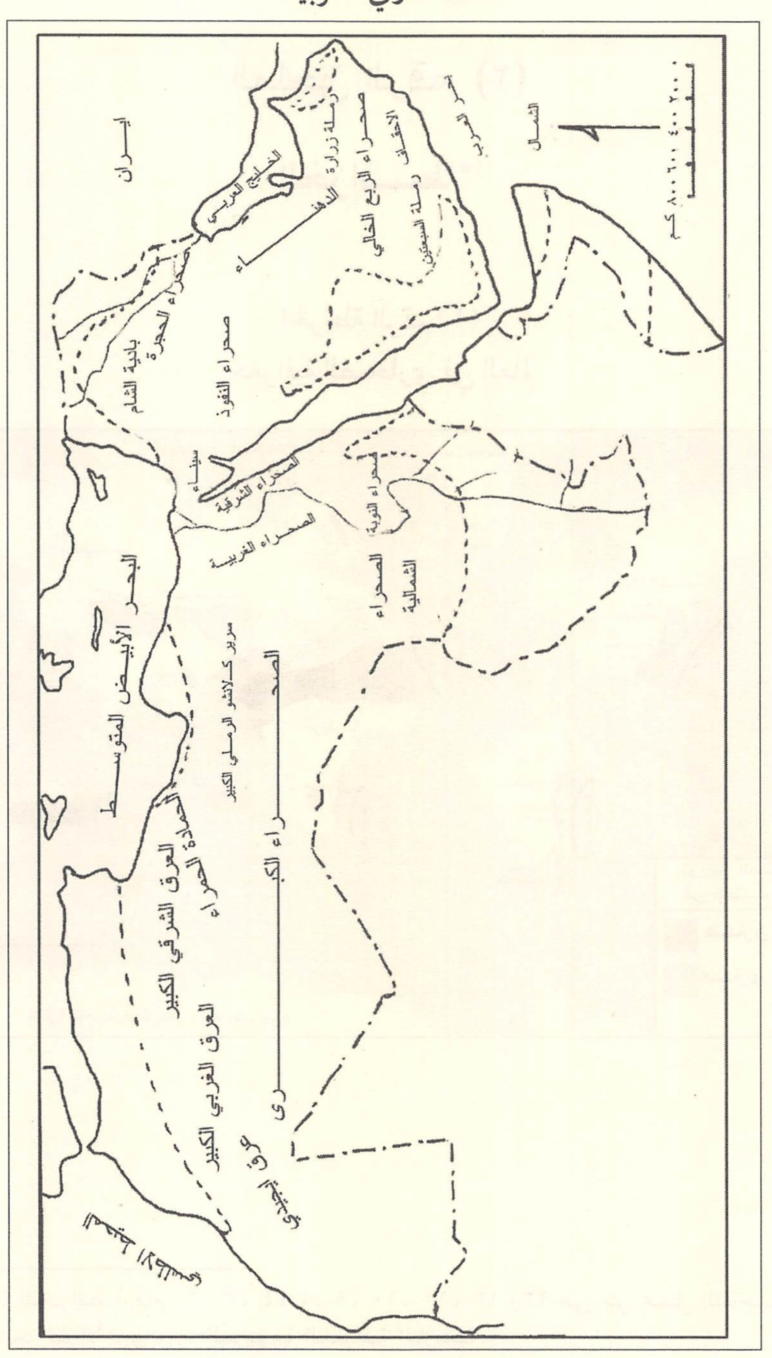
الخرائط(*)

الخريطة الرقم (١)
جغرافية الصحاري في العالم

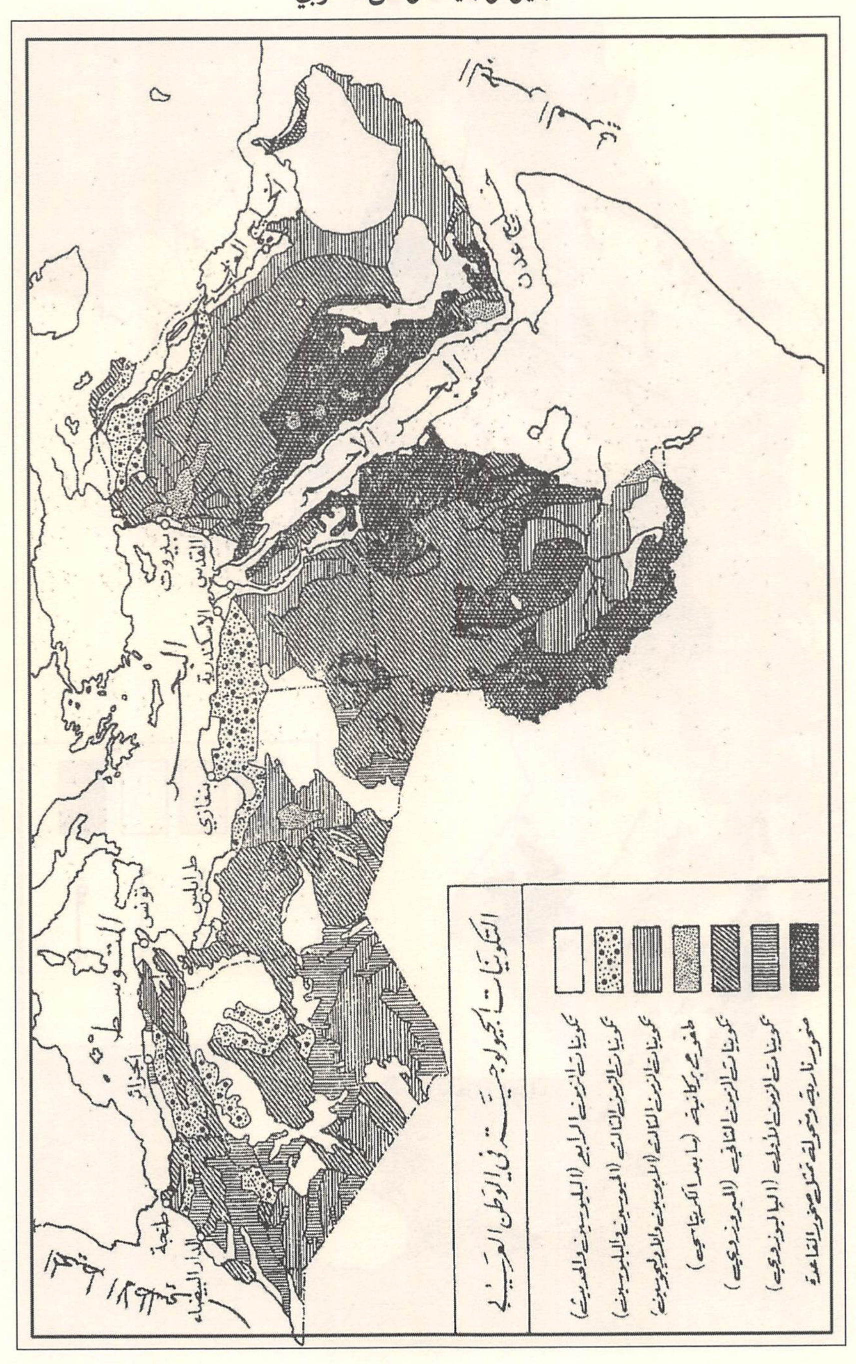


(*) الخرائط أرقام: ٢، ٣، ٤، ٥، ٩، ١٠، ١١، ١٢ و٢٣ هي من عمل الباحث، أما مصادر الخرائط الأخرى من: **الموسوعة الجغرافية التاريخية**.

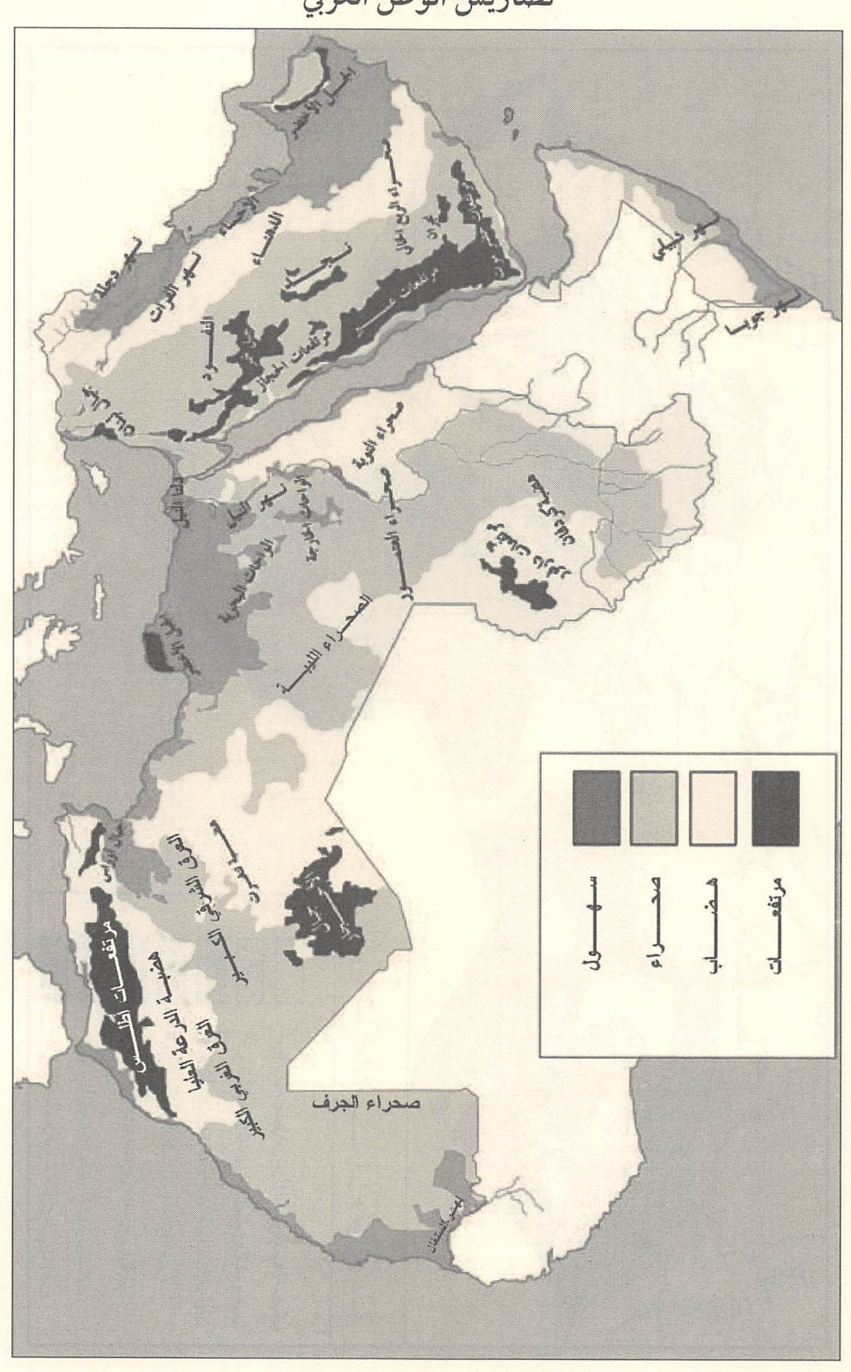
الخريطة الرقم (٢)
الصّحاري العربيّة



الخريطة الرقم (٣)
جيولوجيا الوطن العربي

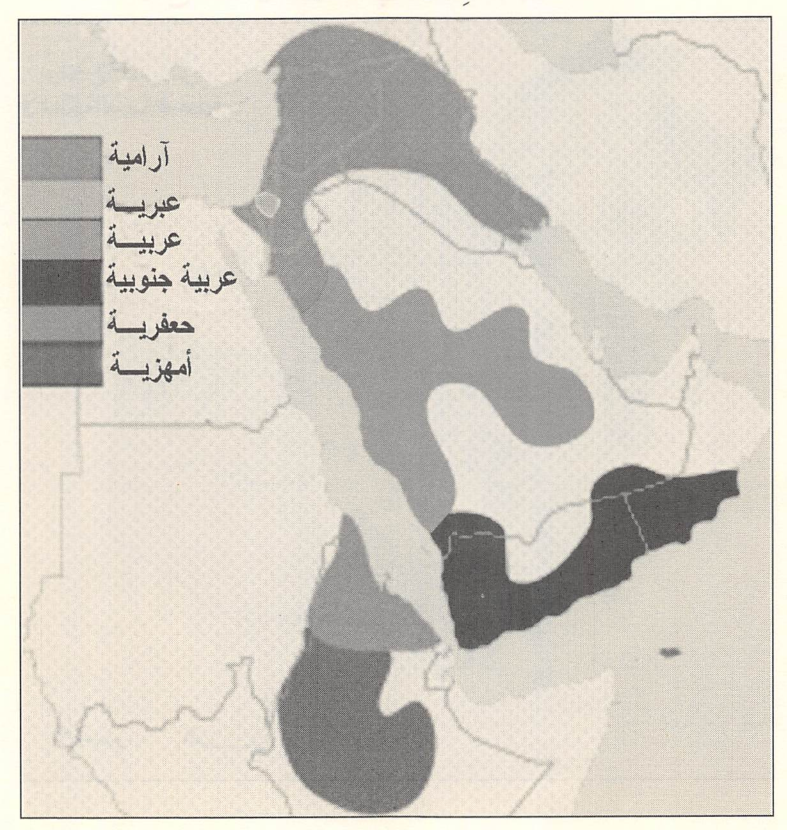


الخريطة الرقم (٤)
تضاريس الوطن العربي



الخريطة الرقم (٥)

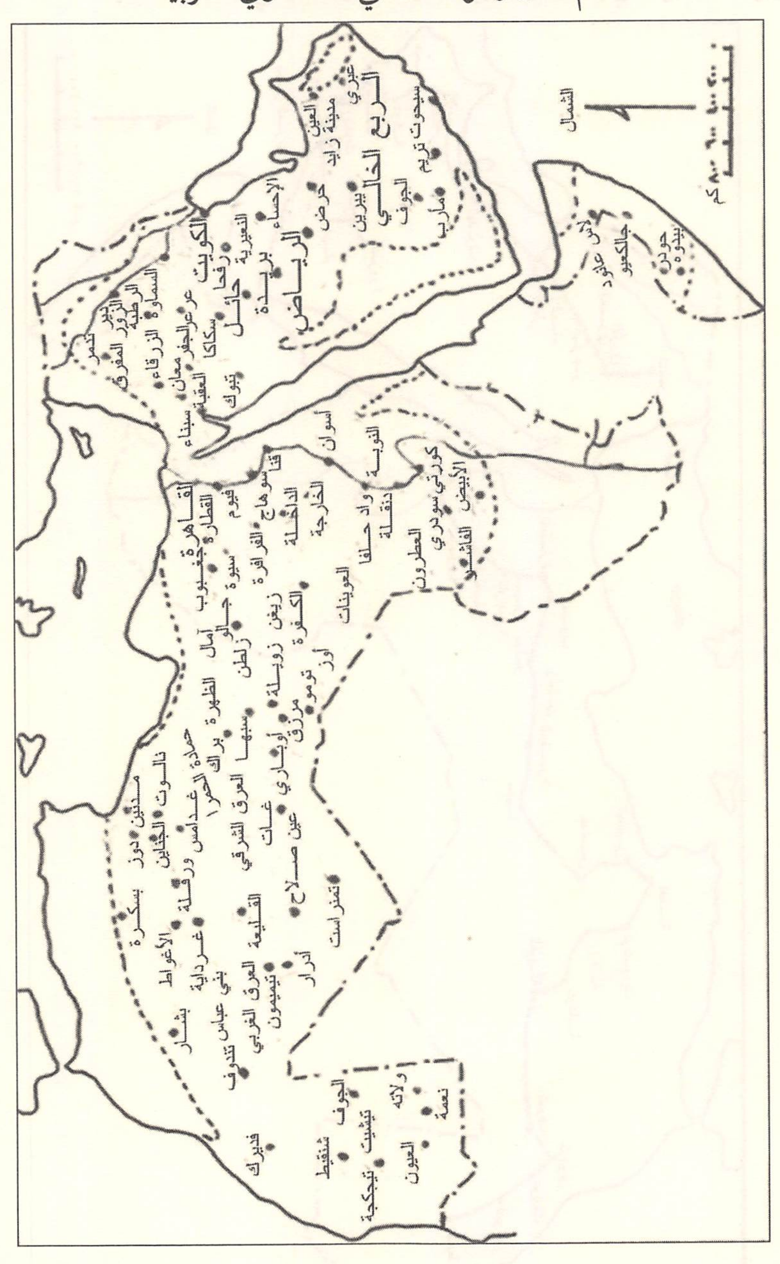
الهِجْرات السّاميّة



الخريطة الرقم (٦)
توزيع القبائل العربية في المملكة العربية السعوديّة

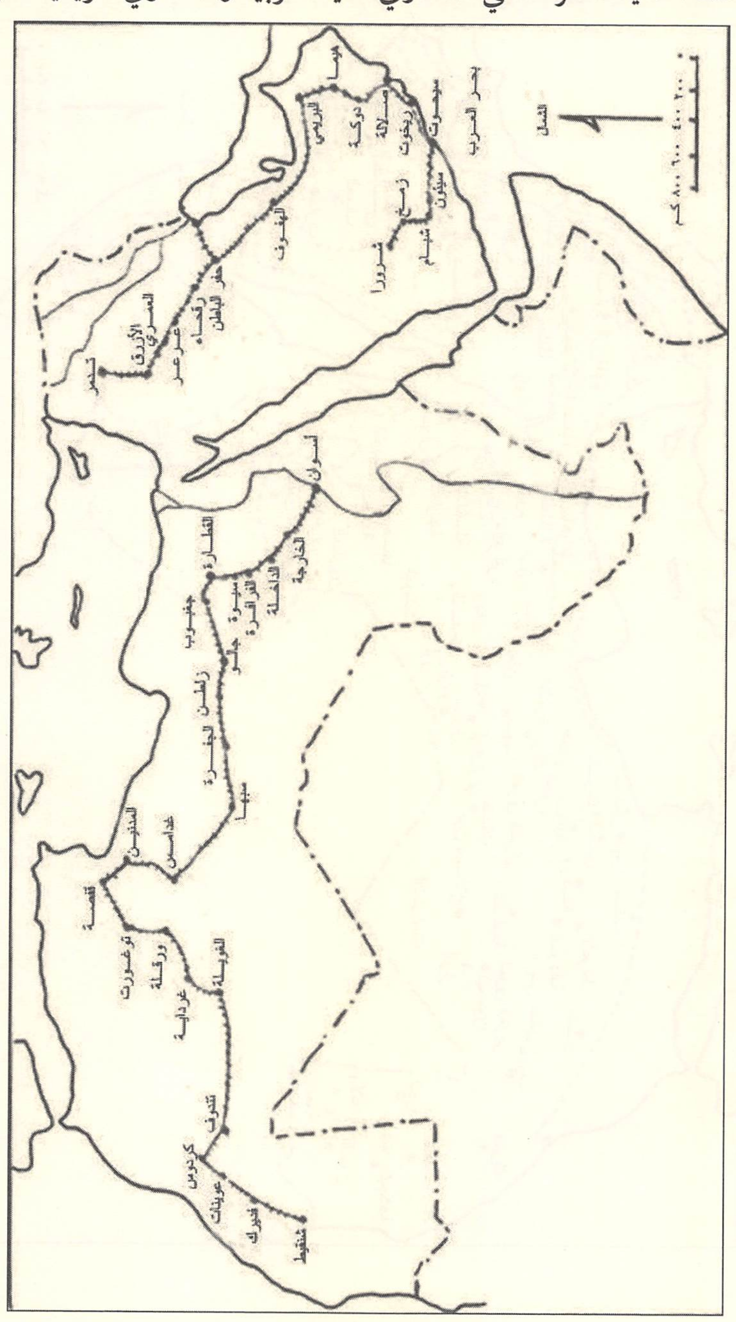


الخريطة الرقم (٧)
أهم المدن والواحات في الصّحاري العربية



الخريطة الرقم (٨)

السّكك الحديد المُقترحة في صحاري آسيا العربية وصحاري أفريقيا العربية



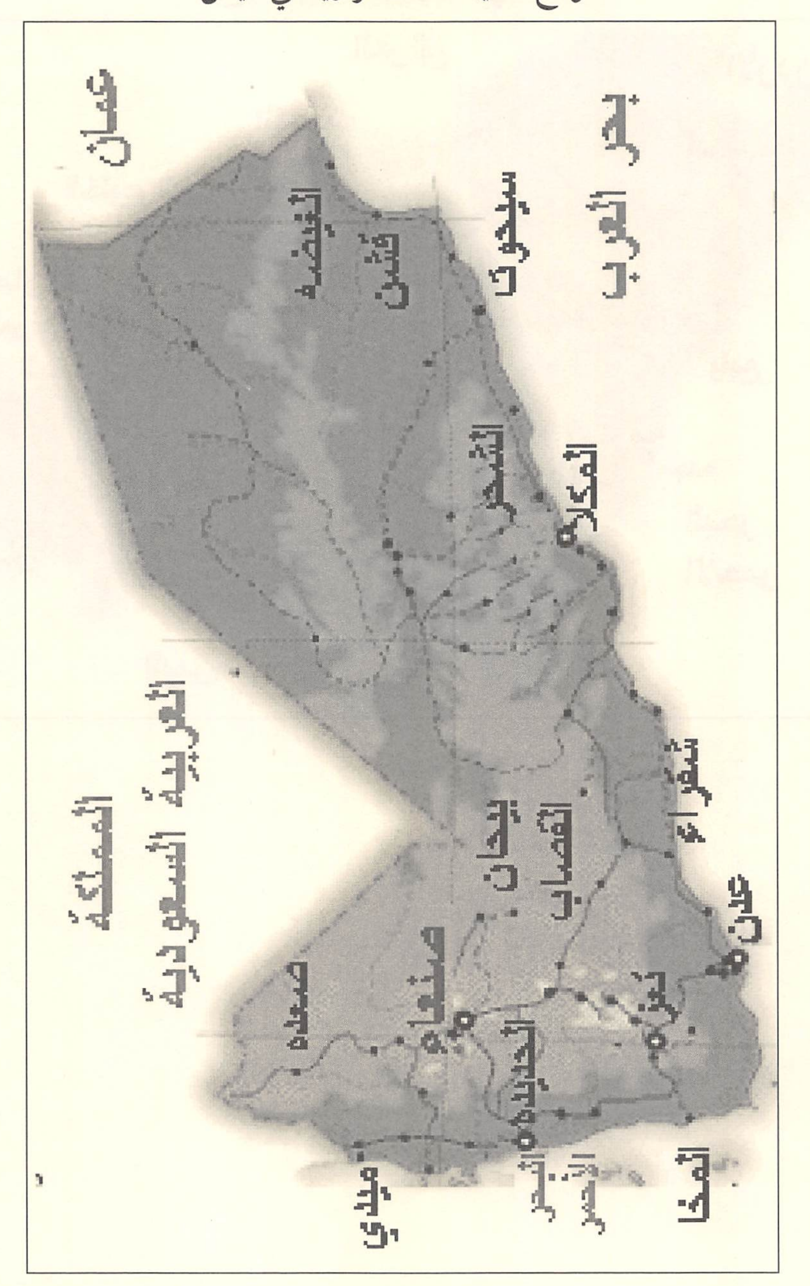
الخريطة الرقم (٩)

مواقع السياحة الصحراوية في السعودية

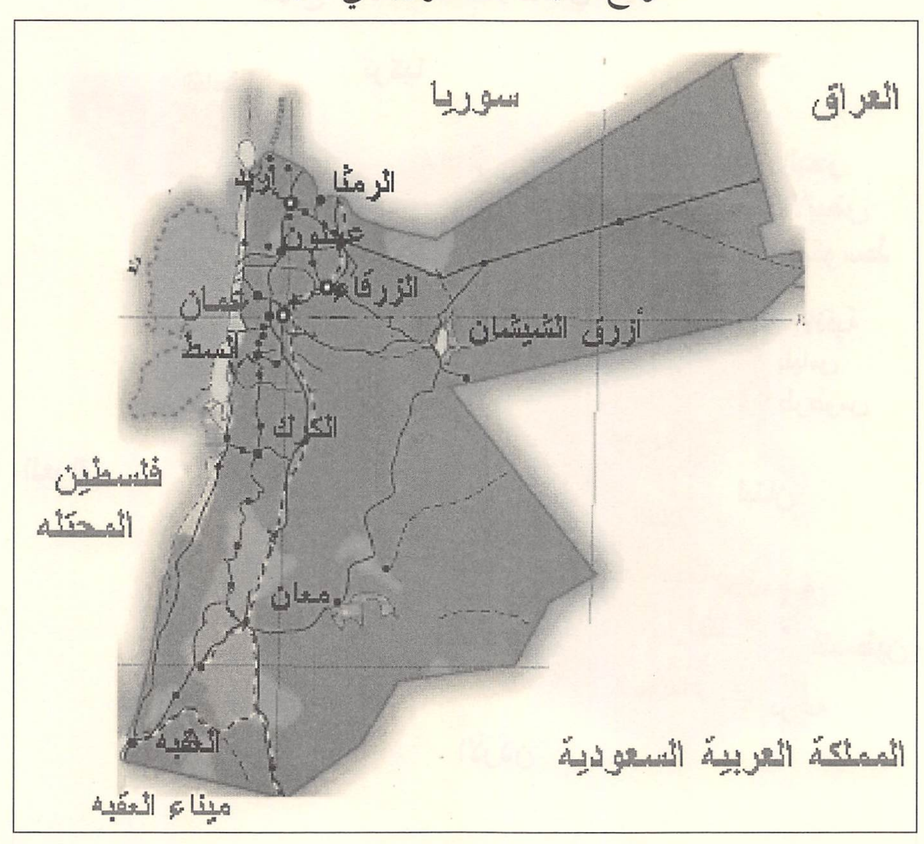


الخريطة الرقم (١٠)

مواقع السياحة الصحراوية في اليمن



الخريطة الرقم (١١)
مواقع السياحة الصحراوية في الأردن

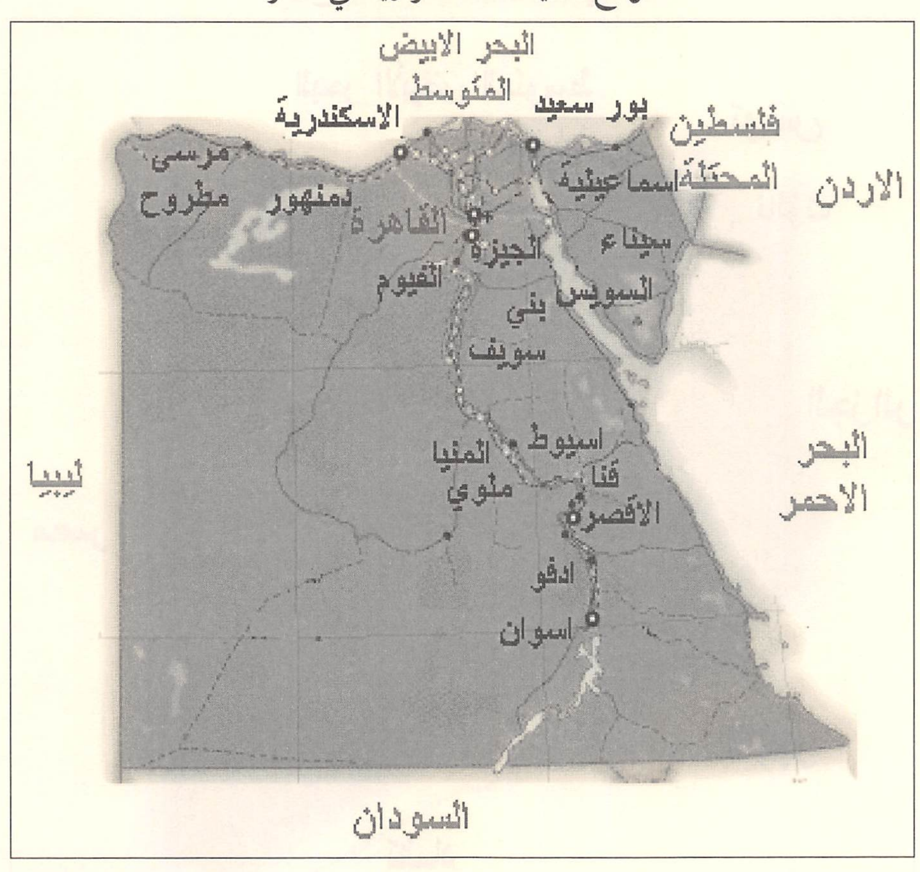


الخريطة الرقم (١٢)
مواقع السياحة الصحراوية في سورية



الخريطة الرقم (١٣)

مواقع السياحة الصحراوية في مصر



الخريطة الرقم (١٤)
مواقع السياحة الصحراوية في ليبيا



الخريطة الرقم (١٥)
مواقع السياحة الصحراوية في تونس



الخريطة الرقم (١٦)

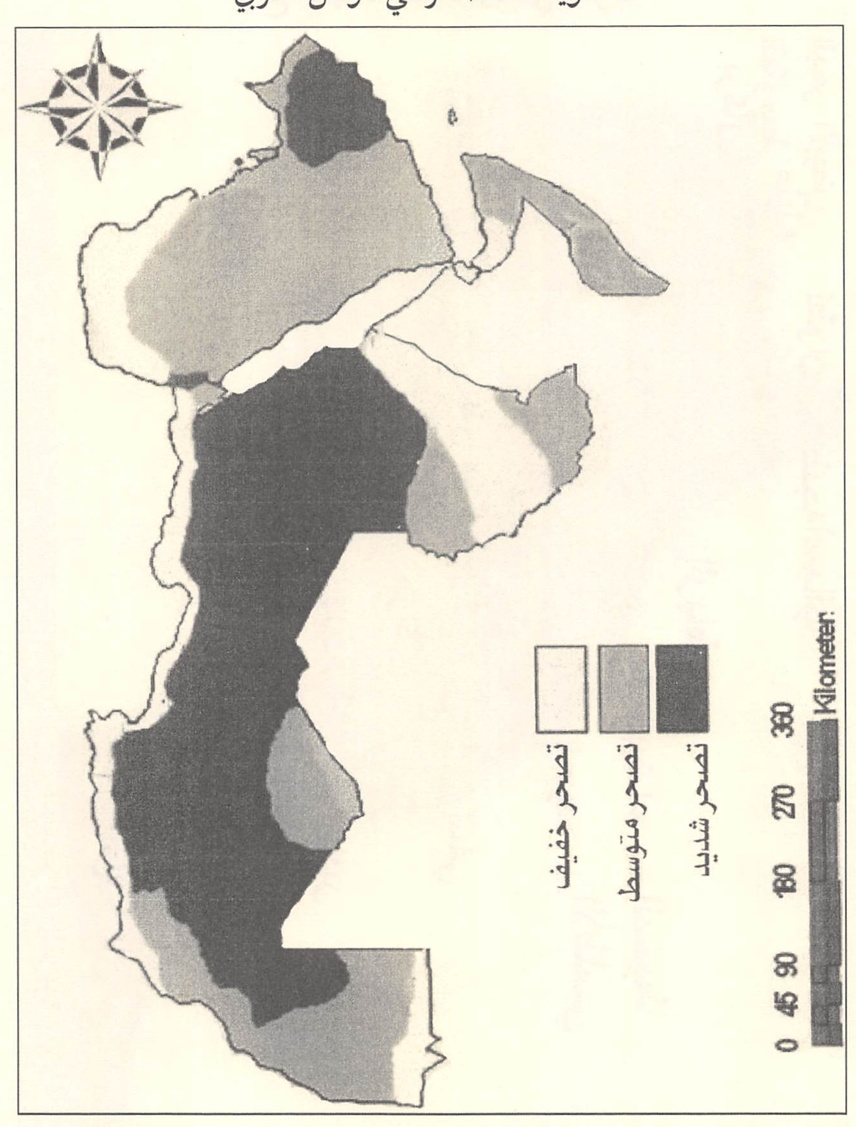
مواقع السياحة الصحراوية في الجزائر



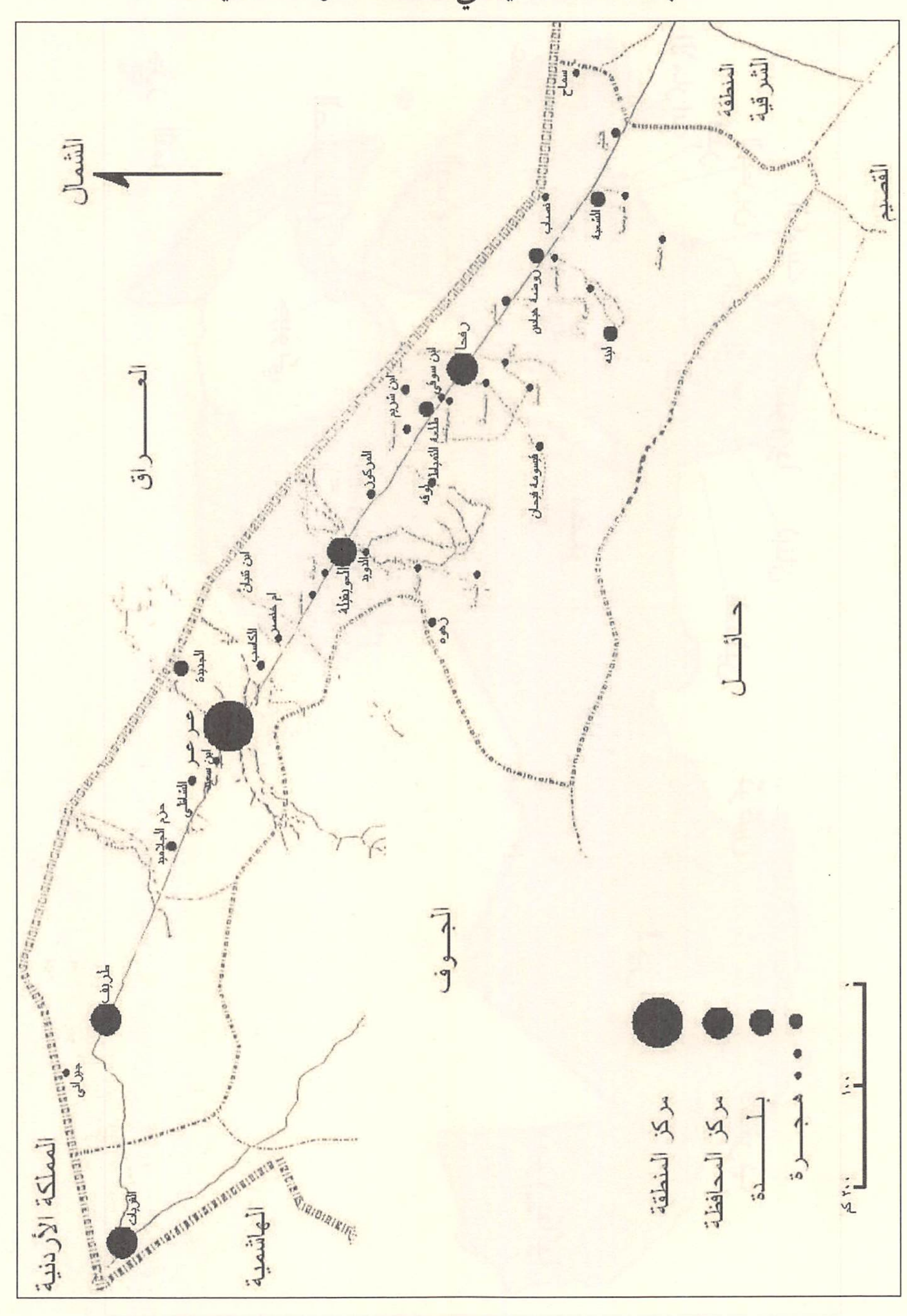
الخريطة الرقم (١٧)
مواقع السياحة الصحراوية في المغرب



الخريطة الرقم (١٨)
مستويات التّصحّر في الوطن العربي

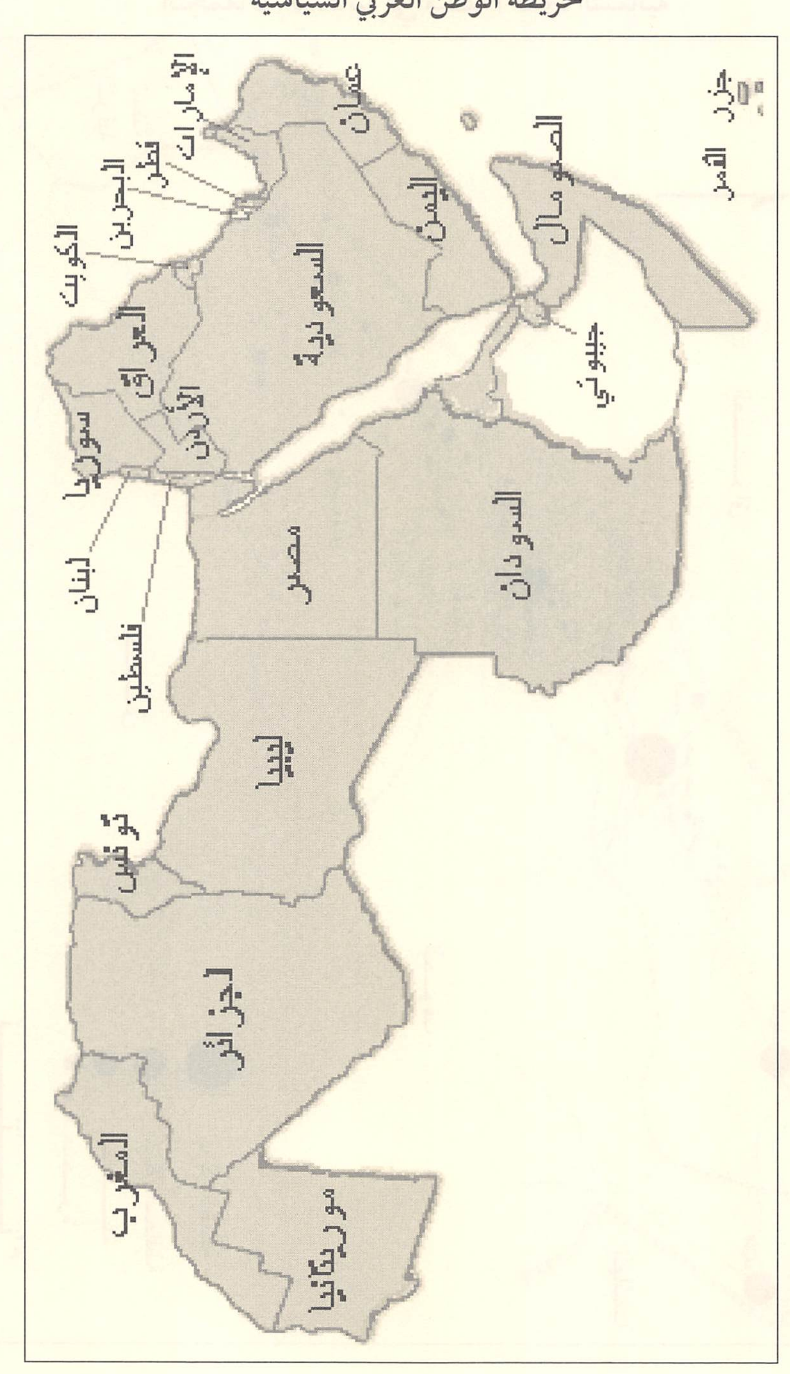


الخريطة الرقم (١٩)
التّجمّعات السُّكانية في منطقة الحدود الشّمالية



الخريطة الرقم (٢٠)

خريطة الوطن العربي السياسيّة

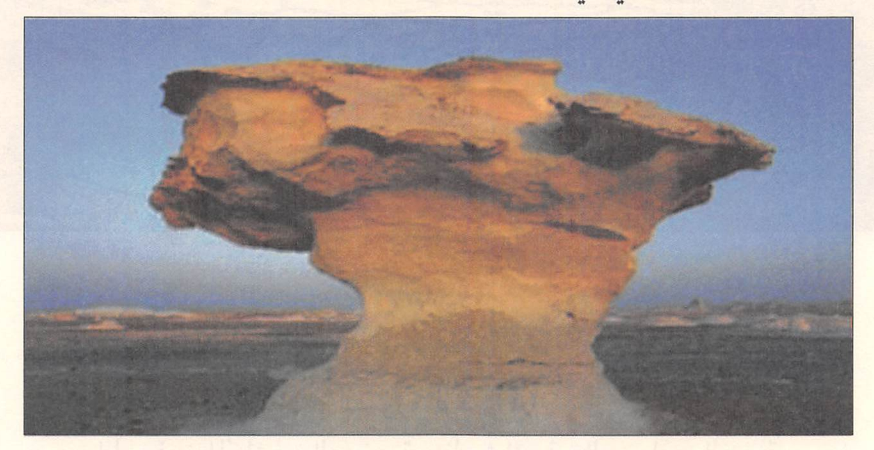


الملحق الرقم (٣)

الصــــور

الصورة الرقم (١)

منظر سياحي في التكوينات الجيولوجية الصخرية (مصر)



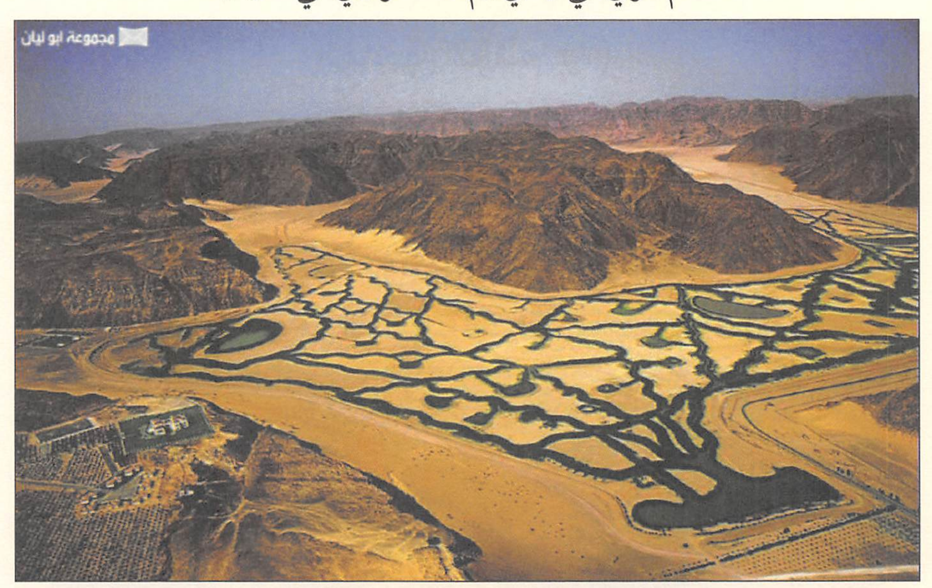
الصورة الرقم (٢)

شجرة النخيل الشائعة في واحات الصحاري العربية (سيوة)



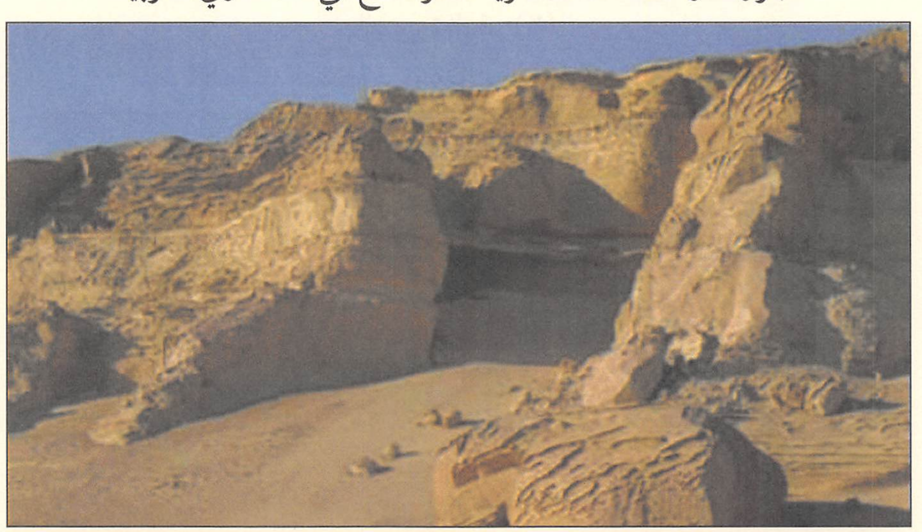
الصورة الرقم (٣)

نظام الري في وادي رم الصحراوي في الأردن



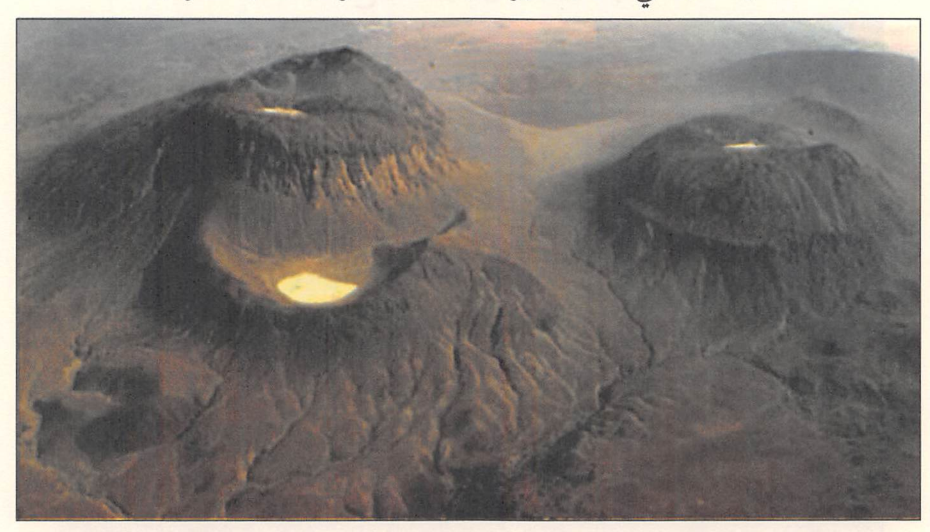
الصورة الرقم (٤)

الجروف والمكاشف الصخرية منظر شائع في الصحاري العربية



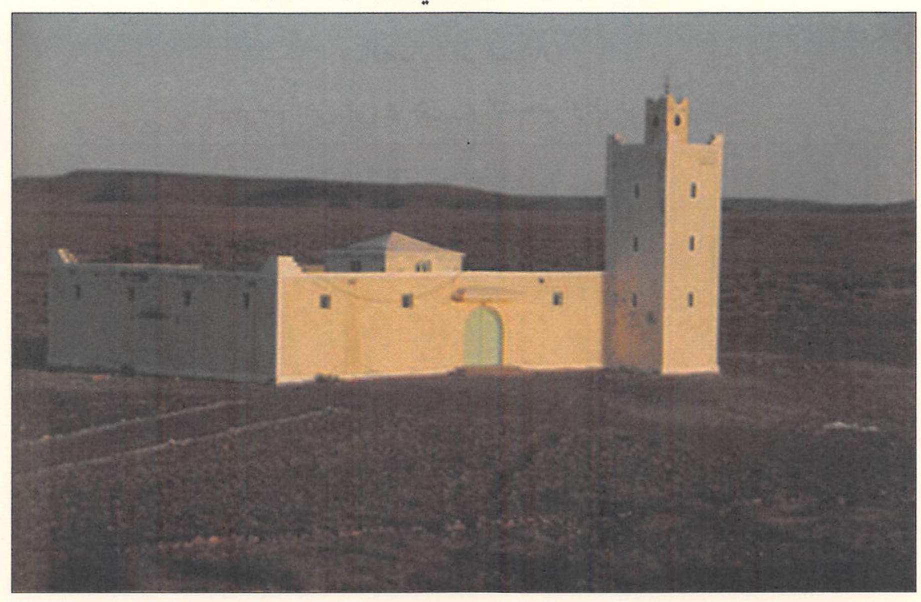
الصورة الرقم (٥)

مشهد سياحي لمخاريط بركانية شمال حرة رهط بالسعودية



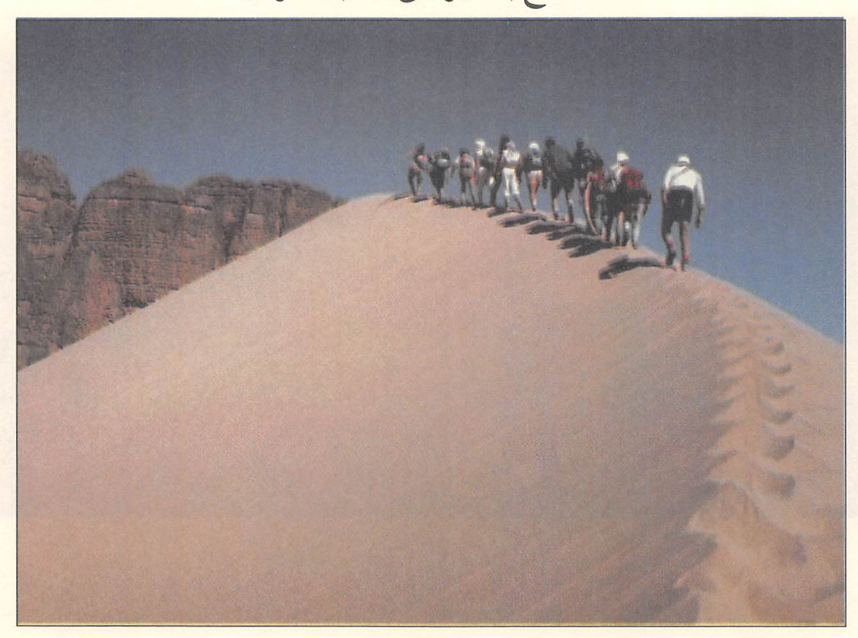
الصورة الرقم (٦)

مسجد وزاوية صوفيّة في صحراء المغرب



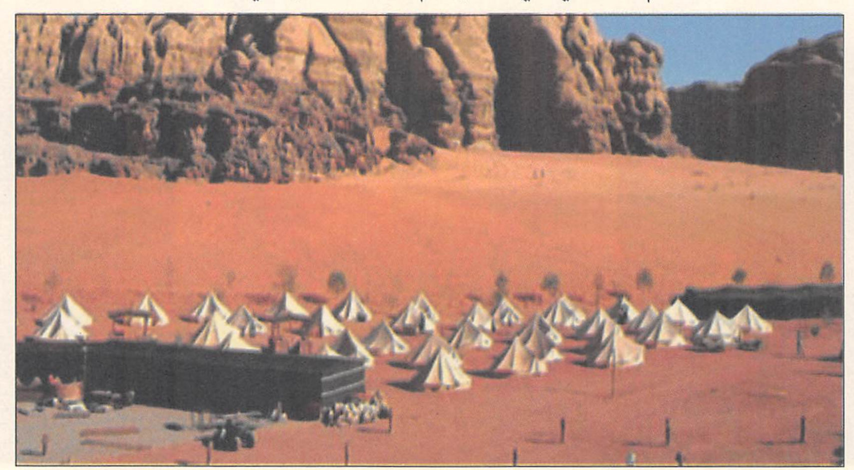
الصورة الرقم (٧)

الاستمتاع بالسير على الكثبان الرملية



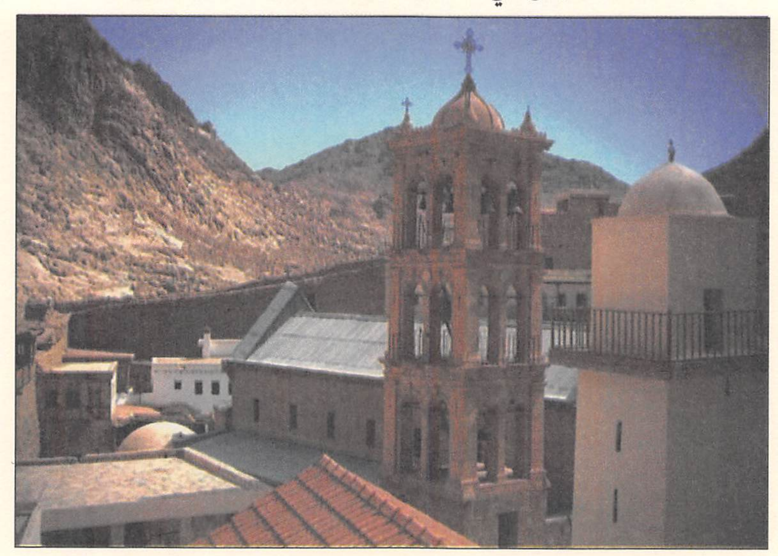
الصورة الرقم (٨)

مخيم سياحي في وادي رم الصحراوي في الأردن



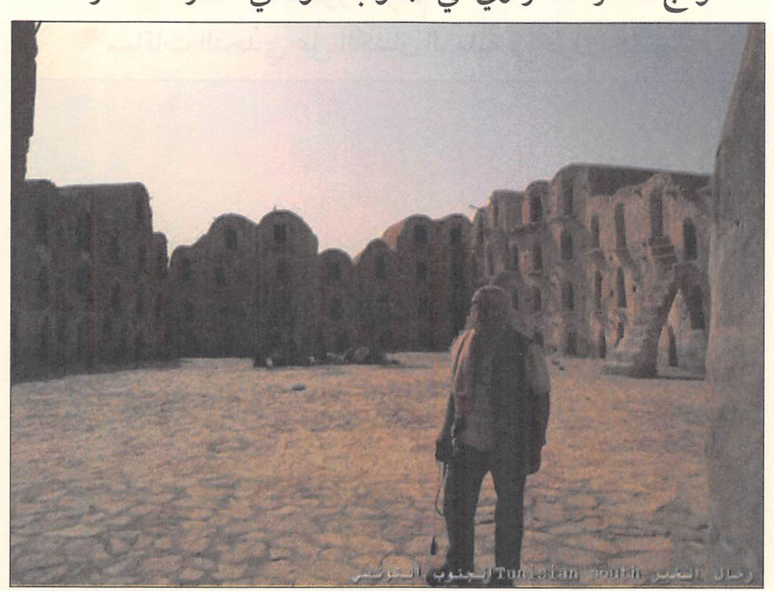
الصورة الرقم (٩)

دير سانت كاترين في صحراء سيناء (خزانة أسرار سيناء)

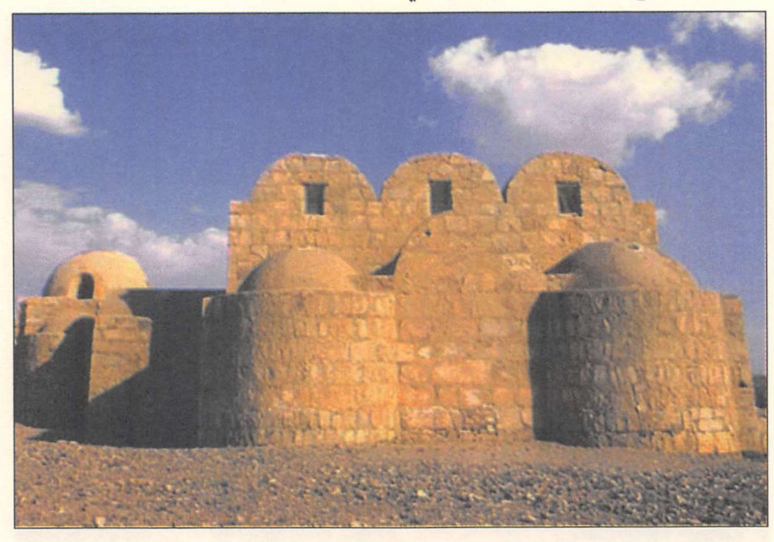


الصورة الرقم (١٠)

نموذج لقصر صحراوي في الجنوب التونسي (قصر الدغاغرة)



الصورة الرقم (١١)
نموذج لقصر صحراوي في البادية الأردنية (قُصير عمرة)



الصورة الرقم (١٢)
سباقات التحدّي على الكثبان الرملية في دول الخليج



الصورة الرقم (١٣)

رالي حائل في صحراء النفوذ



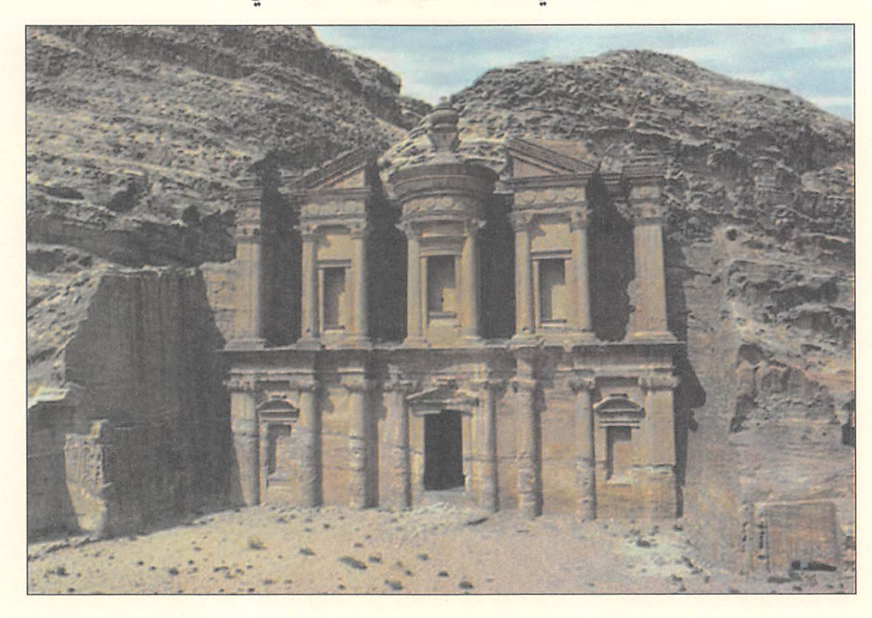
الصورة الرقم (١٤)

جانب من مدينة الجوف اليمنية التي تستضيف مهرجان قرناو



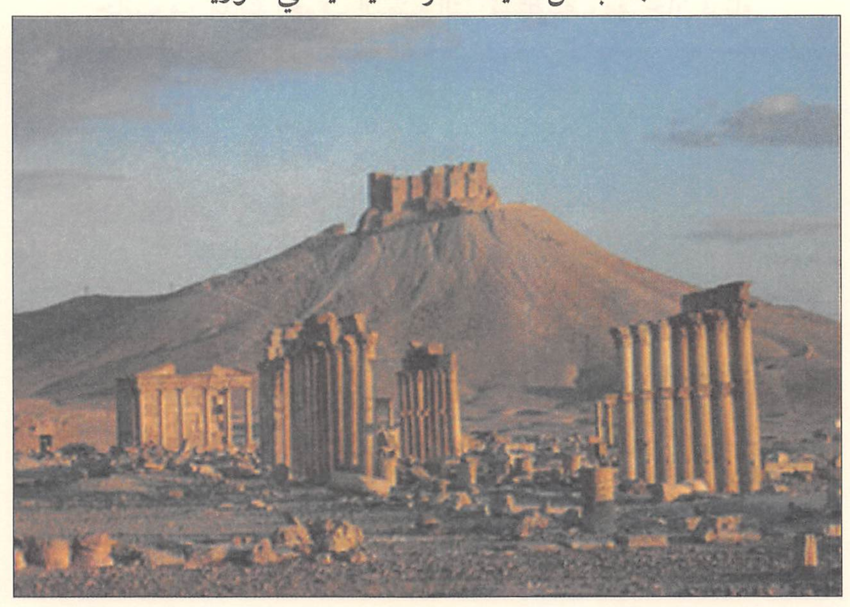
الصورة الرقم (١٥)

واجهة الخزنة في مدينة البتراء السياحية في الأردن



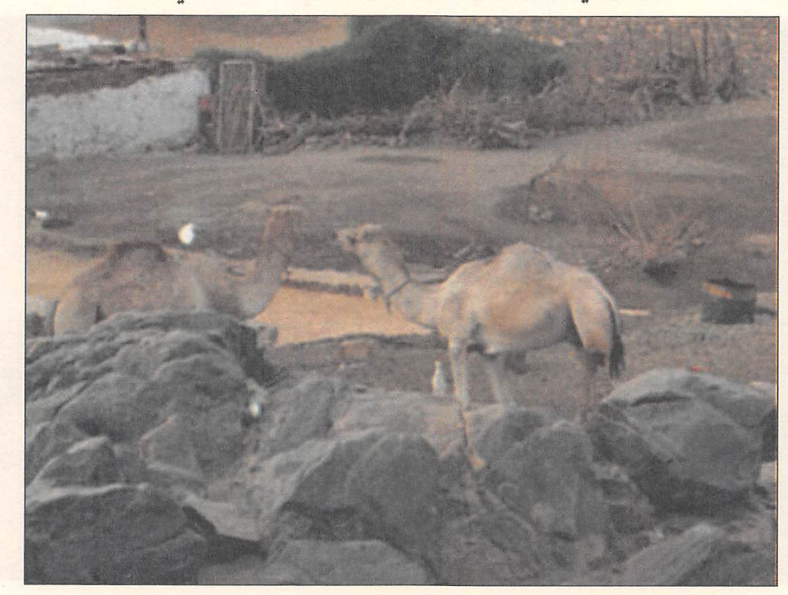
الصورة الرقم (١٦)

جانب من مدينة تدمر السياحية في سورية



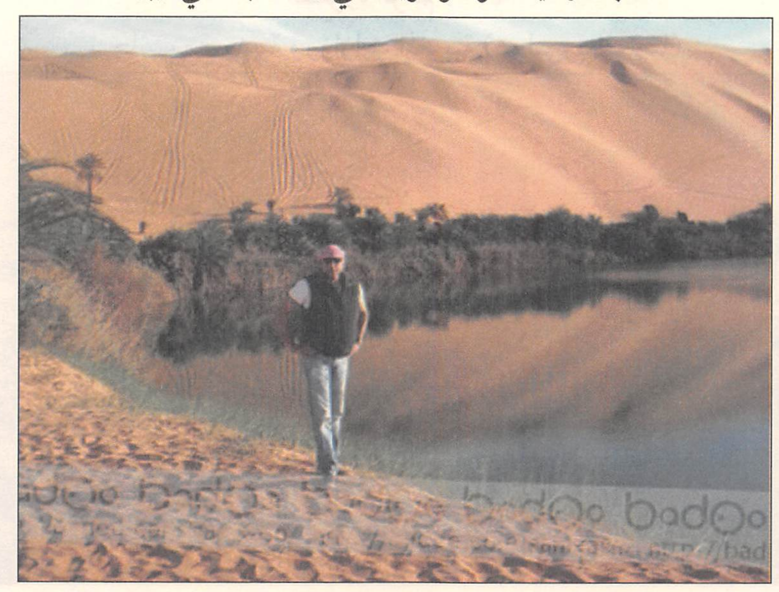
الصورة الرقم (١٧)

محمية وادي الجمال (الإبل) أحدث المحميات في مصر



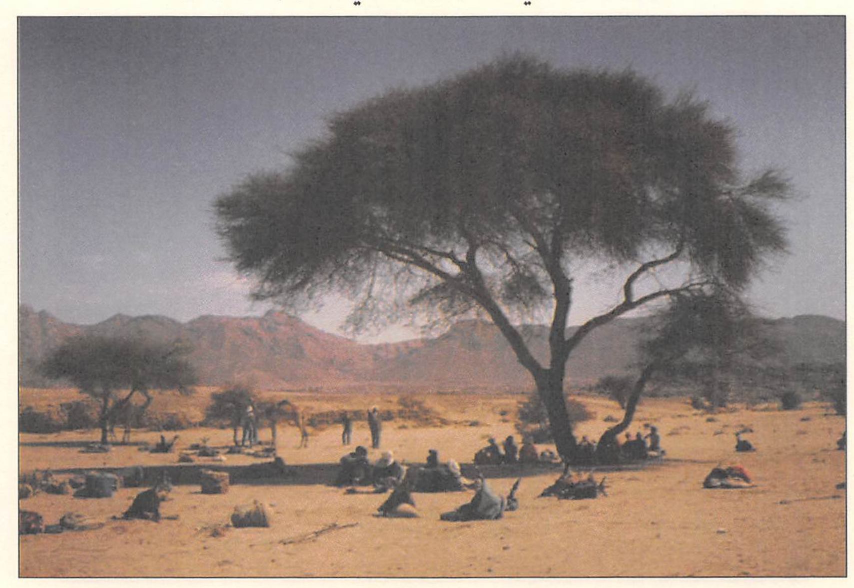
الصورة الرقم (١٨)

الكثبان والمياه ظواهر فريدة في واحة لبدة في ليبيا



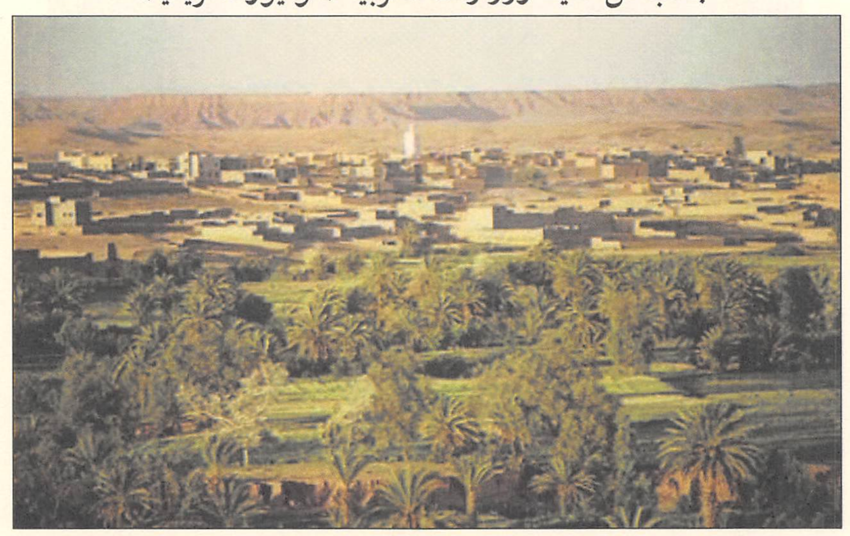
الصورة الرقم (١٩)

محميّة الطاسيلي الصحراوية في جنوب الجزائر



الصورة الرقم (٢٠)

جانب من مدينة ورزازات المغربية (هوليوود أفريقيا)



الصورة الرقم (٢١)

صقر يصطاد أرنباً (من صحراء موريتانيا)



المراجـــع

١ ـ العربية

كتب

ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد. **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير**. ط ٢. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٦.

الأشعب، خالص حسني وأنور مهدي صالح. **الموارد الطبيعية وصيانتها**. الموصل: دار الكتب، ١٩٨٨.

باقر، طه. **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**. ٢ ج. ط ٢. بغداد: شركة التجارة والطباعة، ١٩٥٥.

ج ١: **تاريخ الفرات القديم**

البرازي، نوري خليل. **البداوة والاستقرار في العراق**. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٩.

توني، يوسف. **معجم المصطلحات الجغرافية**. ط ٢. القاهرة: دار الفكر العربي، [د. ت.].

الجابري، محمد عابد. **الخطاب العربي المعاصر: دارسة تحليلية نقدية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢.

الجار الله، أحمد جار الله. **خادم الحرمين الشريفين مرسي النظام الحضري السعودي**. الأحساء: جامعة الملك فيصل، ٢٠٠٢. (سلسلة الاحتفال بمرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم؛ ٢٠)

جامعة الدول العربية وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة. **الدليل الارشادي للسياحة المستدامة في الوطن العربي، سلسلة (١): دليل مفهوم السياحة المستدامة وتطبيقها**. [القاهرة: الجامعة، ٢٠٠٤].

جودة، جودة حسنين. **الجغرافيا الطبيعيّة لصحاري العالم العربي**. ط ٦. الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٩٧.

الحصان، عبد القادر محمود. **محافظة المفرق ومحيطها عبر رحلة العصور: دراسات ومسوحات أثرية ميدانية**. عمان: مطابع الأرز، ١٩٩٩.

الحقيل، سليمان بن عبد الرحمن. **في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية**.

حلقة الدراسات الصحراوية في المملكة العربية السعودية من ٢٣ ـ ٢٥ ربيع الآخر ١٤١٠هـ ٢١ ـ ٢٣ نوفمبر ١٩٨٩م. الرياض: مركز دراسات الصحراء، جامعة الملك سعود، ١٩٨٩.

الخاطبة، محمد فاضل. **عمارة الأنباط السكنية**. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٦.

الخولي، محمد رضوان. **التصحر في الوطن العربي: انتهاك الصحراء للأرض عائق في وجه الإنماء العربي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥.

دائرة الآثار العامة. **الآثار الإسلامية**. عمان: الدائرة، ١٩٧٩.

زلوم، حمودة محمد عبد الله. **الزرقاء: المدينة والمحافظة، ماضيها وحاضرها**. عمان: مطابع الأرز، ١٩٩٤.

سعودي، محمد عبد الغني. **الوطن العربي**. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٧.

سفر، محمود محمد. **دراسة في البناء الحضاري: محنة المسلم مع حضارة عصره**. الدوحة: مركز البحوث والمعلومات، ١٩٨٩. (كتاب الأمة؛ ٢١)

السمّاك، محمد أزهر سعيد وهاشم خضير الجنابي. **جغرافية الوطن العربي**. الموصل: مديرية الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦.

سوسه، أحمد. **العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية**. ط ٦. دمشق: العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦.

سيف، محمود محمد. **جغرافية المملكة العربية السعودية**. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨.

الشامي، صلاح الدين علي وفؤاد محمد الصقار. **جغرافية الوطن العربي الكبير**. ط ٣. الإسكندرية، مصر: منشأة المعارف، ١٩٧٥. (الكتب الجغرافية)

الشراري، سليمان الأفنس (معد). **الإبل عند الشرارات**. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٩١.

الشريف، عبد الرحمن صادق. **جغرافية المملكة العربية السعودية**. ط ٦. الرياض: دار المريخ للنشر، ٢٠٠٢.

الشمري، منصور. **قبيلة شمر ــ رسالة قصيرة**. الرياض: جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، ١٩٩٧.

شواقفة، سعود. [وآخرون]. **دراسات في جغرافية الوطن العربي**. عمان: دار عمار، ١٩٩١.

الصلال، عايده. **الآثار والمواقع السياحية في الأردن**. عمان: مكتبة الإمام علي، ٢٠٠٣.

الطائي، منى أحمد. **المعالم الأثرية في المملكة الأردنية الهاشمية**. عمان: وزارة السياحة والآثار، ٢٠٠٤.

الظاهر، نعيم والياس سراب. **مبادئ السياحة**. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠١.

عابد، عبد القادر وغازي سفاريني. **أساسيات علم البيئة**. عمان: دار وائل للطباعة والنشر، ٢٠٠٤.

العابدي، محمود. **أجانب في ديارنا**. عمان: جمعية أعمال المطابع التعاونية، ١٩٧٤.

العاني، رعد. **الوجيز في الجغرافيا السياحية وسياحة المخيمات**. عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

عبد الله، عبد الفتاح لطفي. **جغرافية الوطن العربي: تحليل الأبعاد الجغرافية لمشكلات الوطن العربي: الأمن المائي، والتصحر، والأمن الغذائي، والتحدي الديموغرافي، وظاهرة التحضر**. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

علاء الدين، حسن. **دليل الرحلات المدرسية**. عمان: وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٧.

العنزي، عبد الله بن دهيمش. **أصدق الدلائل في أنساب بني وائل: قبائل عنزة**. ط ٤. الرياض: المؤلف، ١٩٩٧.

غرايبة، خليف. **التربية الوطنية في الأردن**. إربد: دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٥.

ــــــ. **الجغرافية التاريخية للمنطقة الغربية من جبل عجلون**. إربد: مطبعة الروزنا، ١٩٩٨.

ــــــ. **السياحة البيئية مع التركيز على الوطن العربي بشكل عام والأردن بشكل خاص**. عمان: دار يافا؛ دار الجنادرية، ٢٠٠٨.

غرايبة، سامح ويحيى فرحان. **المدخل إلى العلوم البيئية**. ط ٣. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩١.

غنيم، عثمان محمد وبنيتا نبيل سعد. **التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل**. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

الفارسي، فؤاد عبد السلام. **الأصالة والمعاصرة في المعادلة السعودية**. جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، [١٩٩١].

الفرا، مضيوف [وآخرون]. **الجغرافيا الطبيعية والبيئات**، ط ١٣. الدوحة: مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٣.

قباعة، رزق هارون الديخ. **معان: المدينة والمحافظة، ماضيها وحاضرها**. عمان: مطابع دار الأرز، ١٩٨١.

كولينات، كلاوس والبرت شتاينكة. **جغرافية السياحة ووقت الفراغ**. ترجمة نسيم فارس برهم. عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩١.

المركز الجغرافي الملكي الأردني. **الأطلس المدرسي الأردني**. عمان: المركز، ١٩٨٩.

مشخص، محمد عبد الحميد. **الجغرافيا البشرية المعاصرة للمملكة العربية السعودية**. جدة: مكتبة دار جدة، ١٩٩٨.

المعاضيدي، خاشع. **من بعض أنساب العرب (أعالي الفرات)**. بغداد: دار النجفي، ١٩٨٦.

المملكة العربية السعودية، وزارة الإعلام. **هذه بلادنا**. الرياض: الوزارة، [١٩٩٦].

موزل، ألويس. **أخلاق الرولة وعاداتهم**. ترجمة وتعليق محمد بن سليمان السديس. ط ٢ مزيدة ومنقحة. الرياض: مكتبة التوبة، ١٩٩٧.

موسى، سليمان. **رحلات في الأردن وفلسطين**. عمان: دار ابن رشد للنشر والتوزيع، ١٩٨٤.

ندا، طه. **فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية**. ط ٢. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧.

نصر، محمد سيد ونقولا زيادة. **أطلس العالم**. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٩.

نيوتن، ليزا هـ. **نحو شركات خضراء مسؤولية مؤسسات الأعمال نحو الطبيعة**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ٢٠٠٦. (عالم المعرفة؛ ٣٢٩)

هيئة تنشيط السياحة الأردنية. **الأردن: دليل الزائر**. عمان: الهيئة، ٢٠٠٥.

والطون، كنيث. **الأراضي الجافة**. ترجمة علي عبد الوهاب شاهين. الإسكندرية، مصر: منشأة المعارف، [١٩٧٢].

وليامس، جون فريديريك. **قبيلة شمر العربية: مكانتها وتاريخها السياسي، ١٨٠٠ ـ ١٩٥٨**. ترجمة مير بصري. بغداد: دار الحكمة، [د. ت.].

الوليعي، عبد الله بن ناصر بن علي. **بحار الرمال في المملكة العربية السعودية**. الكويت: وحدة البحث والترجمة، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، ١٩٩٤.

دوريات

أبو عياش، عبد الإله. «التخطيط لمدن التنمية في الكويت.» **الرسائل الجغرافية**: العدد ٣٣، أيلول/سبتمبر ١٩٨١.

أرابيز: تموز/يوليو ٢٠٠٤.

حامدن، سليمان ولد. «السياحة الصحراوية بشعبية وادي الحياة، مقوّماتها وسبل تنميتها.» **مجلة كلية الآداب والعلوم (أوباري)**: ٢٠٠٦.

حبيب، محمد عبد الكريم علي. «نمط حياة شبه الاستقرار في منطقة التيسية، منطقة حائل الإدارية دراسة في الجغرافيا الاقتصادية عن التغير في استغلال الموارد ونظام الترحل في وظيفة الرعي البدوي.» **مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية**: السنة ١٠، العدد ١، ١٩٩٧.

الحديثي، حسن محمود علي. «سياسات التنمية المكانية وعلاقتها بالتطور العمراني للمدن.» **مجلة الجمعية الجغرافية العراقية**: العدد ١٧، ١٩٨٦.

الحسني، أحمد بن حسن. «التنمية والتقارب والاندماج في مجتمع المملكة، قديمًا وحديثًا.» **مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها**: السنة ١٣، العدد ٢١، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠.

الخولي، محمد رضوان. «خطر الزحف الصحراوي على أرضنا العربية.» **المستقبل العربي**: العدد ٧٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٥.

السودان، المجلس القومي للبحوث. «الزحف الصحراوي في الوطن العربي.» **عالم المياه العربي**: العدد ٣١، ١٩٨٢.

شخاتره، محمد. «التصحّر في الوطن العربي.» **عالم المياه العربي**: العدد ٥٤، ١٩٨٥.

صالح، حسن عبد القادر. «التصحّر في الوطن العربي ومكافحته.» **شؤون عربية**: العدد ١٦، ١٩٩٠.

العربي: آذار/ مارس ٢٠٠٤.

غرايبة، خليف. «التوزيع المكاني للسكان في مدينة عرعر بالمملكة العربية السعودية.» **مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية** (جامعة قطر): السنة ٢٦، العدد ٢٦، ٢٠٠٣.

ـــــــــ. «الزحف العمراني على الأراضي الزراعية في محافظة إربد (الآثار والنتائج والحلول المُقترحة).» **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية**: السنة ٥، العدد ٢، ٢٠٠٨.

ـــــــــ. «سياسات التنمية المكانية في المملكة العربية السعودية.» **مجلة بحوث كلية الآداب** (جامعة المنوفية): العدد ٦٩، نيسان/ أبريل ٢٠٠٧.

ـــــــــ. «المستقرات العربية الإسلامية في رحلة ابن جبير (٥٧٨ هـ - ٥٨١هـ).» **مجلة العلوم الاجتماعية** (جامعة الكويت): السنة ٣٧، العدد ٤، ٢٠٠٩.

الفرا، طه بن عثمان. «تأثير توطين البادية على الترابط الداخلي للدولة الناهضة - المملكة العربية السعودية.» **مجلة كلية الآداب** (جامعة الملك سعود): العدد ١٤، ١٩٨٧.

النشرة الإخبارية: العدد ٥، كانون الثاني/ يناير ـ آذار/ مارس ٢٠٠٦.

هاريقان، بيتر. «صناعة السياحة آفاق جديدة تنطلق في سماء المملكة.» **القافلة** (شركة أرامكو السعودية): السنة ٥٠، العدد ٧، أيلول/ سبتمبر ـ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١.

الوحدة: العدد ٧، ١٩٨٥.

رسائل وأطروحات

أبو حشيش، محمد. «التوطين التلقائي في البادية الأردنية.» (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، ١٩٩٠).

غرايبة، خليف. «التحليل المكاني للخدمات في مدينة أربد.» (رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، ١٩٩٥).

ندوات

الندوة الثامنة لأقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية (جامعة أم القرى، قسم الجغرافيا، مكة المكرمة، ٣ ـ ٥/ ٣/ ٢٠٠٤).

«السياحة والبيئة: الواقع والسياسات والآفاق.» (الندوة العلمية الدولية، جامعة منوبة، تونس، ٩ ـ ١١/ ١٠/ ٢٠٠٨).

٢ ـ الأجنبية

Books

Cressey, George B. *Crossroads; Land and Life in South West Asia*. Chicago: J. B. Lippincott, 1960. (Maps)

Dickson, Harold Richard Patrick. *The Arab of the Desert*. London: Allen and Unwin, 1959.

Omar, S. A. S. [et al.]. *Sustainable Development in Arid Zones, Volume 2*: Management and Improvement of Desert Resources. [Rotterdam: A. A. Balkema, 1998].

Smith, George Adam. *The Historical Geography of the Holy Land, Especially in Relation to the History of Israel and of the Early Church*. 23th ed. London: Hodder and Stoughton, [1896].

Periodical

Carruthers, Douglas. «The Great Desert Caravan Route, Aleppo to Basra.» *Geographical Journal*: vol. 52, no. 3, September 1918.

Document

Overseas Economic Cooperation Fund (OECF). «The Tourism Sector Development Project, Final Report.» (Japan, 1977).

Workshop

Workshop on Desert Studies in the Kingdom of Saudi Arabia (Center of Desert Studies, King Saud University, Riyadh, 21-23 Novernber, 1989).

فهـرس عـام

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

- خ -

- د -

- ر -

- ش -

- ص -

ـ ط ـ

ـ ع ـ

- ن -